

المركز القومي للترجمة

طبقات ناصري

تأليف

شيخ الإسلام وقاضي القضاة أبي عمر منهاج الدين عثمان
المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني



كتبه في دهلي بالهند عام 658 هجرية قمرية الجزء الثاني

ترجمة وتقديم: ملكه علي التركي

1828

يحتوي هذا الجزء طبقتين تمثلان آخر طبقات الكتاب الثلاثة والعشرين، وهما: طبقة الملوك الشمسية الذين كانوا عبيداً، ثم تدرجوا في مناصب البلاط حتى أصبحوا أصحاب إقطاعات في أنحاء الهند، وصاروا ملوكاً تابعين للسلطان الذي أقام في دلهي. وتحدث المؤلف في الطبقة الثانية عن تاريخ المغول والفرع الذي اجتاح العالم الإسلامي بسبب غزوهم، وما أحدثوه من تدمير. ميزة هذا الجزء أنه يتناول أحداثاً تعاني فقرها في المصادر، وأن مؤلفه شاهد على بعض الأحداث التي أرخ لها، ومشارك في بعضها الآخر.

طبقات ناصري

(الجزء الثاني)

ملكة على التركي

المركز القومي للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1828
- طبقات ناصري (ج ٢)
- منهاج الدين عثمان بن سراج الدين
- ملكه على التركي
- الطبعة الأولى 2012

هذه ترجمة كتاب:

طبقات ناصري

تأليف: منهاج الدين عثمان بن سراج الدين

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومي للترجمة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

طبقات ناصري

تأليف

شيخ الإسلام وقاضي القضاة أبي عمر منهاج الدين عثمان
المعروف بالقاضي منهاج السراج الجوزجاني

كتبه في دهلي بالهند
عام ٦٥٨ هجرية قمرية

الجزء الثاني

ترجمته عن الفارسية
وقدمت له وكتبت الحواشي والتعليقات
ملكه علي التركي



2012

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الجوزجاني، أبي عمر منهاج الدين عثمان منهاج السراج.

طبقات ناصري (الجزء الثاني) // تأليف: أبي عمر منهاج الدين
عثمان منهاج السراج الجوزجاني، ترجمته عن الفارسية وكتبت
الحواشي والتعليقات: ملكه على التركي

ط١، القاهرة : المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٢

٢٧٦ ص ، ٢٤ مم

١ - إيران - الملوك والحكام

(أ) التركي، ملكه على (ترجمة وتعليق)

٩٢٣،١٥٥

(ب) العنوان

رقم الإيداع ٤٤٦٦ / ٢٠١١

الترقيم الدولي : 0 - 466 - 704 - 977 - 978 - I.S.B.N

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب
الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي
اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

المحتويات

9	الهند.....
11	الأول منهم الملك تاج الدين سنجر كزلك خان
13	الثانى الملك كبير خان إياز المعزى
16	الثالث الملك نصير الدين آيتمر البهائى
17	الرابع سيف الدين أبيك حاكم أجه
18	الخامس الملك سيف الدين أبيك يغان تى
19	السادس الملك نصرة الدين تايىسى المعزى
22	السابع الملك عز الدين طغان خان طغرل رحمه الله
27	الثامن الملك تمر خان
28	التاسع الملك هندوخان مؤيد الدين المبارك الخازن
30	العاشر الملك اختيار الدين قراقش خان آيتگين
31	الحادى عشر الملك اختيار الدين التونيه صاحب تبرهنده
32	الثانى عشر اختيار الدين آيتگين عليه الرحمة
34	الثالث عشر الملك بدر الدين سنقر الرومى عليه الرحمة
36	الرابع عشر الملك تاج الدين سنجر قتلوق
38	الخامس عشر الملك تاج الدين سنجر كريت خان
39	السادس عشر سيف الدين بت خان أبيك الخطائى
39	السابع عشر الملك تاج الدين سنجر ترخان

41	الثامن عشر الملك اختيار الدين يوزبك طغرل خان
45	التاسع عشر الملك تاج الدين سنجر أرسلان خان الخوارزمي
48	العشرون الملك عز الدين كشلوخان السلطاني
53	الحادي والعشرون الملك سيف الدين أركلى داد بك
55	الثاني والعشرون الملك بدر الدين نصره خان سنقر الصوفي
56	الثالث والعشرون الملك نصره الدين شير خان
58	الرابع والعشرون الملك كشلى خان سيف الدين أييك السلطاني ملك الحجاب طاب ثراه
61	الخامس والعشرون الخاقان المعظم والخان الأعظم بهاء الحق والدين ألغ خان بلبن السلطاني
107	هوامش الطبقة الثانية والعشرين
111	الطبقة الثالثة والعشرون فى وقائع الإسلام وخروج الكفار
114	الأول منهم القراخطانيون
116	الثاني چنگيزخان المغولى
124	ذكر وقائع الإسلام
128	ذكر عبور جيش چنگيزخان نهر جيحون إلى خراسان
131	ذكر عبور چنگيزخان الملعون نهر جيحون
133	ذكر مجيء جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه إلى غزني
135	ذكر فتح قلعة ولخ بطخارستان وقلاع بلاد باميان
136	ذكر فتح مدن خراسان واستشهاد أهالى تلك المنطقة
140	ذكر ولاية خراسان وأحداثها مرة ثانية
142	ذكر فتح قلعتى كاليون وفيوار على يد المغول

146 ذكر حوادث غور و غرجستان و فيروز كوه
150 ذكر حوادث قلعة سيفرود
156 ذكر حادثة ملوك غرجستان و القلاع الأخرى
158 ذكر عودة چنگيزخان إلى التركستان و ذهابه إلى الجحيم
163 الثالث توشى بن چنگيزخان
165 الرابع أكتاى بن چنگيزخان
171 ذكر إرسال الجيوش إلى بلاد العراق و التركستان
176 ذكر توجه جيوش المغول إلى ناحية الغور و غزنين و لاهور
180 ذكر وفاة أكتاى بن چنگيزخان
181 الخامس چغتاي بن چنگيزخان
183 السادس كيك بن أكتاى عليه اللعنة
185 ذكر كرامة الإسلام
187 ذكر موت كيك الملعون
190 السابع باتو بن توشى بن چنگيزخان
191 حكاية عجيبة
193 الثامن منگوخان بن تولى بن چنگيزخان
195 ذكر سقوط الملاحدة لعنهم الله أجمعين
201 ذكر حادثة وقعت للمحتشم شمس الدين
204 التاسع هولاکو بن تولى بن چنگيزخان
206 ذكر سقوط دار الخلافة
212 ذكر استشهاد أمير المؤمنين المستعصم بالله
215 ذكر توجه هولاکو إلى حلب و الشام

217 ذكر كرامة مسلمى ميفارقين
219 ذكر كرامة أخرى لمسلمى ميفارقين
220 فصل فى تقرير سقوط المغول لعنهم الله
221 قصيدة الإمام يحيى بن أعقب
	العاشر بركاخان بن توشى بن چنگيزخان المغولى عليه
226 الرحمة
228 ذكر صلابة إسلام بركاخان
228 الحديث الأول
230 الحديث الثانى
232 تنمة الكتاب
234 هوامش الطبقة الثالثة والعشرين
241 فهرس الأعلام والأماكن والكتب

الطبقة الثانية والعشرون

فى ذكر الملوك الشمسية^(١)

فى ممالك الهند

الحمد لله الذى أبداً وأنشأ، والملك الذى يؤتى الملك من يشاء، والصلاة على خير خلقه أفضل من قام ومشى، والسلام على آله وأصحابه غداة وعشاء، وسلم تسليماً كثيراً .

هكذا يقول أقل عباد الحضرة الإلهية منهاج بن سراج الجوزجاني، عصمه الله من الميل إلى الفانى، إن شكر النعمة من لوازم قضايا العقول السليمة والطبائع المستقيمة، وهو معنى معقول وواضح لدى أرباب العلوم، ومبدأ معروف وظاهر فى مسائل مبادئ الأصول .

وقد روى نقلة أخبار سيد الأبرار والنقات فى آثار منبع السعادات وسيد السادات عليه من الصلوات أفضلها، ومن التحيات أكملها عنه أنه قال: " من لم يشكر الناس لم يشكر الله^(٢) ".

وبناء على هذين الأصلين المعقول والمنقول، فإن شكر إنعام سلطان سلاطين الإسلام الملك السعيد طيب الذكر شمس الدنيا والدين طاب ثراه وشكر إكرام الملوك من أسرة سلطنته ممن وضعوا قدم الفخر على عرش الملك، وأداء حقوق الألقاف والهبات لملوكه وللأمراء من عبيده ممن وصلوا إلى إيوان الظفر وإلى ساحات الحكم، لهو فى ذمة هذا الضعيف الداعى للدولة القاهرة، وفى ذمة أبنائه فرض عين وفرض دين .

فمنذ شهور سنة خمس وعشرين وستمائة إلى يومنا هذا من شهور سنة ثمان وخمسين وستمائة، والألطف والإكرام والإنعام والعواطف والعوارف وأصناف الألطف وأنواع الصنائع الملكية لهذا السلطان الذى طاول سليمان فى المكانة، ولأمرائه وأبنائه وملوكه وسادات دولته وعبيده (طيب الله مضاجع الماضين منهم وأدام دولة الباقيين) تتضاعف وتترداف وتتوالى وتستمر يوما بيوم وساعة بساعة لهذا الضعيف وأبنائه وأتباعه وأشياعه من تفويض المناصب ورفع المراتب وبذل التشرىفات القيمة والإنعامات والأعمال العظيمة، مما أفضى إلى إسناد قضاء الممالك ومراتب الرياسة لكل عامل منهم مرات عديدة. ليجعل الله تلك الأيادى سببا لبقاء ملكهم .

ولو فصل الداعى كل هذه الأعمال وبسطها، فسوف تطول هذه الطبقة القائمة على الاختصار من كثرة تلك الأيادى والعطايا.

فلندخل فى صلب الموضوع: عندما وهب الحق تعالى بفضله الدوام لدولة ألتمش السلطانية، ورفع راية عبيده فى ساحة الخلود، أراد هذا الضعيف أن يورد ذكر ملوك ذلك البلاط ملاذ العالم، وأن يحرر أخبار ملوكهم وسير أمرائهم وعبيدهم، وأن يدونها أداء لبعض تلك الحقوق، خاصة أخبار تواتر نعم الخاقان المعظم والمليك العادل أكرم ملوك بنى آدم بهاء الحق والدين مغيث الإسلام والمسلمين ظل الله فى العالمين عضد السلطنة يمين المملكة قطب المعالى ركن الأعالى الأعظم ألغ قتلغ خان بلبن السلطانى ابن السلاطين ظهير أمير المؤمنين أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره؛ وأنباء توالى فيض كرمه.

فمنذ بدأ قلم الزمان يرسم صورة التوفيق، وينقش السعادة على صحائف بزوغ الممالك، لم يرسم قط أى وجه للإقبال أجمل من صورة دولته، ولم ترفع يد من بين أعلام الأيام راية أعلى من لواء بهائه، ولم يكن فى عاصمة أى ملك فى

الشرق أو الغرب من وضع قدمه على مسند عرش الحظ وكان أكثر شهامة منه، ولم تسمع أى أذن من قصص مكنة الملك أجمل من حكاية ولايته، فإن لعهد عدله أيضا صورة متوارثة عن عمر، وإحسانه بيان عطاء حاتم الطائي، ولسيفه حديث ضربة رستم^(٣)، ولسهامه نفاذ عضد آرش^(٤).

نصر الله لواءه وأيد أوليائه وأكب أعداءه. ومن ثم فقد كتبت هذه الطبقة أداء لحقوق هؤلاء الملوك المشهورين عامة، وذكرنا لدولة ملوك تلك الطبقة خاصة، حتى يشعر المتأملون عند قراءة هذه الصفائف الخاصة بأحوال كل واحد منهم بضرورة الدعاء للذين ذهبوا، والدعاء بالبقاء للملوك الحاليين.

وقد كتب الداعي هذه الطبقة فى تلك الأيام التى وصل فيها إلى هذه الحاضرة تبعا للترتيب الزمنى لمن تقدم منهم ومن تأخر.

خذ الحق تعالى سلطان سلاطين الإسلام على العرش السلطاني، وأدام الخ خان المعظم على عرش السلطة وخلده. آمين يا رب العالمين.

الأول منهم الملك تاج الدين سنجر كزلك خان

كان وصول هذا الداعي إلى بلاط السلطان السعيد شمس الدين ملاذ العالم (طاب ثراه) فى يوم الأربعاء من غرة شهر ربيع الأول فى سنة خمس وعشرين وستمائة فى مدينة أجه المحروسة، حيث كانت الرايات العليا قد توجهت من الحاضرة دهلى إلى تلك الديار لفتح بلاد السند، وكان جيش ملوكه المظفر قد وصل بالقرب من أجه مع جيش الملك تاج الدين كزلك خان سنجر عليه الرحمة قبل ذلك بخمسة عشر يوما.

وكان أول شخص رأيته من ملوك هذا البلاط هو الملك تاج الدين كزلك خان يوم الأربعاء السادس عشر من شهر صفر سنة خمس وعشرين وستمائة عند وصولي من مدينة أجه إلى المعسكر المنصور، فعظم هذا الملك الملائكي السيرة هذا الداعي، وقام من فوق عرشه، وأدى واجبات الاستقبال، وتقدم وأجلس الداعي مكانه، وأعطاه تفاحاً أحمر في يديه وقال رحمه الله: "يا مولانا خذ هذه كي تكون فألاً طيباً".

وقد وجد الداعي الملك تاج الدين كزلك خان ملكاً ذا منظر مهيب جداً وطلعة جليلة وحسن عقيدة وحاشية كبيرة وخدم لا حصر لهم .

وقد روى الثقات أن السلطان السعيد شمس الدين كان قد اشتراه من الخواجه علي باستادی، حينما كان يحكم ولاية برن في عهد السلطان قطب الدين، وأهداه إلى ابنه الأكبر الملك ناصر الدين محمود السعيد طاب ثراه، فتربى معه في كنف الدولة في مكان واحد .

وبعد فترة عندما رأى السلطان أثر النضج يلوح في محياه، استعاده من خدمة الملك ناصر الدين لخدمته الخاصة، ووكّل إليه وظيفة تذوق الطعام.

وبعد مدة من قيامه بتلك الوظيفة صار أميراً للركائب. وبعد عام عندما ذهب للسلطان إلى ملتان في شهور سنة ثمان وعشرين وستمائة، وكلّ إليه ولاية ونجروت بملتان. وعندما عاد من هناك، فوضّ إليه إقطاع كهرام. وبعد مدة منحه بلاد تبرهنده.

وكان السلطان السعيد شمس الدين قد أرسل كزلك خان من حدود ولاية السند إلى أجه برفقة الملك عز الدين محمد سالاری (عليه الرحمة) طليعة للجيش في العام الذي وصل فيه الداعي إلى البلاط الأعلى، فلما عسكرت الرايات

الشمسية العليا أمام قلعة أجه فى شهر سنة خمس وعشرين وستمائة، أرسل الملك السعيد كزلك خان برفقة وزير الدولة نظام الملك جنيدى إلى بهكر.

وبعد مدة عندما فتحت قلعة بهكر وغرق الملك ناصر قباچه (عليه الرحمة) فى نهر السند، وتم الاستيلاء على قلعة أجه، أمر السلطان لكزلك خان بمدينة أجه وقلعتها وكافة نواحيها وأطرافها.

وعندما عادت الرايات العليا إلى دهلى حاضرة الملك العظمى، أعاد كزلك خان الأمور إلى نصابها فى تلك البلاد، وعمرها وجمع الناس بعد فرقة، وقضى الأيام مع الخلق من خاصة وعامة بإنصاف والطف، وسلك طريق العدل والإحسان مع الجميع، واجتهد فى أمن الرعية وأمانهم ورفاهية الجميع.

وبعد فترة انتقل كزلك خان من دار الفناء إلى دار البقاء فى شهر سنة تسع وعشرين وستمائة بخاتمة الخير وعصمة الإيمان والصدقات والإحسان والخيرات والمبرات.

الثانى الملك كبير خان إياز المعزى

كان كبير خان إياز تركيا روميا، وكان عبدا للملك نصير الدين حسين أمير الصيد، فلما استشهد نصير الدين وذهب أبناؤه إلى بلاد الهند ذهب كبير خان معهم، وصار موضع عناية السلطان السعيد شمس الدين، ومحل عطفه، وخدم السلطان فى كل مقام.

وكان كبير خان تركيا وعالما وعاقلا ومحنكا وكان وحيد عصره فى الشجاعة والقتال؛ فقد كان ملازما دائما خدمة مولاه ومخدومه الملك نصير الدين حسين الذى كان مشهورا فى بلاد الغور وغزنيين وخراسان وخوارزم كافة بالقتال والشجاعة فى شتى المجالات، لذا تعلم منه كبير خان دقائق فنون الحرب والشجاعة

والجسارة وذاع أمره. فلما استشهد الملك نصير الدين على يد أتراك غزنين، ووصل أبنائه وأخوه مهزومين إلى البلاط السلطاني، اشترى السلطان عز الدين كبير خان منهم.

ويروى البعض أنه تقلد وظائف متعددة، فعندما استعاد السلطان السعيد شمس الدين ملتان في شهور سنة خمس وعشرين وستمائة، منح مدينة ملتان وقلعتها وقصباتها وأطرافها ونواحيها إلى الملك عز الدين كبير خان إياز، ونصبه على ولاية تلك المنطقة وشرفه بلقب كبير خان فعرف به، وكان الناس قد أطلقوا عليه قائد الألف، ولهذا السبب كانوا يلقبونه بمكبرتي.

وعندما عادت رايات السلطان العليا إلى العاصمة، أمسك كبير خان بزمام الحكم في تلك الولاية وعمرها.

وبعد سنتين أو أربع سنوات استدعاه السلطان إلى العاصمة وأقطعته بلول ليعيش من دخلها. فلما انتهى العهد الشمسي، أقطعته السلطان ركن الدين فيروز شاه منطقة سنم، وعندما تواطأ الملك جاني من لاهور والملك كوچی من هانسي معا للخروج على الحاضرة، اتفق معهم كبير خان، وأثاروا الفرقة حيناً في جيش السلطان ركن الدين.

وفي النهاية عندما اعتلت السلطنة رضية العرش، جاء المتمردون إلى باب المدينة، وقاموا بمناوشات بالقرب من المدينة والأطراف المحيطة بها مدة طويلة، واشتبكوا بالقتال مع رعية دولة البلاط السلطاني.

إلى أن أبعدت السلطنة رضية كبير خان عن تلك الطائفة بالوعود الطيبة سرا، فالتحق بخدمة البلاط مع الملك عز الدين محمد سالاري. وبعودتهما تحققت القوة التامة للسلطنة والبلاط السلطاني ولأهل المدينة. وانهزم الملك كوچی

والملك جاني، فأكرمت السلطانة رضية كبير خان وفوضت إليه لاهور بكل أنحائها وأطرافها، حيث مكث هناك مدة .

وبعد فترة حدث خلاف بينه وبين السلطانة، فتحركت الرايات الرضوية العليا إلى لاهور في شهور سنة ست وثلاثين وستمائة، وانسحب كبير خان من أمامها، وعبر نهر راوى، وذهب حتى حدود سدره، فتعقبته السلطانة، ولما رأى أنه لا يوجد أمامه طريق آخر سوى الطاعة ، عاد إليها، فمنحته السلطانة ملتان.

وبعد مدة توجهت جيوش المغول برفقة منكوتة نوين وطاير بهادر إلى لاهور، فرفع كبير خان أعلام الحرب في ولاية السند، واستولى على أجه، والتحق برحمة الحق بعد ذلك العصيان بمدة قصيرة في شهور سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وكان ابنه تاج الدين أبوبكر إياز رجلاً فتياً قوياً طيب السيرة، ومهاجماً ممتازاً وشجاعاً، وبعد وفاة والده استولى على ولاية السند، وصد جيش القرلغيين^(٥) عدة مرات على باب ملتان وهزمه، وأظهر شجاعة فائقة وشهامة كبيرة، لذلك اشتهر بالرجولة والقتال، وقد التحق فجأة برحمة الحق في أيام الشباب وعنفوان الصبا.

رحمهما الله. آمين. وأدام سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين على العرش السلطاني وخلده.

الثالث الملك نصير الدين آيتمر البهائي

كان الملك نصير الدين آيتمر عبدا للملك بهاء الدين طغرل أحد ملوك السلطان معز الدين محمد بن سام. وقد روى البعض أن السلطان السعيد شمس الدين (طاب ثراه) كان قد اشتراه من ورثة بهاء الدين طغرل، وكان نصير الدين رجلا غايّة فى الشهامة ومحنكا وشجاعا وجريئا ومسيطرا وعادلا وعاقلا.

وفى أول الأمر عندما اختص بخدمة السلطان، صار رئيسا للحرس. وبعد مدة منحه السلطان إقطاع لاهور نظير ما قام به من أعمال جليلة.

وفى سنة خمس وعشرين وستمائة عندما جاء السلطان السعيد شمس الدين للاستيلاء على بلاد السند وأجه وملتان، جاء نصير الدين آيتمر من لاهور إلى قلعة ملتان بناء على الأمر، وأظهر آثارا طيبة فى فتح تلك المدينة.

وفى النهاية تم فتح ذلك الحصن وتلك المدينة صلحا، فلما عاد السلطان من بلاد السند إلى العاصمة، منح نصير الدين ولايات سواك وأجمير ولوه وكاسلى وسنبر نمك، وأعطاه فيلا، وخصه دون الملوك الآخرين بهذا التشريف. فلما ذهب إلى ولاية أجمير، أظهر الكثير من ضروب الشجاعة والبطولة فى الجهاد والغزو، ونهب ديار الهند الكفرة، وقام بأعمال عظيمة.

وقد قابله هذا الداعى مرة واحدة فى ولاية سنبر نمك، حيث نال إكرامه الوفير. والحق أنه كان (رحمه الله) ملكا حسن العقيدة.

وحدث أن ذهب نصير الدين فجأة إلى ولاية بندى بنية الغزو والجهاد، وقاتل الهند فى منطقة وعرة، حيث اضطر إلى عبور ممر مائى كان يوجد فى ذلك المكان، ولما كان السلاح الذى يحمله من دروع وعتاد ثقيل قد غرق، والتحق برحمته تعالى. عليه رحمة الله.

الرابع سيف الدين أيبك حاكم أجه

كان الخواجه سيف الدين أيبك عبداً للسلطان شمس الدين، وكان تركياً حسن العقيدة ذا شهامة وشجاعة. وكان السلطان قد اشتراه من جمال الدين چوبكار فى بداون.

وفى البداية صار رئيس الحرس، وأمر له السلطان بدخل عن هذا العمل من الأموال المصادرة، يبلغ ثلاثمائة ألف قطعة من الجيئل^(٦)، فلم يلتفت إلى هذه الأموال.

وحينما وصل هذا الخبر إلى المسمع السلطانية، سأله عن سبب عدم اكترائه بالأموال فقال: "لقد أسند إلى مولاي السلطان منذ البداية أعمال المصادرة، ولا يتأتى منى ظلم المسلمين والرعية ومصادرة أموالهم، فليأمر لى بعمل آخر".

فوثق السلطان به، وأعطاه نارنول، حيث خدم مدة فى تلك الولاية، ثم منحه إقطاع برن. وبعد ذلك أمر له بسنامش.

وعندما غزا سيف الدين أيبك لكهنوتى، وهزم بلكا الخلقى، رجع إلى العاصمة وكان كزلك خان قد التحق برحمة الحق تعالى فى أجه، فأمر السلطان السعيد شمس الدين (طاب ثراه) لسيف الدين أيبك بمدينة أجه وإقطاعها حيث ظل مدة فى تلك البلاد عدل فيها بين الرعية، وأقر النظام.

وبعد أن التحق السلطان برحمة الخالق، طمع الملك سيف الدين حسين قرلغ فى ولاية أجه، وقدم بجيشه من ناحية بانيان إلى أبواب أجه، فخرج سيف الدين أيبك من مدينة أجه بجيش معد، والتقى بهم، فجاء نصر الحق تعالى، وانهزم جيش القرلغيين، وعاد مدحوراً.

وكان هذا النصر عظيمًا حقًا في ذلك الوقت، فقد كانت عظمة مملكة الهند وهبتها قد تضاءلت في النفوس لموت السلطان (طاب ثراه) وكان الطمع الشديد في الاستيلاء على البلاد يتزاحم في رءوس الخصوم من أنحاء المملكة، فوهبه الحق تعالى هذا النصر، وبقي اسمه في تلك البلاد، وانتشر ذكره في بلاد الهند. وبعد هذا النصر بفترة وجيزة، وقع من فوق ظهر الحصان، فركله في مقتل فهلك. غفر له الحق تعالى، عليه الرحمة والمغفرة. والله هو الباقي والدائم.

الخامس الملك سيف الدين أيبك يغان نت

كان الملك سيف الدين أيبك يغان نت تركيا خطائيا، طيب الظاهر والباطن، وكان يتصف بسمات الرجولة. وقد اشتراه السلطان السعيد من ورثة اختيار الدين چست قبا، وخصه بقربه.

وفي البداية جعله السلطان أمير مجلس، ولما أدى خدمات جليلة في هذا العمل لفترة، عظمه السلطان وأقطعه ولاية سرستى. وخلال تلك الفترة القائمة على الإعزاز، أمر السلطان فأهداه كل واحد من الأمراء والملوك والخواص جوادا، فتحققت له بذلك القوة والمكنة.

وفي سنة خمس وعشرين وثمانئة عندما وصل الداعى إلى خدمة البلاط الأعلى في ولايتى أجه وملتان، كان الملك سيف الدين يشرف على إقطاع سرستى، ويحظى بقرب تام ومكنة كبيرة لدى السلطان. كما فوض إقطاع بهار نظرا لما قام به من خدمات جليلة لمدة طويلة.

وحينما عزل الملك علاء الدين جاني عن إقطاع لکهنوتى، فوض ذلك الإقطاع إلى الملك سيف الدين أيبك يغان نت، فأظهر شجاعة فائقة في تلك البلاد،

وحصل على عدد من الفيلة من ولاية بنك، أرسلها إلى البلاط الأعلى، فلقب من قبل السلطان بلقب يغان تت، وعظم بهذا الاسم.

وقد حكم بلاد لكهنوتى لمدة، والتحق (عليه الرحمة والرضوان) برحمة الحق فى سنة إحدى وثلاثين وستمائة. والله أعلم .

السادس الملك نصره الدين تاييسى المعزى

كان نصره الدين تاييسى عبدا للسلطان الشهيد معز الدين محمد بن سام، وكان تركيا ذا مظهر غير جميل، ولكن الحق تعالى كان قد زينه بجميع صفات الرجولة والإنسانية، فكان غاية فى الرجولة والشجاعة والمهارة فى القتال، كما كان يتمتع بعقل راجح.

وفى الوقت الذى التحق فيه كاتب هذه السطور منهاج بن سراج بالبلاط الشمسى العالى، كان نصره الدين تاييسى يباشر إقطاع جنيد وبرواله.

وبعد مدة من قيامه بخدمات جلييلة، وبعد فتح قلعة كالبيور بعامين، أقطعه السلطان الشهيد شمس الدين (طاب ثراه) بيهيانه وسلطانكوت، وأمر له برئاسة شحنة ولاية كالبيور على أن يتخذها مقاما وسكنا، وعينت له جيوش قنوج ومهر ومهاون جميعها، حتى يمكنه الزحف بالجيش إلى حدود كالنجر وجنديري.

وفى شهر سنة إحدى وثلاثين وستمائة زحف نصره الدين بالجيش من كالبيور حتى أطراف بلاد كالنجر، حيث انهزم أمامه ملك كالنجر، فنهب نصره الدين قصبات تلك الولاية، وحصل على غنائم كثيرة فى مدة قصيرة، بحيث بلغ الخمس السلطانى خلال خمسين يوما حوالى خمسة وعشرين لكا^(٧).

وأثناء العودة قطع ملك أجار المسمى جاهر الطريق على جيش الإسلام،
وسد الطريق فى المضايق الموحلة العميقة، ووقف على قارعة الطريق مستعداً
للحرب.

واستولى بعض الضعف على نصرة الدين تايسى، فقسم الجيش إلى ثلاثة
أفواج تتجه إلى ثلاثة طرق، فجعل فوجاً للفرسان، وآخر للمؤنة واحتياجات الجيش
ومعهم أمير، وثالثاً للمواشى والأغنام ومعهم أمير.

وقد سمعت من قوله: "لم يراى شخص فى بلاد الهند ظهري قط بفضل الله،
أما فى ذلك اليوم فقد هجم على الهندى مثلما يهجم الذئب على قطيع الغنم، فقسمت
الجيش إلى ثلاثة أفواج: فلوالتقى الهندى بى وبفرسانى سلمت المواشى والمؤن
ونجت، أما إذا كان ينوى اغتصابها، أتعبه أنا وأنصارى ونكتفى شره. وحدث أن
جاء ذلك الهندى مع جيشه، وهبنا الحق تعالى النصر، وانهزم الهندى، وقتل
كثيرون، وعدت سالماً بالغنائم إلى قلعة كاليور".

وقد ذاعت فى هذا الجيش حكاية تدل على كمال كياسته، نقصها لفائدة
القراء: "ذلك أنه فى هذا السفر فقدت نعجة من جملة مواشيه، ومضى على فقدتها
قراية شهر ونصف شهر، وبعد أسبوع واحد من مقامهم فى المعسكر والخيام،
وذات يوم بينما كان كل شخص يعد شيئاً للاستظلال به، ونصرة الدين تايسى
يطوف بالمعسكر، إذ سمع فجأة صوت النعجة، فقال لخواصه: "هذا صوت
ماشيتى"، فقصدوا إلى تلك الناحية، ووجدوا الأمر على نحو ما قاله الامير الغازى
(عليه الرحمة) فأعادوا تلك النعجة".

وكانت له آثار أخرى كثيرة تدل على كياسته وحنكته فى هذه الحرب، نقص واحدة منها وهى: " أنه فى الوقت الذى انسحب فيه ملك كالنجر من أمامه وانهزم، تعقبه نصره الدين تاييسى، واستخدم مرشدا هندية، وسار الاثنان فى إثر المهزومين طوال الليل والنهار، حتى كانت الليلة الثانية وبعد أن انقضى نصف الليل قال المرشد الهندى: " لقد أخطأت الطريق، ولا أعرف أكثر من ذلك". فأمر نصره الدين بقتله، وقاد جيشه بنفسه، حتى وصل إلى مكان عال، حيث كان المهزومون قد جمعوا الماء، كما بالث دوابهم هناك، وتكلم كل واحد من جنود المسلمين قائلا: "إن الوقت ليل، وربما لا يبدولنا العدو، فنقع فى وسط جيشه". فترجل نصره الدين عن جواده، وطاف حول ذلك المكان، حيث رأى مخلفات جياد الكفار، فقال: " اطمئنوا يا رفاق إنها مؤخرة الجيش، بدليل أن هذه الآثار لو كانت للقلب أو المقدمة، لظهرت فى هذا المكان آثار أقدام باقى الجيش، ولا يوجد فى هذا المكان أى آثار أقدام، فتشجعوا لأننا سنتعقب الأعداء". واعتلى نصره الدين جواده علامة على النصر، فلقق بهؤلاء الكفار صباحا، وقتلهم جميعا، واستولى على راية ملك كالنجر، وعاد من تلك الحرب سالما .

وبعد ذلك عندما انتهى عهد السلطان ركن الدين فيروز شاه، وتمرد ابنه الملك غياث الدين محمد شاه فى أوده، أسندت السلطنة رضىة هذه الولاية إلى نصره الدين تاييسى.

وحينما جاء الملك جاني والملك كوچى إلى أبواب مدينة دهلى، وقاما بالعصيان، توجه نصره الدين من أوده إلى بلاط السلطنة للمساعدة، فقطع كوچى طريقه فجأة، وقبض عليه، وكان المرض يسيطر على نصره الدين، فالتحق برحمة الله تعالى فى ذلك المرض. ليرحمه الحق تعالى.

السابع الملك عز الدين طغان خان طغرل رحمه الله

كان الملك طغان خان تركيا حسن الوجه، طيب السيرة، وأصله من قبائل القراخانيين^(٨)، وكان يتصف بسجايا المروءة والشهامة، وينحلي بالأخلاق الحميدة والصفات الطيبة، ولم يكن له ثأن في ذلك الزمان في البذل والمروءة واللفف والشهامة واصطناع الناس.

وفى البداية عندما اشتراه السلطان شمس الدين صار ساقيا خاصا، ولما أمضى مدة فى هذا العمل، صار رئيس ديوان الإنشاء.

وحدث أن اختفت فجأة الدواة المرصعة الخاصة بالسلطان، فأدبه السلطان، وبالغ فى تأديبه، ثم منحه خلعة، وصار ذواقة للطعام، وبعد مدة صار أمير الركائب السلطانية. ثم أقطع بذاون فى شهور سنة ثلاثين. وحينما أقطع يغان نت ملك لكهنوتى، أسند ولاية بهار إلى طغان خان.

وعندما توفى يغان نت أقطع طغان خان بلاد لكهنوتى، فاستقرت له الأمور فيها. وبعد وفاة السلطان السعيد شمس الدين (طاب ثراه) حدث خلاف بينه وبين أيبك صاحب إقطاع بلكهنوتى كان بلقب باورخان، وكان تركيا غاية فى الشجاعة فتحارباً أمام مدينة بنكوت فى لكهنوتى، وأثناء الحرب رماه طغان خان طغرل بسهم أصاب منه مقتلاً فاستشهد، وبذلك عظم اسم طغان خان طغرل.

فقد كان فى بلاد لكهنوتى ناحيتان الأولى تسمى أرال وتقع على طرف لكهنوتى والثانية تسمى برند، ظلنا غير تابعتين لطغان خان لفترة، بينما استسلمت له الناحية الواقعة على طرف ديوكوتست.

وعندما وصلت السلطنة رضية إلى الحكم، أرسل طغان خان وفدا من عظماء الولاية إلى البلاط العالى، فشرف بالعلم والرايات الحمراء، ووجد إعزازا وافرا، ثم ذهب من لكهنوتى إلى بلاد ترهت، وحصل على أموال نفيسة.

ولما اعتلى السلطان معز الدين بهرام شاه عرش الملك، احتفظ طغان خان بالمكانة نفسها لديه، فاستمر فى إرسال هداياه القيمة إلى البلاط.

وعندما انتهى العهد المعزى، وفى أوائل العهد العللى، كان مولاه بهاء الدين هلال سوريانى يحرضه على الاستيلاء على بلاد أوده وكره ومانكپور وبلاد أخرى.

وفى شهور سنة أربعين وستمائة، حينما وصل الداعى إلى أوده وهو فى طريقه مع أتباعه وأبنائه من الحاضرة دهلى إلى لكهنوتى، كان طغان خان قد وصل إلى كره ومانكپور، فالتحق الداعى بخدمته، وظل معه مدة فى تلك الأنحاء، ثم عاد طغان خان إلى ناحية لكهنوتى ورافقه الداعى.

وفى شهور سنة إحدى وأربعين وستمائة، بدأ ملك جاجنجر فى مضايقة ولاية لكهنوتى، فتوجه طغان خان فى شوال سنة إحدى وأربعين وستمائة إلى ولاية جاجنجر، وكان الداعى يصاحبه فى هذا الغزو.

وعندما وصل طغان خان إلى كتاسين على حدود جاجنجر يوم الثلاثاء السادس من شهر ذى القعدة سنة إحدى وأربعين وستمائة حشد الجيش، وبدأ الحرب، وعبر الأبطال المسلمون خندقين وانهزم الكفار الهنود لدرجة رأى معها هذا الداعى بعضا من العلف الذى كان أمام أفيالهم قد أصبح فى متناول جيش المسلمين.

أما طغان خان فقد أمر بألا يضايق أحد الفيلة، ولهذا السبب خمدت نار الحرب المضطربة، فلما انتصف النهار وأثناء المعركة عاد كل واحد من مشاة جيش المسلمين لتناول الطعام.

لكن الهنود حاربوا من الجهة الأخرى واستولوا على خمسة أفيال، وطوق ما يقرب من مائتي راجل وخمسين فارسا جانبا من جيش الإسلام من الخلف، فحلت الهزيمة بالمسلمين، واستشهد جمع منهم، وتقهقر طغان خان مهزوما من هناك، وعاد إلى لكهنوتى، وأرسل شرف الملك الأشعري إلى الحضرة العلانية طلبا للمدد.

وبناء على الأمر العالى تحرك القاضى جلال الدين الكاشانى (عليه الرحمة) بمصاحبة شرف الملك من الحاضرة إلى لكهنوتى بالخلعة والعلم الأحمر والإعزاز الوافر والإكرام الشامل، كما تحرك جنود الهند براية الجهاد برفقة تمرخان قمر الدين قيران صاحب إقطاع أوده لدفع كفار جاجنغر.

وفى هذه الشهور نفسها توجه ملك جاجنغر إلى لكهنوتى للانتقام من نهب كتاسين الذى حدث منذ عام وذكر قبل ذلك.

وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من شهر شوال سنة اثنتين وأربعين وستمائة، وصل جيش كفار جاجنغر المحتشد بالأفيال والمشاة والفرسان بالقرب من لكهنوتى.

فخرج طغان خان من المدينة لملاقاتهم. وكان الكفار حينما خرجوا من حدود ولاية جاجنغر قد استولوا أولا على لكهور، وقتلوا صاحب إقطاعها فخر الملك كريم الدين لاغرى مع جماعة من المسلمين. ثم جاءوا إلى أبواب لكهنوتى.

وفى اليوم الثانى وصل الرسل من الأطراف الشمالية، ورفعوا أعلام جيش الإسلام، معلنين وصولهم بالقرب من باب لكهنوتى، فاستولى الخوف على جيش الكفار فعادوا.

وعندما وصل جيش الشمال إلى لكهنوتى، ظهر الشقاق بين طغان خان وتمرخان، وتحاربا، وجرى قتال أمام باب لكهنوتى بين فريقى المسلمين من الفجر حتى الضحى، وسعى جمع من الناس بالصلح بينهما، فترجع كل من الجيشين إلى معسكره.

وحينما كان طغان خان على أبواب المدينة، وفى الوقت الذى نزل فيه إلى خيمته، عاد جميع رجاله إلى معسكراتهم. وبقي طغان خان وحيدا.

وعندما عاد تمرخان إلى معسكره، كان مستعدا بالسلاح، فما أن سنحت له الفرصة، وعلم أن طغان خان بمفرده فى معسكره وخيمته، حتى اتجه بكل جيشه إلى معسكر طغان خان، فاضطر طغان خان إلى الحرب وانهزم، وجاء إلى المدينة. وكانت تلك الواقعة يوم الثلاثاء الخامس من شهر ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين وستمائة.

وعندما دخل طغان خان المدينة، وسط داعى الدولة منهاج بن سراج، وأرسله لطلب الصلح والأمان، فاستحكم العهد والأمان بينه وبين تمرخان، على أن تسلم لكهنوتى إلى تمرخان، وأن يرحل طغان خان بخزائنه وأفياله وأتباعه وأشياعه إلى السلطان. وبهذا سلمت لكهنوتى.

وجاء الملك طغان خان مع الملك قراقش خان والملك تاج الدين سنجر وضاء الجبين وأمراء الحضرة إلى البلاط السلطانى، ورجع الداعى مع الأتباع برفقتهم إلى الحاضرة، ووصل إلى البلاط الأعلى يوم الاثنين الرابع عشر من شهر صفر سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وبعد أن وصل طغان خان إلى الحاضرة، خص بإعزاز وإكرام وإقرين، وفوض إليه إقطاع أوده في ربيع الأول من العام نفسه، وأغدقت عليه إنعامات كثيرة.

وعندما ازدان عرش السلطنة بعظمة ملك السلطان ناصر الدنيا والدين، عاد طغان خان إلى أوده في شهور سنة أربع وأربعين وستمائة.

وبعد مدة قصيرة التحق طغان خان برحمة الحق تعالى في ليلة الجمعة، ومن عجائب التقديرات الإلهية أنه عندما حدثت الخصومة والنزاع بين طغان خان وتمرخان قيران، واستولى كل واحد منهما على ولاية الآخر، كان موتهما في ليلة واحدة، إذ توفي الأول في أول الليل، والثاني في آخره.

وفي هذا المعنى نظم سيد الأكابر والأصاغر شرف الدين البلخي شعرا:

- في الجمعة الأخيرة من الشهر المسمى شوال

• في التاريخ الهجري والمساوي لقيمة الخاء والسين والذال^(٩)

- رحل عن الدنيا تمرخان وطغان خان

هذا في أول الليل وذلك في آخره

وقد مات تمرخان في كهنوتي، ومات طغان خان في أوده، بحيث لم يعرف أحدهما أثناء حياته بموت الآخر.

ليكن لقاؤهما في حضرة العزة وفي الآخرة. والله أعلم بالصواب.

الثامن الملك تمرخان

كان الملك تمرخان تركيا محمود السيرة وطيب الأخلاق وغاية في الشجاعة والشهامة والبراعة في الكر والفِر، وكان أصله من القبچاق ويتمتع بوجه جميل ولحية طويلة.

وفي البداية اشتراه السلطان شمس الدين من أسد الدين منكلى أخى الملك فيروز بمبلغ خمسين ألف چيتل، وحدث أن وقع ابن ملك جندوال المسمى له في يد تمرخان فجأة أثناء حرب جندوال، فحمّله إلى السلطان، فحاز القبول لذلك.

ثم صار نائبا لطغان خان أمير الركائب آنذاك حيث قام بخدمات جليلة. وبعد أن تم إسناد بداون إلى طغان خان ، صار تمرخان قيران أميراً للركائب.

وفي عهد السلطنة رضية عليها الرحمة أقطع تمرخان قنوج. وقد توجه في ذلك العهد على رأس جيوش الإسلام إلى كالپور ومالوه بناء على الأمر الأعلى، فأظهر آثارا جليلة في تلك الحرب.

وبعد ذلك عندما عاد إلى الحاضرة فوض إليه إقطاع كره، حيث قام بغزوات كثيرة في تلك الأنحاء كما قام بقيادة الجيش على أكمل وجه.

وعندما انتقل نصره الدين تايى إلى رحمة الحق تعالى، وكان صاحب إقطاع أوده صارت ولاية أوده وتوابعها تابعة لتمرخان قيران الذى قام بأعمال عظيمة في تلك البلاد حتى حدود ترهت، وفاز بغنائم كثيرة، واستولى على أموال وافرة من ملوك الهند وأمرائها ومتمردي تلك الديار، كما أغار على ولاية بهتيكوره عدة مرات، واستولى على أموال منها.

وفى شهور سنة اثنتين وأربعين وستمائة حينما كان طغان خان فى الحاضرة قادما من لكهنوتى، توجه تمرخان إلى ناحية لكهنوتى (وقد ذكر قبل هذا الفصل إلى أى مدى انتهى أمره مع طغان خان) ونقل عتاده كله من أوده إلى لكهنوتى، وظل بها مدة عامين يقود الجيوش، وتحقق له النجاح، ثم التحق برحمة الحق، وكان موت طغان خان فى تلك الليلة نفسها أيضا فى طريق أوده.

ولما كان ابن الملك يغان تت تحت إمرة تمرخان وكان يحافظ على حسن عهده، فقد أحضره من لكهنوتى إلى أوده ودفنه هناك (عليه الرحمة والمغفرة) والله أعلم بالصواب.

أدام الله تعالى سلطان الإسلام على عرش السلطنة.

التاسع الملك هندوخان مؤيد الدين المبارك الخازن

كان هندوخان مهتر المبارك أصلا من مهر، وعندما أحضر إلى السلطان قطب الدين، اشتراه من فخر الدين الأصفهانى. وكان هندوخان رجلا غاية فى طيب السيرة وحسن الأخلاق وصفاء العقيدة، وقد حظى بمكانة كبيرة لدى السلطان، فكان موضع ثقته التامة، وموضع الاحترام والتوقير منذ بداية أمره وحتى نهاية حكم شمس الدين وحكم رضىة.

وكان هندوخان صاحب الخزانة، وقد قام بخدمات جليلة، حيث كان يهتم برجال الدولة العظام جميعا الذين وصلوا إلى مناصب الملك ومراتب العظمة ويرعاهم، فكان كالأب للجميع مشفقا وعطوفا.

وفى بداية خدمته للسلطان قطب الدين صار حارسا للفهود، ثم أصبح المشرف على المشاعل فى حدود ولاية برن، وكانت تابعة للسلطان.

وفى ذلك العهد سيره السلطان قطب الدين إلى إحدى القبائل الهندية الثائرة. وفى هذا الغزو ألقى هندوخان المبارك برجل هندى على سفود المشعل فقتله. وقد أسند إليه السلطان شئون الطشت فخدم مدة طويلة فى تلك الوظيفة.

ولما انتظم أمر المملكة للدولة الشمسية وأصبح مهتر المبارك صاحب الخزانة، ظل حتى آخر عمره لا ينفذ يده من القوامة على شئون الطشت^(١٠). وهكذا كان يعمل طشتدارا خاصا.

وعندما نزل السلطان السعيد شمس الدين بالقرب من كاليور المحروسة، وفتح تلك القلعة، كان الداعى للدولة منهاج بن سراج يعقد مجلس الوعظ والإرشاد فى ذلك الجيش مرتين فى الأسبوع لمدة سبعة أشهر على أبواب الخيمة السلطانية وفقا للأوامر، وفى شهر رمضان والعشر الأول من كل من ذى الحجة والمحرم كان يعقد مجالس الوعظ والإرشاد يوميا.

ولما كان السلطان قد أقر حقوق الدعاء بعد الفتح، فقد أسند إلى هذا الداعى جميع الأمور الشرعية لهذه القلعة. وكان هذا التفويض فى شهر سنة ثلاثين وستمئة.

وخلاصة القول أن مهتر هندوخان المبارك حضر بنفسه إلى الخزانة العليا أثناء القيام بالأمور الشرعية وطقوسها، وبذل كثيرا من اللطف والتشجيع بحيث صار الداعى أسير إكرامه. تقبل الله منه وأنزل عليه رحماته.

وعندما انقضى العهد الشمسى، فوضت ولاية أجه وقلعتها إلى هندوخان فى عهد السلطنة رضية. وعندما اعتلى السلطان معز الدين العرش، أقطع جالندر. ثم جاء من تلك البلاد إلى الحضرة السلطانية، ولحق برحمة الحق تعالى.

العاشر الملك اختيار الدين قراقش خان آيتگين رحمة الله عليه

كان الملك اختيار الدين قراقش خان آيتگين من قبائل القراخطائين ومن قدامى العبيد، وكان رجلا غاية فى حسن السيرة والرجولة وصفاء العقيدة، كما كان يتحلى بشيم الرجولة والشجاعة.

وعندما اشتراه السلطان شمس الدين (طاب ثراه) صار الساقى الخاص، حيث خدم مدة طويلة، ثم أسند إليه إقطاعى بريهون ودرنكوان. وبعد ذلك صار حاكما لنواحى تبرهنده لعدة سنوات، ثم فوض إقطاع ملتان بعد كبير خان فى عهد السلطان السعيد أيضا، وصار لقبه قراقش خان.

ولما انتهى العهد الشمسى، استعادت السلطنة رضية لاهور من كبيرخان، وفوضت إليه ملتان (كما سبق ذكره وسوف يأتى ذكر أحداث الملك قراقش فى لاهور وتمرده ضمن حوادث الكفار وحادثه لاهور إن شاء الله تعالى) وقد أسندت السلطنة رضية ولاية بهيانه إلى قراقش خان فظل فترة بتلك الناحية.

فلما بدأ عهد السلطان معز الدين، وثار الأمراء، ذهب الملك قراقش مع الملك يوزبك إلى الحاضرة. ولما كان فخر الدين مبارك شاه الفرخى يستعدي السلطان على ملوك الترك وأمرائهم، فقد تغير السلطان معز الدين على الملك قراقش والملك يوزبك وقبض على الاثنين.

وبعد فتح المدينة بمدة قصيرة، اعتلى الملك علاء الدين العرش، وصار قراقش خان أميراً للحجاب. وبعد مدة منح بهيانه فى يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة أربعين وثمانئة. وبعد فترة أسندت إليه كره، فجاء من هناك بجيش برفقة الملك قيران تمرخان إلى لكهنوتى وعادا مع طغان خان.

فلما ازدان عرش الملك جمالا وبهاء بالعظمة الملكية لسلطان العالم ناصر الدنيا والدين، استشهد قراقش خان فى سنة أربع وأربعين وثمانئة عند حدود كره. عليه الرحمة والغفران.

الحادى عشر الملك اختيار الدين التونيه صاحب تبرهنده

كان الملك اختيار الدين التونيه صاحب تبرهنده ملكا عظيما غاية فى الشجاعة والجلد والرجولة والجرأة. وقد اتفق جميع ملوك ذلك العهد على رجولته وشجاعته، وكان الملك اختيار الدين أثناء أسر السلطانة رضية (طاب ثراها) قد اشتبك فى معارك مع الجيش المتمرّد عدة مرات، وأبدى شجاعة فائقة.

وفى البداية عندما اشتراه السلطان السعيد شمس الدين صار ساقيا. وبعد مدة عندما ظهرت على محياه دلائل المجد والرجولة صار صاحب المظلة. وعندما انتهى العهد الشمسى أسندت إليه برن أثناء حكم رضية، وبعد ذلك منح تبرهنده.

وعندما تغيّر ملوك الترك وأمراؤهم ممن كانوا عبيدا لشمس الدين على السلطانة رضية بسبب نفوذ جمال الدين ياقوت الحبشى، واستحكم عقد المودة والمحبة بين الملك اختيار الدين التونيه وبين الملك اختيار الدين آيتگين أمير الحجاب، وتدعم صرح الاتحاد بينهما أخبره اختيار الدين آيتگين بذلك التغيّر، فبدأ اختيار الدين التونيه العصيان فى الخفاء فى قلعة تبرهنده، وخلع ربة طاعة

السلطانة من عنقه فتوجهت السلطانة بقلب جيئها في قيظ الصيف من الحاضرة إلى تبرهنده (كما سبق ذكره) وعندما سجنّت السلطانة رضية، وعاد الملوك والأمراء إلى الحاضرة، واعتلى السلطان معز الدين عرش السلطنة، تزوج اختييار الدين التونسي السلطانة رضية التي كانت في الحبس آنذاك، وبدأ التمرد بسبب ذلك الزواج.

وبعد أن استشهد الملك اختييار الدين آيتگين، وصار بدرالدين سنقر الرومي أميراً للحجاب، أخرج الملك اختييار الدين التونسي السلطانة رضية من تبرهنده، وجمع الجيوش واتجه معها إلى العاصمة، وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة.

وعندما عادا مهزومين من العاصمة، وأسرت السلطانة رضية على حدود كيتهل، أسر اختييار الدين التونسي عند حدود منصور پور، واستشهد في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وستمائة. أدام الله السلطان الحالي. آمين يا رب العالمين.

الثاني عشر اختييار الدين آيتگين عليه الرحمة

كان الملك اختييار الدين آيتگين من القراخانيين، وكان تركيا فاضلا ورجلا طيب السيرة حسن الوجه ذا هبة وعقل وكياسة تامة. وقد اشتراه السلطان من الأمير أيبك سنامي فأحسن أداء الخدمة للسلطان في كل منصب تولاه، وبذلك استحق العواطف الملكية والتقدير السامي .

وفي البداية كان رئيسا للحرس الخاص، وبعد مدة عندما ظهرت مخايل الرشد على ناصيته فوض إقطاع منصور پور. وبعد مدة منح كوجات ونندنه، فأدى

خدمات جليلة فى تلك المناطق. وحينما آل العرش إلى السلطنة رضية (طاب مرقدها)، أدى لها خدمات قيمة فاستدعته السلطنة إلى العاصمة، وأقطعته بداون.

وبعد فترة وصل إلى منصب أمير الحجاب، ولكن بسبب قرب جمال الدين ياقوت الحبشى من السلطنة، انصرف جميع ملوك الترك والغنور والتاجيك وأمرائهم عن خدمة البلاط، فاختلفت أمورهم خاصة اختيار الدين آيتگين وكان أمير الحجاب (كما سبق ذكره عند الكلام عن السلطنة رضية) ولهذا السبب استشهد جمال الدين ياقوت وأشاح الحظ بوجهه عن السلطنة رضية.

وفى هذا يقول شاعر عذب البيان هذا المثنوى:

- لوى الحظ عنائه عن حياتها

عندما رأى غبارا أسود يلوث أنيالها

وآل العرش إلى معز الدين. وفى يوم البيعة حينما أجلسوا السلطان على العرش فى قصر الحكم، وتم استدعاء الملوك والأمراء والعلماء والصدور وأكابر الجيش ورجال البلاط للبيعة العامة فى البلاط الأعلى، بايع الجميع السلطان معز الدين على أن يكون اختيار الدين آيتگين نائبا له.

وقد اتفق اختيار الدين مع السلطان معز الدين على أن يستأنس به.

إلى أحد الأتباع لمدة عام بسبب صغر سن السلطان، فأصدر السلطان أمرا بهذا.

وعند التنفيذ احتال آيتگين بالاتفاق مع الوزير الخواجه نظام الملك مهذب الدين واستولى على مقاليد الأمور، وطلب من السلطان شارة الملك من البحر والفيلى، كما تزوج إحدى شقيقاته، فصارت كل أمور المملكة تابعة له، مما أثار الغيرة فى قلب السلطان، فحاول قتله فى إخفاء عدة مرات، ولم يتمكن من ذلك.

وفى يوم الاثنين الثامن من شهر محرم سنة ثمان وثلاثين وستمائة (كما قيل) ذهب قائد الجيش أحمد سعد (عليه الرحمة) فى الخفاء إلى السلطان، وعرض عليه خطة؛ فقد كلفوا عددا من الأتراك وأمروهم فنزلوا سكارى من القصر الأبيض، واقتحموا البلاط، وقتلوا اختيار الدين آيتگين بطعنة سكين، ثم طعنوا الخواجه مهذب الدين الوزير عدة طعنات، لكنه هرب جريحا من أمامهم ونجا. والله أعلم بالصواب.

الثالث عشر الملك بدر الدين سنقر الرومى. عليه الرحمة

كان بدر الدين سنقر رومى الأصل، وقد روى بعض النقات أنه كان ابنا لرجل مسلم ووقع فى الأسر. والحق أنه كان رجلا غاية فى حسن السيرة وذا جمال وعظمة وحسن أخلاق ومتواضعا وصاحب شفقة ومحمود الخصال وسائسا للناس.

وفى البداية عندما اشتراه السلطان شمس الدين صار طشتدارا، وبعد مدة طويلة من قيامه بهذه الخدمة أصبح قائما على شئون الصيد، ثم حارسا لمخازن السلاح فى بداون.

وبعد مدة صار نائبا لأمير الحجاب. وقد أدى خدمات جليلة للسلطان فى كل عمل أسند إليه. وحينما صار نائبا لرئيس الركائب، لم يغب لحظة عن البلاط الأعلى إلا لقضاء مهمة ضرورية، فكان يلزم عتبة بلاط السلطنة فى السفر والحضر.

وقد خص كاتب هذه السطور بالطاف وإنعامات كثيرة فى كاليور المحروسة، وأعزه وأكرمه لدرجة لا تزايل معها صورة هذه الإنعامات خاطر الداعى قط. فليرحمه الحق تعالى.

وكانت السلطنة رضية قد منحت بدر الدين بداون في شهر سنة ست وثلاثين وستمائة أثناء حكمها. وعندما استشهد اختيار الدين آيتگين في العهد المعزى، استدعى السلطان معز الدين بدر الدين سنقر من بداون حيث صار أميراً للحجاب.

وعندما توجه اختيار الدين التونيه مع السلطنة رضية من تبرهنده إلى الحاضرة ووصلا إلى حدود دهلى، أظهر بدر الدين سنقر الرومى آثاراً حميدة فى دفع تلك الفتنة.

وبعد مدة قصيرة ظهرت العداوة بين بدر الدين وبين الخواجه نظام الملك مهذب الدين الوزير لسبب بسيط لا يستحق الذكر. وكانت تلك العداوة تزداد يوماً بعد يوم، لهذا أثار الخواجه مهذب الدين حفيظة السلطان عليه فلم يعد للسلطان ثقة فيه، ولم يعد له بالتالى ثقة فى السلطان، فجمع أكابر الحاضرة فى قصر سيد نَاج الدين الموسوى للقيام بثورة على السلطان.

وفى يوم الاثنين العاشر من صفر سنة تسع وثلاثين وستمائة، أخبر الخواجه مهذب السلطان بهذا الوضع، ودعاه إلى الاستعداد، وبدأ بدر الدين سنقر فى تحقيق هذه الفكرة، وتوجه فى اليوم نفسه إلى ناحية بداون.

وبعد مدة أعاده قدره إلى الحاضرة، دون الحصول على إذن بالمجىء، فجاء إلى دهلى، ونزل فى معسكر الملك قطب الدين حسن (عليه الرحمة) عساه يجد الأمان فى حماه، فصدر الأمر من البلاط بأسره وتقييده. وظل فى الحبس والقيد فترة حتى استشهد ليلة الأربعاء الرابع عشر من شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وستمائة. عليه الرحمة والمغفرة.

الرابع عشر الملك تاج الدين سنجر قتل

كان الملك تاج الدين قتل رجلا كاملا، أصله من القبايق، وكان غاية في الشجاعة والرجولة والشهامة والمهارة والجلد، بلغ الكمال في جميع الصفات، وكان بالغ الصلاح والطهر، ولم يرتكب منكرا قط.

وكان السلطان السعيد شمس الدين قد اشتراه من الخواجه جمال الدين نريمان. وفي البداية عمل تاج الدين سنجر رئيسا للحرس، وبعد فترة تولى حراسة الركائب. وقد أدى خدمات قيمة للسلطان في كل وظيفة تولاها، فلما انطوى العهد الشمسي وآل العرش إلى السلطنة رضية فوض برن، واتجه على رأس جيش إلى كاليفور.

وفي شعبان سنة خمس وثلاثين وستمائة، خرج كاتب هذه السطور الداعي للدولة القاهرة منهاج بن سراج برفقة تاج الدين سنجر من كاليفور المحروسة، والتحق بخدمة السلطنة رضية.

وخلال الطريق أمر لي بنعم والطف كثيرة لا يحيط بها وصف. فأنشأ الرحيل من كاليفور نقل صندوق الكتب الخاصة بهذا الداعي على جملة الخاص وأوصلهما إلى مهاون، وكان يهب الداعي إنعامات وافرة من أوقات إلى أخرى. ليتقبل الحق تعالى منه ما قدم وليرحمه.

وبعد أن عاد تاج الدين سنجر إلى الحاضرة أقطع ولاية سرستي. وحينما آل العرش إلى معز الدين أدى تاج الدين خدمات كثيرة، ولما انتهى العهد المعزي، وآل العرش إلى علاء الدين أقطع بداون.

وفى شهور سنة أربعين وستمائة أطاح بثوار كاتھتيھر فى بڊاون، وجاهد جهادا كبيرا وبنى المساجد الجامعة فى عدة أماكن، وأقام المنابر، ورتب الخطب، وجمع جيشا كبيرا، وأعد ثمانية آلاف فارس وعددا كبيرا من المشاة، وقرر أن يزحف بالجيش إلى ولايتى كالنجر ومهوبه ويستولى عليهما، فحقد عليه البعض لكثرة جنده وموفور عدته وعتاده، وبالحق قوته وهيبته وشجاعته فى قيادة الجيش.

فسولت لهم أنفسهم، وسول لهم الشيطان أن يدسوا له السم فى طعام التانيول، وأعطوه له فابتلى بمرض البطن، ولحق برحمة الحق بعد فترة نتيجة لهذا المرض. ليجعل الله سبحانه وتعالى دعاء هذا الداعى واقيا بحقوق ذلك الملك طيب السيرة لديه.

وهذه واحدة من إنعاماته: فى شهور سنة أربعين وستمائة عندما قرر الداعى السفر من الحاضرة دهلى إلى لكهنوتى، وأرسل أتباعه قبله إلى بڊاون، أمر هذا الملك طيب السيرة بمعاش لأتباع هذا الداعى وأبنائه، كما جاد لهم بأنواع من النعم والإكرام.

وعندما وصل الداعى بعد خمسة أشهر إلى بڊاون فى إثر أتباعه أمر له بإنعامات كثيرة، وأعزه بما يعجز القلم عن تصويره، وعين له إقطاعا فى بڊاون، وغمره بموفور الألفاف والإكرام، ولكن لما كان القدر والرزق يجتذبان الداعى إلى لكهنوتى، وقضاء السماء يشده إليها، لذا فقد ذهب إلى هناك.

تقبل الحق تعالى تلك الألفاف من ذلك الملك عطر السيرة، وخلد السلطان المعظم على عرش الملك. والله هو الباقي والدائم.

الخامس عشر الملك تاج الدين سنجر كريت خان

كان الملك كريت خان من أتراك القبچاق، وكان غاية في الرجولة والشهامة والشجاعة والحكمة والجلد بحيث كان فريدا بين المقاتلين في جميع صفوف جيش الإسلام، ولم يكن له ثان في السلاح والفروسية، بحيث إنه كان له حصانان معدان للركوب فكان يركب فوق واحد منهما، ويمسك بلجام الآخر ويهاجم، وبين اندفاع الجوادين كان يقفز من واحد إلى الآخر ثم يرجع إلى الأول بسرعة.

وقد حدث عدة مرات أنه كان يمتطى الحصانين أثناء سيرهما، وكان في قذف السهام من المهارة بحيث لم ينح أي خصم قط من إصابة سهمه في ساحة حرب، ولا أي حيوان في حلبة صيد. ولم يكن يصطحب في الصيد فهذا أوصقرا أوكلب صيد، بل كان يقضى على الجميع بإصابة سهمه، وفي كل دغل كان يصطاد فيه كان يتقدم دوما مرافقيه وأتباعه، كما كان أميرا للبحر والسفن، وكان غاية في المحبة والمودة لهذا الداعي.

ليشمه الله تعالى بغفرانه.

وفي البداية عندما خرج أترك السلطان على الخواجه مهذب الوزير في الثاني من شهر جمادى الأولى سنة أربعين وثمانئة، كان كريت خان هوزعيم ثوار تلك الطائفة. وقد ضربه كبير الحجاب الجتاني^(١١) و غلام الخواجه مهذب بالسيف في وجهه فأصابه بجرح بحيث ظل أثره باقيا على وجهه.

وعندما استشهد الخواجه مهذب، صار الملك كريت خان حارسا للقلعة. وبعد ذلك أصبح رئيسا للحرس، ثم فوض برن ثم أوده، حيث جاهد كثيرا في تلك الديار وأظهر كثيرا من آثار الغزو، وأخذ كثيرا من الثورات ثم ذهب من أوده إلى بهار،

ونهب تلك الولاية، وقد أصابه سهم فى مقتل فجأة أمام قلعة بهار فاستشهد عليه الرحمة والغفران.

السادس عشر الملك سيف الدين بت خان أيبك الخطائى

كان الملك سيف الدين بت خان أيبك الخطائى على درجة عالية من حسن السيرة وحليما ومتواضعا وحسن العقيدة وغاية فى الجلد والشجاعة ومشهورا بالرجولة والشهامة.

وفى البداية عندما اشتراه السلطان السعيد شمس الدين صار حارسا، ثم صار رئيسا للحرس فى عهد السلطان علاء الدين وأقطع كهرام وسامانه، ثم فوض برن، وعين قائدا للجيش المتجهة لإخضاع ولايتى أجه وملتان من قبل الحضرة. وفى تلك الحرب غرق أحد أبنائه بجواده فى نهر السند، وكان ذلك الابن قد عرف بالشجاعة والرجولة فى أوائل شبابه.

وبعد أن عاد من هناك بفترة وفى عهد سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين صار نائبا، وأظهر آثارا جليلة فى خدمة البلاط، ولبث فى الجاه والمجد فترة حتى سقط فجأة من فوق الجواد فى حرب سنتور فلقق برحمة الحق. ليحفظ الحق تعالى ملك الإسلام فى الملك والسلطنة. آمين يا رب العالمين.

السابع عشر الملك تاج الدين سنجر ترخان

كان الملك تاج الدين سنجر ترخان تركيا من الكرخ غاية فى الشجاعة والرجولة وشهما وحكيما ذا أوصاف حسنة كثيرة وأحوال راجحة تفوق الحصر ومتصفا بالرجولة وحسن القيادة ومعروفا بالطيبة والسيرة الطاهرة.

وقد اشتراه السلطان السعيد شمس الدين، ثم صار رئيسا للركائب فى عهد السلطان معز الدين، وبعد ذلك أصبح نائبا لأمير الحجاب فى عهد السلطان ناصر الدين.

وبعد مدة أصبح أميرا للحجاب وفوض جهنجهانه. وحينما ذهب ألغ خان الأعظم إلى ناگور مظفرا اختصه الملك تاج الدين سنجر ترخان بالخدمة والتأييد، فأُسند إليه كسمندى ومنديانه فى بلاد الهند حيث لبث هناك فترة. وعندما التحق الخان الأعظم بخدمة البلاط الأعلى، جاء الملك ترخان إلى الحاضرة فأقطع برن ومكث هناك فترة.

وفى سنة أربع وخمسين وستمائة، أصبح نائبا فى عاصمة ملك الإسلام، وكانت بداون تابعة له. وعندما جاء الملك قتلغ خان من أوده إلى بداون خلافا للأمر الأعلى متضامنا مع جيش الهند، توجه الملك ترخان على رأس الجيوش من الحاضرة مع الملك يكتم ركنى اورخان لدفع جيش الهند.

فلما بلغا حدود سيهرامو تلاقى الجيشان، وارتد الملك ترخان مضطرا، ورجع إلى الحاضرة، وعينت له أوده فذهب إلى هناك، وأمسك بزمام الأمور فيها، وسحق ثورات الكفار سحقا شديدا، واستولى على الأموال، وعاد إلى الحاضرة العليا عدة مرات وفقا للأوامر، وكان دوما يطوق عنقه بربقة الطاعة والولاء.

وفى هذه السنة التى يحرر فيها هذا الكتاب، وهى سنة ثمان وخمسين وستمائة، جاء ترخان إلى الحاضرة العليا بناء على الأمر الأعلى، وفقا لنصيحة الخاقان المعظم.

وقد ذهب على رأس جيش قلب الحاضرة إلى مناطق سفوح ميوات، وأظهر آثارا جليلة، وعاد إلى البلاط ثانية، ثم توجه مرة ثانية إلى الغزو والجهاد فى الركاب الملكى لألغ خان المعظم لقتال هنود سفوح ميوات، وأظهر كثيرا من

ضروب الشجاعة والجلد، وعندما عاد إلى الحاضرة خص بتشريفات وافرة وعاد إلى أوده.

أدام الحق تعالى عبيد الدولة العالية في الحكم وخلصهم بمنه وكرمه.

الثامن عشر الملك اختيار الدين يوزبك طغرل خان

كان الملك اختيار الدين يوزبك من أصل قبجاقى، وكان عبدا للسلطان شمس الدين. وقد عمل نائبا لذواق الطعام في كاليور. وحينما آل عرش الملك إلى السلطان ركن الدين فيروز شاه أصبح من خيرة خواصه، ففوض إليه منصب أمير المجلس، ثم أمر له بتولى أمر القبيلة، كما اختصه السلطان بغاية قربه.

وعندما قام عبيد السلطان بالثورة في صحراء ترلين، واستشهد جماعة من الأكابر، مثل تاج الملك وبهاء الملك وكريم الدين الزاهد ونظام الدين الشرفانى، كان الملك يوزبك واحدا من قادة متمردى تلك الطائفة.

فلما آل العرش إلى السلطنة رضية، صار يوزبك أميرا للركائب. وعندما اعتلى السلطان معز الدين العرش، وحاصر جماعة الملوك والأكابر دهلى، جاء الملك يوزبك مع الملك قراقش إلى المدينة لمساعدة السلطان معز الدين فى يوم الثلاثاء آخر شهر شعبان سنة تسع وثلاثين وستمائة، كما أدى خدمات جليلة فى أوقات أخرى .

وكان فخر الدين مبارك شاه فرخى قد بسط نفوذه على السلطان معز الدين، واستمال ملوك البلاط من الأتراك وأمرائهم نحوه دون الحضرة، وقد حرص السلطان فاعتقل كلا من الملك يوزبك والملك قراقش، وكبلهما بالأغلال فى يوم الأربعاء التاسع من شهر رمضان المبارك سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وعندما فتحت المدينة يوم الثلاثاء السابع من شهر ذى القعدة سنة تسع، أطلق سراح الملك يوزبك. وبعد أن اعتلى السلطان علاء الدين العرش، أسند تبرهنده إلى يوزبك، ثم فوضه حكم لاهور لفترة، ولهذا السبب وقع نزاع بين يوزبك وبين الملك نصير الدين محمد بندار.

وبعد ذلك بدأ يوزبك النزاع مع الحضرة؛ إذ كان التهور والاستبداد فى طبيعته ومزاجه، حتى استدعاه ألغ خان المعظم إلى الحضرة فجاء حيث حظى فيها بالرعاية. وقد عرض ألغ خان المعظم الأمر على رأى المبارك للسلطان، فاختص يوزبك بالرعاية الملكية، كما عفا عن تمرده وعصيانه.

وبعد مدة أقطع يوزبك قنوج، وبدأ التمرد مرة أخرى، فتوجه الملك قطب الدين حسن (طاب ثراه) على رأس جيش من قبل الحضرة، وأعادته للخدمة والطاعة.

ثم أقطع يوزبك أوده بعد فترة، وجاء ثانية إلى الحضرة، وفوض مملكة لكهنوتى. فلما ذهب إلى تلك الناحية، وأمسك يزمام أمورها، قام صراع بينه وبين حاكم جاجنجر، وكان قائد جيش جاجنجر المسمى ساينتر صهرا لملك الهند، وهو الذى كان قد جاء فى عهد طغان خان طغرل إلى شاطئ نهر لكهنوتى، وأظهر شجاعة فائقة، وطارد جند الإسلام حتى أبواب لكهنوتى، واضطروهم إلى التقهقر داخل قلعة المدينة.

وقد أظهر يوزبك شجاعة تماثل ما حدث من طغان خان وهزم، ثم جرى قتال بينه وبين ملك جاجنجر للمرة الثانية انتصر فيه ملك جاجنجر أيضا، وفى

المرة الثالثة حلت بيوزبك الهزيمة أيضا، وكان الفيل الأبيض الذى لم يكن هناك أقوى منه ثملا، ففقدته أثناء المعركة ووقع فى يد كفار جاجنغر.

وفى السنة التالية زحف الملك يوزبك بالجيش من لكهنوتى إلى ولاية ارمودن، وحمل فجأة على ملك الهند، ووصل إلى عاصمته ارمودن، فتقهقر ملك الهند أمامه من ذلك الموضع، ووقعت مؤنته وأتباعه وفيه فى يد جيش الإسلام.

وعندما وصل إلى لكهنوتى، بدأ العصيان ضد الحاضرة، ورفع ثلاثة أعلام؛ أحمر وأبيض وأسود، وأحضر الجيش من لكهنوتى إلى ناحية أوده، ودخلها، وجعل الخطبة باسمه، ولقب نفسه بالسلطان مغيث الدين.

وبعد أسبوعين قام أحد الأمراء الأتراك من جيش السلطان بمهاجمة الملك يوزبك على غرة معلنا أن جيش السلطان قد وصل فوهنت عزيمة الملك يوزبك، واستقل قاربا واتجه ناحية لكهنوتى.

وقد استنكر جميع أهل الهند من أصحاب العمائم والقلانس من المسلمين والهنود صدور هذا التمرد من الملك يوزبك إذ كان قد عصى مليكه، وأعلن التمرد عليه، فلا غرو أن حل به شؤم ذلك التمرد، فاقتلع أساسه.

وعندما عاد من أوده إلى لكهنوتى ذهب إلى كامرود وعبر بالجيش نهر بيكمتى، ولما لم يكن لملك كامرود قدرة على مقاومته، فقد تقهقر مهزوما، وفتح الملك يوزبك مدينة كامرود، واستولى على أموال وخزائن لا يحيط بها الإحصاء والتسجيل عدا ووزنا.

وحينما كان هذا الداعى يقيم فى لكهنوتى، سمع من بعض الثقات، أنه منذ عهد غرشاسب ملك العجم الذى كان قد ذهب إلى ناحية الصين، وتوجه منها إلى

الهند، وحتى هذا الوقت يوجد ألف ومائتا خزانة لم تقض أختامها كلها، حيث لم يكن أحد من هؤلاء الملوك قد تصرف في هذه الأموال والدفاتن.

فوقعت كلها في يد جيش الإسلام، وأقيمت الخطبة وصلاة الجمعة في كامرود، وارتفعت شعائر أهل الإسلام. ولكن ما الفائدة فقد أضاع كل ذلك هباءً بجنونه، وهكذا قال العقلاء: "غاية الطمع لم تكن مباركة قط على أى طامع".

شعر

- الدولة التى تتردد بين النهوض والتعثر

هى دولة سريعة الاضطراب.

فلما فتحت كامرود (هكذا قيل) أرسل ملك الهند الرسل تباعا قائلاً: " لقد فتحت لك هذه البلاد التى لم تفتح لأحد قط من أهل الإسلام، فعد الآن، وأجلسنى على العرش، وسوف أرسل إليك كل عام ذهباً يوازى أحمال العديد من الفيلة، وأمنحك كثيراً من الأفيال، وأقر خطبة الإسلام وسكتة. "

ولكن لم يرض الملك يوزيك بهذا أبداً، فأمر الملك الهندى سائر الحشم والرعايا الموجودين عند الملك يوزيك وقال لهم: " اذهبوا واسترضوه ، واشتروا جملة الغلة الموجودة فى كامرود بأى ثمن يرتضيه، بحيث لا تبقى مؤن لجيش الإسلام. "

وهكذا فعلوا واشتروا الغلال كلها وسائر ما وجدوه بسعر مرتفع، ولم يحتفظ يوزيك بأى مؤنة ولا ذخيرة اعتماداً على ما فى البلاد من عمران وعمارة.

وعندما حل وقت محصول فصل الربيع، خرج الملك الهندى مع جملة رعاياه، وفتحوا السدود الموجودة على أطراف النهر، فأعجزوا الملك يوزيك وجند

الإسلام، الذين أصبحوا على شفا الهلاك عوزا وحاجة، وتشاوروا جميعا قائلين: 'على أية حال يجب الذهاب من هنا وإلا فسوف نهلك من الجوع.' وانطلقوا من كامرود إلى لكهنوتى عازمين على العودة.

وكان الهنود قد استولوا أيضا على الطريق والصحراء والنهر، فاستخدم المسلمون مرشدا ليخرجهم من تلك البلاد إلى أماكنهم الصحراوية، فلما قطعوا عدة منازل، حوصروا فى مضائق الوديان والطرق الضيقة، فحاصرهم الهنود من الخلف والأمام.

وتقاتل فيلان فى مكان ضيق أمام الصفوف، فتشابك الجيشان، وجاء الهنود من الأطراف، واشتبك المسلمون والهنود مع بعضهم البعض.

وفجأة أصيب الملك يوزبك بسهم فى صدره وهو على ظهر الفيل، فوقع وأسر، كما أسر جميع أولاده وأتباعه وجنده. وعندما حملوه إلى الملك، التمس أن يحضروا ابنه، وعندما أحضروه وضع وجهه على وجه ابنه، وأسلم روحه للحق.

أدام الحق تعالى السلطان الحالى على عرش الملك.

التاسع عشر الملك تاج الدين سنجر أرسلان خان الخوارزمى

كان أرسلان خان رجلا شجاعا ذا جلد، بلغ أوج الحكمة وقمة الشجاعة. وكان السلطان السعيد شمس الدين قد اشتراه من اختيار الملك أبى بكر الحبشى، الذى كان قد أحضره من نواحى عدن ومصر، ويقول البعض إن أرسلان خان كان من أبناء الأمراء الخوارزميين فى ديار الشام ومصر، حيث أسر فى تلك المنطقة وتم بيعه.

وفي البداية عندما اشتراه السلطان شمس الدين صار رئيس الخاصة، وخدم السلطان لفترة. وعندما انتهى عهد الدولة الشمسية، وانتهى عهد ركن الدين فيروز شاه، صار ذواقا للطعام في عهد السلطنة رضية، وبعد مدة أقطع بلارام.

وكان السلطان السعيد الشهيد شمس الدين قد تزوج أثناء حياته ابنة الملك بهاء الدين طغرل ملك بهيانه، وكانت هذه الولاية وأنحائها قد عمرت بواسطة الملك بهاء الدين في أوائل عهد الإسلام.

وقد أقطع أرسلان خان بهيانه في العهد الناصري (خلد ملكه) وبعد مدة فوض منصب صاحب الوكالة، ثم استخلص تبرهنده المحروسة من يد عمال شيرخان، فصارت تابعة له.

ولما دخل ألغ خان الأعظم من ناگور إلى الحاضرة في ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة، بناء على الأمر العالي (وما زال كذلك) كان أرسلان خان برفقته. وعندما وصلا إلى الحاضرة لقيا إعازا في بلاط ملاذ العالم، ثم عادا إلى تبرهنده.

وحينما عاد الملك شيرخان من تركستان، توجه للاستيلاء على تبرهنده، مصطحبا معه من لاهور فرسانا ورجالة كثيرين، وفي الليل بلغ القلعة، وانتشر رجال جيش شيرخان في المدينة والأطراف.

فلما أضاء صباح العالم بنور الشمس، خرج أرسلان خان سنجر مع خواصه وأولاده من القلعة وقاد الهجوم، ولما كان فرسان شير خان قد تفرقوا، فقد اضطر شير خان إلى التراجع.

وبعد هذا عندما جاء شير خان إلى الحضرة السامية، جاء أرسلان خان أيضا إلى البلاط بناء على الأمر، حيث أقام فترة هناك. وبعد هذا أقطع أوده، وقد ناوش قتلغ خان والأمراء ممن كانوا برفقته أطراف أوده وكره عدة مرات، فقاوم أرسلان خان مناوشاتهم، وزحف بالجيش إليهم، وفرق تلك الطائفة.

وبعد ذلك لاح في خاطر أرسلان خان خلاف طارئ مع الحضرة، فتوجهت الرايات العليا إلى أوده ومناطق السفوح للقضاء على هذا التدبير.

فلما أظلت الرايات العليا تلك البلاد بظلمها، فر أرسلان خان من أمام جنود القلب، وأرسل الرسل، وطلب الأمان لنفسه على أن يأتي مع قتلغ خان ابن الملك جاني طائعين عندما تعود الرايات العليا، فاستجيب لاقتراحهم.

وعندما عاد الموكب الأعلى إلى مقر السلطنة، استعادت دار الملك أبيهتها، وبعد مدة جاء أرسلان خان إلى حاضرة البلاط مرة أخرى، واختص بإعزاز وإكرام وافرين.

وبعد فترة من وجوده في الحاضرة، أقطع مدينة كره في شهور سنة سبع وخمسين وستمائة. وفي أوائل هذا العام قاد الجيش من كره معترضا نهب ولايتي مالوه وكالنجر، فلما قطع بعض المنازل غير اتجاهه وذهب إلى بلاد لكهنوتي.

وكان الملك عز الدين بلبن صاحب إقطاع لكهنوتي قد ذهب إلى ناحية ولاية بنك، وترك لكهنوتي خالية. ولم يكن أرسلان خان قد كاشف أحدا قط من أبنائه أو الأمراء والملوك والأتباع بأنه متجه إلى بلاد لكهنوتي، ولم يكن معه إذن أو أمر من الحضرة بهذا الأمر.

فلما بلغ تلك المنطقة أبت جماعة من الأبناء والأمراء أن ترافقه لما علم من
مكونون ضميره. إلا أنه لم يكن هناك سبيل للعودة، فاضطروا إلى مرافقته. فلما
بلغ باب مدينة لكهوتى حوَصر أهل تلك المدينة بداخلها.

ويقرر الرواة أن أرسلان خان حارب مدة ثلاثة أيام فتح المدينة بعدها،
وأمر بالغارة، واستولى جيشه على أموال المسلمين وماشيئهم وعبيدهم.

واستمر هذا النهب وتلك الغارة مدة ثلاثة أيام. وعندما هدأت تلك الفتنة،
وفتحت المدينة، وعلم الملك عز الدين بلبن صاحب إقطاع لكهوتى حيث كان
بهذا الأمر، عاد أدراجه ووقعت بينه وبين أرسلان خان موقعة.

وكان قد صدر عن الحضرة السامية أمر بتفويض ولاية لكهوتى إلى عز
الدين بلبن، بعد أن كان قد أرسل فيلين وأموالا ونفائس كثيرة إلى البلاط. وقد
استولى عز الدين على كل ما كان يملكه أرسلان خان الذى أسر. وبقول البعض
إنه استشهد.

وقد تم تحرير هذا القدر المعلوم من أحوال تلك البلاد وأحداث تلك
الأطراف.

أدام الله تعالى سلطان الإسلام.

العشرون الملك عز الدين كشلوخان السلطانى

كان الملك عز الدين بلبن من أصل قبچاقى، وكان رجلا شجاعا وجلدا
وطيب السيرة، يعتقد فى العلماء والفضلاء وأهل الخير والزهاد. اشتراه السلطان
من تاجر بالقرب من قلعة مندور.

وقد عمل في البداية ساقيا، فلما قام بخدمة السلطان فترة أسندت إليه السقاية في كالپور، ثم أقطع برهمون، وبعد مدة فوض برن.

فلما انقضى عهد الدولة الشمسية، كان عز الدين على رأس الثوار أثناء ثورة الأمراء الأتراك في المعسكر الركني في تراين.

وعندما انقضى عهد ركن الدين فيروز شاه، وحدث عصيان الملك جاني والملك كوجي على باب مدينة دهلي ضد السلطنة رضية والأمراء الأتراك عبيد الدولة الشمسية الذين كانوا في خدمة بلاطها أسر الملك بلبن في تلك المعارك على يد العصاة، ثم نجا ووجد إغزازا وإكراما من السلطنة.

وبعد أن انطوى عهد رضية، وآل عرش السلطنة إلى معز الدين، ظل بلبن مكرما كذلك، حتى أثار الخواجه مهذب الوزير الخلاف (كما سبق ذكره) بين السلطان معز الدين وبين أمراء الترك.

وقبل ذلك، كان الأمراء والملوك قد اتفقوا جميعا على عزل معز الدين من العرش، وجاء الجميع برفقة بعضهم البعض إلى مدينة دهلي في سنة أربعين وستمائة، واستمرت الخصومة ودام النزاع نحو خمسة أشهر أو أكثر من ذلك.

فلما خضعت المدينة للملوك، وكان الملك بلبن قائدا لثورتهم، فقد قصد الملك بلبن مقر الحكم في أول يوم دخل فيه جيش الأمراء إلى المدينة، وأطلق مناديا في المدينة، يعلن حكمه على الفور.

وفي الحال اجتمع اختيار الدين آيتگين صاحب كهرام وتاج الدين سنجر قتل ونصرة الدين آيتمر وعدة أمراء آخرين عند روضة السلطان شمس الدين

(طاب ثراه) واستنكروا المنادى بالإجماع، واتفقوا فأخرجوا أبناء السلطان والأمراء ممن كانوا فى القيد.

وحينما علم الملك بلبن اتفق معهم، وأجلس علاء الدين على العرش، فأمر له بولاية ناگور وبفيل، فذهب إلى تلك الناحية.

وبعد فترة عندما جاء جيش كفار الصين إلى قلعة أجه، سار السلطان علاء الدين بجيش الإسلام من الحاضرة إلى نهر بياه لردهم، ثم قدم الملك بلبن بجيش من ناگور. وعندما انتهت تلك المهمة على أكمل وجه، وانصرف جيش الكفار من أجه مهزوما، ذهب الملك بلبن إلى ناگور وأقطع ملتان.

وعندما جلس سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين (خلده الله) على عرش السلطنة، جاء الملك بلبن عدة مرات، والتمس ولايتى أجه وملتان، وقبل طلبه على أن يعهد بولايتى سواك وناگور للأتباع الآخرين من ملوك البلاط، إلى أن يعين واحد منهم من قبل الحضرة.

وما إن استولى بلبن على أجه حتى احتفظ بناگور، ولم يتخل عنها ثانية، فصمم السلطان الأعظم (خلد الله ملكه وسلطانه) على الذهاب من الحاضرة إلى ناگور مع ملوك الإسلام (أعز الله نصرهم) خاصة ألغ خان المعظم (نصر الله دولته) وعندما وصل السلطان إلى تلك الناحية عاد بلبن إلى الطاعة، وسلم ناگور بعد صراع ومضايقات كثيرة، واتجه إلى أجه.

وحينما فوضت ولايتى ملتان وأجه إلى الملك بلبن من قبل الحضرة السامية، قاد الملك حسن قرغ الجيش من بنیان إلى باب ملتان للاستيلاء عليها، فجاء الملك بلبن من أجه لصددهم.

فلما التقى الجيشان هجمت جماعة من المقاتلين والمحاربين من جيش الملك بلبن
تقدر بخمسين فارساً مغواراً ومحارباً على الملك حسن قرلغ، وهاجموا قلب جيشه،
فاستشهد الملك حسن قرلغ، كما استشهد أكثر هؤلاء المقاتلين الذين أظهروا شجاعة في
ذلك القتال، واقتحم الملك بلبن قلعة ملتان، وأخفى جنود قرلغ نبأ موت ملكهم.

وعلى هذا عسكر بلبن على باب مدينة ملتان، وتحدث الرسل بالصلح بين
الفريقين لتسليم ملتان إلى القرلغيين، وتحقق بذلك السلام، وسلم الملك بلبن ملتان،
وذهب إلى أجه، واستولى القرلغيون على ملتان، ولما علم الملك بلبن أن الملك
حسن قرلغ قد استشهد، ندم على تسليم ملتان، ولكن لم يفد ذلك الندم.

وبعد مدة استخلص الملك شيرخان ملتان من قبضة القرلغيين وأخضعها،
وولى عليها الملك كرز. وفي يوم الثلاثاء الثاني من شهر ربيع الأول سنة ثمان
وأربعين وستمائة، جاء الملك بلبن من أجه بهدف الاستيلاء على ملتان، ونزل
أمام القلعة. ووصل كاتب هذه السطور من الحاضرة العظيمة دهلي إلى ملتان
لإرسال الغلمان إلى خراسان.

وبعد هذا أقام الملك بلبن مدة شهرين أمام قلعة ملتان، ولم تسقط القلعة في
قبضته فعاد إلى أجه.

وحدث أن جاء الملك شيرخان من تبرهنده ولاهور إلى قلعة أجه
وحاصرها، وأقام هناك فترة. وبينما كان الملك بلبن في خارج القلعة، وفجأة
واعتماداً على أنه هوو شيرخان من منزل واحد، ومن بلاط واحد، جاء بلبن إلى
معسكر الملك شيرخان، ونزل في خيمته، فاحترمه الملك شيرخان في الظاهر، وقام
وخرج من خلف الخيمة، وأمر بالتحفظ عليه، وعدم السماح بخروجه من هناك

حتى يستسلم سكان قلعة أجه. وعند ذلك اضطر الملك بلبن إلى أن يأمر أهل القلعة بتسليمها.

فلما سقطت القلعة في يد شيرخان، أطلقوا سراح الملك بلبن، فجاء إلى الحاضرة. وعندما وصل إلى البلاط أقطع مدينة بداون بملحقاتها. وعندما اتجهت الرايات العليا إلى الشمال واستردت تبرهنده المحروسة، توجه الجيش إلى أجه وملتان، وجرت مشادة بين شيرخان وملوك الحاضرة، فتوجه الملك شيرخان إلى التركستان، وصارت ملتان وأجه تابعتين للملك بلبن مرة أخرى.

وحينما استولى بلبن على تلك الديار تمرد على الحاضرة، ووسط الملك شمس الدين كرت الغوري، في طلب المدد من هولاكو المغولي ملك التركستان، وأرسل ابنه رهينة. فلما وصل المدد وكان ألغ خان المعظم قد التحق بالبلاط، انفصل الملك قتلغ خان، وانضم إلى الملك بلبن، حيث كانت الرايات العليا قد عادت إلى الحاضرة.

وقد توجه الملك بلبن في شهور سنة خمس وخمسين وستمائة مع جيوش أجه وملتان إلى حدود ممالك دهلي، فلما علم السلطان بهذا العزم، صدر الأمر الأعلى بدفع تلك الطائفة، فعاد ألغ خان الأعظم (خلدت دولته) مع الملوك والأمراء كافة لصد هذا الجيش.

وعندما اقترب الجيشان الواحد من الآخر في الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وستمائة عند حدود كهرام وسامانه، كتب جماعة المعارضين في دهلي من أصحاب العمام وأصحاب القلائس رسائل إلى الملك بلبن استدعوه فيها قائلين: "إننا نسلم لك المدينة، فيجب عليك الحضور إليها".

فتحرك الملك بلبن إلى المدينة، وبلغ ظاهرها في يوم الخميس لعشرين يوم خلت من شهر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وثمانية، لكن لم تلق تلك الفكرة نجاحاً؛ إذ كانت تلك الجماعة التي حررت الرسائل قد غادرت المدينة، بناء على الأمر الأعلى.

فلما وصل الملك بلبن إلى حديقة جود الموجودة على مقربة من المدينة، علم هو الملك قتلغ خان والملكة جهان بأمر خروج تلك الجماعة، فانطفتت تلك الجذوة بماء الفشل. وبعد صلاة الظهر جاءوا إلى باب المدينة، وطافوا حولها، وقضوا الليل هناك، ثم قرروا العودة.

وفي فجر الجمعة وكان السابع والعشرين من الشهر، انفصل جنود أجه وملتان عن الملك بلبن ومضوا فوجاً فوجاً إلى الأطراف، وكان أكثرهم قد التحقوا بخدمة البلاط العالي في المدينة.

وعاد الملك بلبن (سلمه الله) إلى أجه عن طريق سواك في ثلة من الفرسان، أقل من مائتين أو ثلاثمائة، وبعد هذا سافر إلى خراسان، وذهب إلى العراق عند هولاكو المغولي ملك بلاد الترك، وتوجه إلى بلاطه ثم رجع إلى مقره.

وقد وقعت هذه الأحداث في شهور سنة ثمان وخمسين وثمانية. كما أرسل رسله إلى الحضرة مع شحنة ممالك السند من قبل جيش المغول.

لنكن العاقبة خيراً وصلاً وسلاماً إن شاء الله تعالى.

آدام الله تعالى سلطان الإسلام أعواماً مديدة. آمين.

الحادى والعشرون الملك سيف الدين ارکلى داد بك

ينتمى الملك سيف الدين ارکلى داد بك إليك الشمسى العجمى إلى القبچاق، وهو ملك عادل صاحب سياسة وكياسة وفراسة، يتصف بجميع أنواع الشجاعة

ويعرف بكل ألوان الصرامة، قوى في عقيدة الإسلام، يتحلى بصفات التدين، صادق في أفعاله وأقواله راسخ وملتزم جادة الأمانة والعدل، منذ مدة ثمانية عشر عاما وهويزين مقعد القضاء وينشر العدل والإنصاف في جميع الأوقات، ويلتزم أحكام الشريعة، فلم يزد حرفا على أحكام الشرع.

وقد لازم كاتب هذه الطبقات منهاج بن سراج (عصمه الله) هذا الملك العادل مرتين فيما يقرب من ثمانى سنوات بناء على أمر سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين (خلد الله سلطانه) وشاهد حركاته وسكناته وإشاراته المتفقة مع الدين والسنة فى محاكم الحاضرة دهلى (أعلاها الله).

وقد قضى الملك سيف الدين على زمرة المتمردين على الحضرة فى الأطراف، وكذلك طبقة المفسدين واللصوص وذلك بعظمته وسياسته وعظمة عدله، فاستكانوا فى زاوية الخوف والفرع.

ومنذ دخوله فى زمرة سلاطين الدولة من عبيد بلاط شمس الدين ملاذ العالم وهوصاحب وقار دوما. وقد عمرت كل ولاية وإقطاع وناحية فوضت إليه، وذلك لعدله وكياسته، وتمتعت الرعية بالاستقرار والأمن والسكينة من كل عدوان وظلم.

وخلال توليه إمارة قضاء ممالك دهلى لم يتقاض العشرة أوالأحد عشر رسوما على الأحكام على نحوما كان يفعل من تولوا القضاء قبله، ولم يهتم بها ولم يجزها.

وفى بداية أمره عندما ابتلى بالقيد والأسرمن قبائل القبچاق فى وطنه الأصلى انتهى به الأمر إلى خدمة الخواجه منعم شمس الدين العجمى، وكان ملك تجار بلاد العجم والعراق وخوارزم وغزنين فصار ينسب حتى ذلك العهد إلى ذلك السيد العظيم.

وعندما التحق بخدمة البلاط الشمسى الأعلى، اشتراه السلطان السعيد، ونال مقاما ومكنة، فكان السلطان (طاب ثراه) يرسله فى أمور هامة إلى أنحاء الممالك ويكلفه بمهام، وذلك لما لاح فى محياه من آثار الشجاعة والصرامة، حتى صار فى عهد السلطنة رضية من أبرز رجال الحاشية.

وفى عهد السلطان معز الدين بهرامشاه صار أميرا للقضاء فى كره، فلما آل العرش إلى السلطان علاء الدين، تقلد منصب أمير القضاء فى شهر سنة أربعين وستمائة فى الحاضرة العليا مدينة دهلى، وحصل على إقطاع أمير القضاء ومقعه.

وبعد فترة عندما آل العرش إلى سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين فوض إليه إقطاعى بلول وكامه مع مقعد رئاسة القضاء.

وبعد مدة منح ولاية برن، وسحق المارقين فى تلك الجهات، وبعد فترة صارت كرك إقطاعا له مع منصب أمير القضاء. وبعد عامين حصل على برن مرة أخرى، وهى له حتى هذا الوقت. والله أعلم

الثانى والعشرون الملك بدر الدين نصرة خان سنقر الصوفى

الملك نصرة خان سنقر الصوفى من أصل رومى، وهو على درجة عالية من الخصال الحسنة، حميد الأفعال والأوصاف، شجاع، مقاتل، طيب السيرة، ويتحلى بجميع خصائص الرجولة والمروءة. وكان عبدا للسلطان السعيد شمس الدين، وقد قام بخدمات فى كل عمل أسند إليه من قبل أحد السلاطين.

أما فى عهد دولة علاء الدين مسعود شاه بن ركن الدين فيروز شاه، وفى شهر سنة أربعين وستمائة عندما ثار أمراء الترك وقتلوا الخواجه نظام الملك

مهذب الوزير، كان هذا الملك واحدا من قادة الثورة، ثم صار أميراً على كول
فضبط أمور تلك الولاية، وسلك مع الجيش والرعية طريق الإنصاف والعدل.

وفى ذلك العام، سافر كاتب هذا التاريخ منهاج بن سراج إلى لكهوتى،
وعندما وصل إلى كول خصه هذا الأمير حسن السيرة بكثير من التشجيع والنعيم.
وبعد هذا أسندت إليه إقطاعات أخرى.

وفى عهد دولة سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين، منح سنقر إقطاع
بهيانه، وأقام فى تلك الديار، وسحق المفسدين. وعندما جاء الملك عز الدين بلبن
كشلوخان من ولاية السند إلى باب مدينة دهلى، وصل الملك سنقر الصوفى مع
جيش كبير من بهيانه إلى المدينة، فاشتد أزر أهل المدينة وأكابر البلاط بوصوله
مع جيشه.

وبعد ذلك وفى شهور سنة سبع وخمسين وستمائة منح تيرهنده المحروسة
وسنام وجهجهر ولكهوال وتلك المناطق جميعها حتى ما وراء نهر بياه، وذلك لتقّة
حضرة سلطان الإسلام (خلد الله ملكه) البالغة فيه، ولبالغ الإكرام الذى كان ألغ
خان الأعظم قد خصه به. وصار لقبه نصرة خان.

وقد أظهر فى تلك المناطق آثاراً حميدة، وجمع جيشاً كبيراً. ولا يزال هذا
الملك فى تلك المنطقة حتى تاريخ تأليف هذا الكتاب بناء على الأمر العالى،
ولا يزال ذا عدة كاملة وعتاد وافر وجيش جرار. والله أعلم بالصواب.

الثالث والعشرون الملك نصرة الدين شير خان

الملك شير خان ملك غاية فى الرجولة والحكمة، يتصف بجميع الصفات
الملكية والأخلاق الحميدة والعظيمة ويعرف بها. وألغ خان الأعظم هو ابن عمه،

وكان والديهما من عظماء التركستان، وكانا يحملان لقب خان فى قبائل البرى ،وكانا معروفين ومشهورين بتجيش الجيوش والأتباع الكثيرين كما سيفصل الحديث عن كل واحد منهما عند الكلام عن ملك ملوك العالم ألغ خان الأعظم إن شاء الله.

كان شير خان عبدا للسلطان السعيد شمس الدين، وحينما اشتراه أدى خدمات كثيرة للعرش، وظهرت على ناصيته دلائل الرشد، وقام أيضا بخدمات جليلة لسلطين تلك الأسرة فى كافة المجالات.

فلما نضج أمر له السلطان علاء الدين بإقطاع لاهور وقلعة تبرهنده مع جميع ملحقاتها. وكان ذلك أثناء قيادة السلطان للجيش من الحاضرة إلى لاهور لصد جنود المغول الذين كانوا قد نزلوا بالقرب من قلعة أجه فصارت بذلك أراضى تبرهنده المحروسة تابعة له.

وبعد ذلك حينما انتزع القرلغيون ملتان من يد الملك بلبن قاده شيرخان الجيش من تبرهنده المحروسة إلى ملتان، واستخلص ملتان من يد القرلغيين، وأجلس الملك اختيار الدين كرىز هناك.

ثم حدثت خصومة بينه وبين الملك بلبن عدة مرات بسبب حوادث الجوار (كما سبق ذكره) وانتزع قلعة أجه من يد الملك بلبن ودانت له جميع ممالك السند.

وعندما قاد الملك الأعظم ألغ خان الجيوش مع الملك شير خان إلى ناگور، وقع بينهما نزاع بالقرب من نهر السند، وتوجه الملك شير خان من هناك إلى التركستان وذهب إلى جيش المغول ولحق ببلاط منگوخان وعاد من هناك بإعزاز. فلما بلغ أطراف لاهور والمناطق المحيطة بها لحق بالملك جلال الدين مسعود شاه ابن السلطان.

وفى النهاية وقعت بينهما موقعة، وعاد الملك جلال الدين مهزوما، ووقع أتباعه فى يد جيش شير خان. وبعد ذلك توجه شيرخان لفتح تبرهنده، فلما خرج أرسلان خان من القلعة أجبر شيرخان على التراجع.

وانطلق الرسل من الحضرة وقدمت العهود والمواثيق من قبل أكابر ذلك الزمان، ولحق شيرخان بخدمة البلاط، وجاء الملك أرسلان خان أيضا إلى الحضرة.

وفوضت أوده لأرسلان خان وتبرهنده لشيرخان مع جملة ما تقدم من الولايات والإقطاعات، حيث لبث مدة فى تلك المناطق، وقامت بينه وبين الملك بلبن خصومة (كما سبق) وصدر أمر من الحضرة العليا (ولا تزال عالية) بقدوم شيرخان إلى الحضرة.

وللقضاء على الخلاف حول حدود تبرهنده، أسندت تبرهنده إلى نصرة خان سنقر الصوفى، ومنح شيرخان ولايات كول وبهيانه وبيلرام وجليسر ومهر ومهاون وقلعة كاليور وهى من حصون الإسلام المعروفة. ولا يزال هناك حتى تاريخ تحرير هذه الأوراق وذلك فى رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة. والله أعلم بأحوال العالم.

:

الرابع والعشرون الملك كشلى خان سيف الدين أيبك السلطانى

ملك الحجاب طاب ثراه

كان الملك كشلى خان أيبك (طاب ثراه) أخا شقيقا للخان الأعظم ألغ خان المعظم، فكانا درتين من صدفة واحدة، وشمسا وقمرا فى سماء الشرف الواحدة، ويافوتيتين من منجم واحد، وملكين من ديوان واحد، وزهرتين من روضة التوفيق، وبطلين من مجمع ملكى واحد.

وكان أصلهما من سادة أمراء البرى وعندما استولى كفار المغول على بلاد التركستان وقبائل القبجاق اضطرا إلى الانتقال من موطنهما المعهود مع أتباعهما وأشياعهما، وكان الملك كشلى خان أيبك أمير الحجاب الأخ الأصغر والخابان المعظم ألغ خان الأخ الأكبر، وكان الملك أمير الحجاب فى ذلك الوقت صغيرا فى السن.

وعندما رحلا من وجه المغول، وفى أثناء الطريق كانت الأرض لزجة، فوقع الملك أمير الحجاب من فوق العربة وسط الطين أثناء الليل، وكان المغول يتعقبونهم، فلم يكن هناك مجال لأى شخص لحمله من بين الطين، وسارت العربات، وظل هو هناك، حتى وصل ألغ خان الأعظم إليه وحمله.

وفى المرة الثانية لحق المغول بالملك أمير الحجاب فوقع فى أيديهم. ومن التقديرات الإلهية أن بعض التجار ثروته، وأحضروه إلى بلاد الإسلام، فاشتراه منهم اختيار الدين أبوبكر الحبشى الذى كان قد ذهب برسالة من الحضرة إلى مصر وبغداد ورأى آثار الرشد تلوح فى ناصيته، فأحضره من هناك إلى دهلى، حيث اشتراه السلطان السعيد من اختيار الدين أبى بكر.

وكانت أنوار العقل والكياسة تلمع فى محياه. وهذه الكلمات تذكر على سبيل الإنصاف والصدق، فلم تر العين من بين الأتراك من هو أكثر عقلا ولا أوفر حياء ولا أكثر وفاء منه، فقد زينه الحق تعالى بجميع أنواع الرجولة والشجاعة، وجملته بالأخلاق الحميدة والسلوك السليم، فتفوق بالعقل والكياسة على جميع وزراء السلف والخلف، وتفوق فى الشجاعة والرجولة على أبطال إيران وتوران.

فليخصه الحق تعالى في صدر الجنان بأنواع المغفرة والرحمة والرضوان،
وليخلد الخاقان الأعظم ملوك الزمان وسلطان العصر والأوان في الملك والتاج،
وليعضده دائما.

ولنكمل السياق التاريخي: عندما اشترى السلطان شمس الدين أمير الحجاب،
ظل فترة يخدم البلاط الخاص حتى صار نائبا لرئيس الحرس في عهد السلطنة
رضية، وبعد مدة وفي عهد معز الدنيا والدين بهرام شاه بن السلطان صار رئيس
الحرس، ثم حصل على منصب أمير الركائب في عهد السلطان علاء الدين، ولبت
في ذلك المنصب وفي تلك السلطة حتى زين عرش السلطنة بالعظمة الملكية البالغة
لسلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين (خلد الله ملكه وسلطانه) وعندما حصل ألغ
خان المعظم (خلدت دولته) على الاسم واللقب الخاني، رفعوا الأمير الحاجب من
مرتبة أمير الركائب إلى منزلة أمير الحجاب.

وحيثما استعبدت ناگور من الملك بلبن، وصارت تابعة للملك كشلى خان
أمير الحجاب استرضى وهو في منصبه هذا الأكابر والأواسط والأصاغر كثيرا
على نحو لا يمكن تسجيله، وبذل كثيرا من الرعاية والعناية لملوك الترك والأكابر
وعظماء التاجيك وأمراء الخلق مما لا يستوعبه تسطير وتسجيل، فتعلقت قلوب
الجميع به، وامتن جميع البشر لنعمه.

وبعد أن عاد ألغ خان الأعظم إلى الحاضرة، جاء أمير الحجاب أيضا
إليها، وصار أميرا للحجاب للمرة الثانية. وبعد فترة عندما انتقل الملك قطب الدين
حسن (طاب مرقده) إلى دار البقاء وفي شهور ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين
وستمئة صارت ولاية ميرت حتى أطراف جبل بندياران تابعة لكشلى خان.

فأمسك بزمam الأمور فى تلك النواحي والأطراف لعدة سنوات حتى وصل نفوذه إلى داخل مناطق بندياران الجبلية وركى وميابور كلها، واستولى على الأموال، وسحق ملوك الهند والمتمردين، وأخضعهم حتى استولى الضعف على جسمه العزيز وكيانه اللطيف، ومرض ببطنه فى شهر سنة ست وخمسين وستمائة.

ومن غاية حياته وشدة خجله لم يكشف لأحد عن مرضه وتحمل الألم عدة شهور. وعندما حل الأجل أسلم روحه الطاهرة فى مهد المغفرة، مودعا بالإيمان الصادق إلى حضرة العزة وحظيرة القرب من الله فى يوم الأحد العشرين من شهر رجب سنة سبع وخمسين وستمائة.

أورث الله تعالى سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين أعمار جميع السلاطين والملوك بحق محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين.

الخامس والعشرون الخافان المعظم والخان الأعظم

بهاء الحق والدين ألغ خان بلبن السلطاني

كان الخافان المعظم ألغ خان الأعظم ينتمى إلى أمراء قبائل البرى المعروفين، وكان والده ووالد شيرخان أخوين شقيقين من نسل أمراء البرى، وكانا أميرين على عشرة آلاف بيت، وكان نسبهما لقبائل البرى معروفا بين قبائل الترك بتركستان، وحتى الآن ما زال لبنى أعمامه اسم عظيم ذائع فى تلك القبائل. وقد سمع هذا المعنى من كربت خان سنجر (رحمه الله).

لكن لما كان الحق تعالى قد شاء أن يمنح قوة الإسلام ومكنة الدين المحمدى ملجأ وملاذا، وأن يبسط له ظل الحماية فى آخر الزمان، وأن يحفظ بلاد الهند فى

دائرة عنايته وحوزة عصمته ، فقد فصل ألغ خان في أيام الشباب عن بلاد التركستان، ونزعت تلك البذرة وذلك الأصل من وسط القبائل والأقرباء نتيجة استيلاء المغول على تلك الديار.

فأحضروه إلى بغداد ومنها إلى كجرات، حيث اشتراه الخواجه جمال الدين البصري (طاب ثراه) وكان يوصف بالتقوى والتدين والهمة والأمانة، فأخذ يربيّه في حجر الشفقة مثل الأبناء.

فلما لمعت آثار الرشد ولاحت الشهامة في ناصية ألغ خان المباركة، كان الخواجه جمال الدين يخصه بلطفه واحترامه، وفي شهور سنة ثلاثين وستمائة أحضره إلى الحاضرة دهلي.

وفي ذلك الوقت كان عرش السلطنة قد ازدان بعظمة السلطان السعيد شمس الدنيا والدين (طاب ثراه) فأحضر الخواجه جمال الدين ألغ خان مع عدد آخر من الترك إلى السلطان، فما إن وقع النظر المبارك للسلطان السعيد عليه حتى اشترى جملة أولئك الأتراك، وأظلم بهمى عظمته وشهامته، وبذلك أصبح ألغ خان عبداً عند السلطان.

وحينما لاح نور السعادة وشعاع الإقبال على ناصية ألغ خان، فوض رئاسة الخاصة، وكأنما وضع صقر الدولة على كفه؛ أى إن هذا مكنه أن يعوق أعداء الدولة في عهد أبناء السلطان شمس الدين عن التعدي والظلم وعلى هذا النحو كان الأمر في الحقيقة، وقد ظل يعمل في هذا العمل ما دامت عظمة السلطنة الشمسية تسطع من جنبات العرش.

وقد تولى أخوه كشلى خان منصب أمير الحجاب بمشيئة الله فسر بذلك الفوز، وقويت شوكتة. وعندما وصل الحكم إلى السلطان ركن الدين، توجه ألغ خان إلى الهند ضمن الأتراك من قبل الحضرة.

وحينما أعادوا الأتراك، رجع ألغ خان إلى الحضرة ضمن جماعتهم أيضاً، وسجن عدة أيام، وبدا اليأس على محياه المبارك، وقد يكون فى ذلك حكمة (والله أعلم) ليدرك مدى معاناة المنكوبين، بحيث إنه عندما يصل إلى المجد والحكم تأخذه الرحمة بتلك الجماعة ويوفى شكر نعمة القيادة.

حكاية

يحكى أنه كان هناك ملك فى أوج المجد وعزة السلطنة، وكان له ابن على درجة عالية من الجمال والكياسة والرشد والنزاهة. وحدث أن أمر ذلك الملك بجمع كل عالم وعظيم وفاضل وكامل أينما وجدوا لتعليم ذلك الابن، ثم اختار واحداً من هؤلاء العلماء كان يفوق الجميع فى سائر أنواع الفضل والعلم ويرجعهم فى فنون الفكر والفن، وعينه لتعليم قرّة عينه، وقال له: " يجب أن يدرك هذا الابن بتفهيمك وتعليمك وتلقينك وتمكينك له جميع حقائق الأمة ودقائق الدولة ورموز العقل وكنوز النقل وشروط الملك وطريق التوفيق وأمور رعاية الرعية وسنن نشر العدل، وأن يقف على مجارى هذه الأشياء وأسرارها. " فطأطأ ذلك الكامل الرأس قبولا وطاعة، وأقبل على العمل فوراً.

وحينما انتهت مدة التعليم، وأمر زرع التفهيم، زين ذلك الابن الذى كان ثمرة شجرة الملك بجميع الفنون، فأطلعوا الملك على ما بلغه حال ابنه من كمال فقال: " يجب إحضار ذلك الأستاذ غدا صباحاً إلى بلاط السلطنة، ويجب إحضار

الأمير ليعرض درر الفنون التي تعلمها، وليظهر كمال عقل ابني وجمال علمه وأحوال كياسته وأفعال فراسته للكافة من خاصة وعامة. "

وعندما صدر هذا الأمر، طلب الأستاذ من الملك مهلة لمدة ثلاثة أيام، فلما أجيب طلبه ركب الأستاذ أول يوم، وأخذ الأمير للطواف في المدينة. وعندما ابتعدا عن العمران، جعل الأمير يمشى ويسير أمام جواده عدة فراسخ عدوا، حتى تضرر جسد الأمير الرقيق للغاية من تعب السير عدوا، ثم أعاده إلى المدينة.

وفي اليوم الثاني جاء إلى المدرسة، وأمر الأمير قائلاً له: "انهض وقف على قدميك". وجعله على هذا النحو واقفا طوال اليوم، بحيث حل التعب الشديد بجسد الأمير الرقيق.

وعندما حل اليوم الثالث جاء إلى المدرسة وأخلاه، وقيد يدي ابن الملك وقدميه، وضربه ما يزيد على مائة عصا، فجرحت جميع أعضائه بسبب الضرب المبرح، وتركه هكذا مقيدا، وهرب، ثم غاب.

وعندما علم جماعة الخدم بهذه الفعلة، فكوا قيود ابن الملك وبحثوا عن الأستاذ فلم يجدوه، فعرضوا الأمر على الملك فأمر بإحضار الابن، وفي كل فن طلب منه وجدوه فيه على أكمل صورة، فقال الملك: "إن الأستاذ لم يهمل أى دقيقة في تعليم التلميذ وتفهمه وتكميله بتوفيق الله، فيجب معرفة سبب كل تلك الجروح، وكل هذا الإيلام والداعى إلى هذا الفرار." وأمر أن يجدوا في البحث عن الأستاذ.

وبعد مدة طويلة وزمن مديد أحضروا الأستاذ إلى السلطان، فأكرمه وأعزه جدا، وسأله عن سبب السير جريا في اليوم الأول والوقوف في اليوم الثاني والضرب المبرح في اليوم الثالث وعن سبب غيابه، فأجاب الأستاذ قائلاً: "لتخلد

دولة الملك، لا يخفى على الرأى الأعلى أهمية إدراك الحاكم أحوال أصحاب الرضا وأهوال أرباب الغضب حتى يكون لكل ما يأمر به الملك حدود مناسبة، كى لا يتجاوز حد الاعتدال قط فى الرضا والسخط، وكنت أريد أن يعلم هذا الأمير حال المظلومين والأسرى والجماعة التى تجرى على الأقدام أمام جواده، كذلك أولئك القوم الذين يقفون على أرجلهم، والمستحقين لإقامة الحدود، وتوقيع العقوبة عليهم، ليتضح له أية مشقة تحل بأجسادهم وقلوبهم عند إنزال الغضب الملكى بهم، ولأن الأمير لم يتعلم إلا قليلا من هذه الآلام وتلك الشدائد، لذلك أمرت بذلك القدر من العقاب والجرى والوقوف على قدر ما تحتمله طاقته، أما عن سبب الفرار والغيبة فلأنه لم يكن ينبغى أن تحمل الشفقة الأبوية الملك على أن يتلفظ فى حق عبده بكلمات جزاء على تلك الأفعال وما سببته لذات الأمير الشريفة من معاناة، وما ألحقته بجسده اللطيف من آلام، فتضيع معاناة عبده فى هذا الصدد".

وهذه الحكاية تليق بذاك القدر من الألم الذى لحق بالوجه المبارك لألغ خان المعظم (خلدت دولته) أثناء إحضاره إلى العاصمة وسط الأتراك، حتى يسأل عن أحوال المساكين، ويستمتع لشكوى المظلومين إذا ما بلغ منصب الدولة ونيابة السلطنة. جعل الحق تعالى العدل والإحسان رفيقين لأفعاله وأقواله وأحواله.

ونعود الآن إلى سياق التاريخ: عندما آل العرش إلى السلطنة رضية، كان ألغ خان رئيس الخاصة أيضا، حتى واتاه الحظ، فصار أميرا للصيد. وكأنما القدر كان يقول لسوف تكون الدنيا صيدا لدولته وجاهه، وسوف يكون العالم فريسة لمكنته وسطوته.

فكان أول منصب يتولاه هو إمارة الصيد. وبعد أن قضى فترة فى تلك المرتبة، وأدى خدمات فيها، زالت فجأة شمس دولة رضية، وطلعت شمس سلطنة معز الدين بهرامشاه وأخذ طالع الألف خانية يتزايد، فصار أَلغ خان المعظم أميراً للركائب لما كان قد قام به من خدمات فى عمله، ولما أظهره من آثار جليلية، وأصبحت مراكب الملك والسلطنة خاضعة للجام سلطانه.

ولما صار الملك بدر الدين سنقر أميراً للحجاب، عامل أَلغ خان بشفقة أبوية، فولاه حسن اهتمامه، ورفع درجات فوق درجته، وفوضه إقطاع ريوارى. وعندما ذهب أَلغ خان إلى هناك عاقب المتمردين فى مناطق السفوح بقوة وشجاعة تامة، وأعاد الأمن والاستقرار إلى تلك المناطق.

وعندما بدأت سلطنة معز الدين فى الانهيار جاء الملوك إلى باب المدينة عسبة واحدة، واتفق جملة الأمراء والملوك فيما بينهم.

وأظهر أَلغ خان (خلدت دولته) صاحب ريوارى شجاعة فائقة، وأبدى كثيراً من آثار الشهامة لتحقيق هدف الملوك، على نحول يحقق معه أى واحد قط من أمراء الترك والتاجيك وملوكهم نسبة الواحد فى المائة بالنسبة إلى ما قدمه أَلغ خان، وأجمع الجميع على أنه يفوق الجميع قوة وقنالا وهجوما وإقداما.

فلما فتحت المدينة صارت هانسى تابعة لعمال أَلغ خان، وعندما انضوت تلك الولاية تحت لوائه عمرت، وصار الخلق مرفهى الحال من آثار عدله، وأنوار بذله ووصل أمر دولة أَلغ خان إلى حد أخذ معه سائر الملوك الآخرين يحسدونه على يمن طالعه، وأخذ شوك الحسد يتراحم فى نفس كل واحد منهم.

ولكن لأن الله تعالى كان قد أراد له أن يكون أعظم من الجميع، لذا كان أريج عود دولته يتزايد في مجمر الأيام كلما تأججت نار حسدهم وتزايدت، مصداقا لقوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيرَ نُورَهُ﴾^(١٢).

خلده الله تعالى في منصب للدولة، وجعل داعي الدولة القاهرة منهاج بن السراج مؤلف هذه الطبقات مقرا بأداء حق الإنعام الموفور، والإكرام الشامل لذلك الخاقان الأعظم.

فكتابة ألف جزء من الأوراق المقرمطة^(١٣) في أوصافه المحمودة وأخلاقه الكريمة، لا تكاد تبلغ قطرة من بحار محيطه المترامي الأطراف، ولا تنقل نسمة إلى مشام المستمعين والقارئ من روائح روضة فردوسه، حتى وإن بلغت تلك الصحائف مئات الآلاف.

فحقوق أيادي الألفاظ الملكية لذلك الملك الأكرم التي استصدر بها الأوامر، وما زال يستصدرها من العرش الأعلى لسيد سلاطين الأرض (خلد الله سلطانه) لهذا الداعي من تفويض المناصب وإسناد الأعمال ووفور الإنعامات وشمول الكرامات سوف تظل في نمة هذا الضعيف وأبنائه وأتباعه باقية.

فليزينه الملك تعالى بعظمة السمع وأبهة الطاعة للحضرة العلية لسلطان سلاطين العالم ناصر الدنيا والدين، وليزينه بحلى الخضوع وحل الانقياد لذلك الخاقان المعظم حتى نهاية دوران العالم بمحمد وآله.

ولنتابع الآن سياق التاريخ: اتفق لهذا الضعيف أن سافر في شهور سنة أربعين وستمئة إلى لکهنوتی، ولبث في هذا السفر عامين مع أتباعه وأشباعه. وقد روى الثقات أنه في شهور سنة اثنتين وأربعين، أصبح الخاقان المعظم ألغ خان الأعظم أميرا للحجاب في البلاط الأعلى لعلاء الدين مسعود شاه بن فيروز شاه.

وعندما تحركت الرايات العليا مقترنة بالنصر والظفر من الحاضرة دهلي، عاقب السلطان بشدة متمردي جلالى ودتولى، وأولئك المتمردين فيما بين نهري جون وكنك، واستن الجهاد والغزو، وطهر الطرق وأطراف الولاية من فساد المتمردين.

وقد أقبل كاتب هذه السطور من نواحي لهنوتى مع أتباعه إلى الحاضرة العظمى برفقة طغان خان طغرل، وفقا للأمر العلانى الأعلى فى شهر سنة ثلاث وأربعين.

وفى ذلك العام قاد منكوتة اللعين وأحد قواد جيش المغول وملوك بلاد التركستان جيوش المغول من حدود طالقان وقندز إلى بلاد السند، وحاصر حصن أجه، وهو من القلاع الشهيرة فى بلاد السند .

وكان مع الحارس مخلص الدين فى تلك القلعة شاعر من بين جملة خدم تاج الدين أبى بكر كبير خان، وكان أميرا للعدل واسمه آقسنقر. فلما وصل الخبر إلى الحاضرة، قاد الملك ألغ خان الجيش بقاء على الأمر الأعلى، واستعد لصد المغول، وكان كل من الملوك والأمراء يعارض ذلك الأمر، بينما كان الملك ألغ خان يصمم على هذا العزم.

فلما اتجهت الرايات العليا إلى تلك الناحية، أرسل الخاقان المعظم (خلد الله ملكه) القادة فأخذوا يقطعون المسافات على عجل، وكانوا يظهرون للناس أن كل منزل سيكون ثمانية كروهات^(١٤) بينما كانوا يقطعون فى المنزل اثنى عشر كروها أو أكثر.

حتى بلغ ألغ خان بالجيش نهر بياه، وعبر به النهر وقاده إلى شاطئ نهر راوى بلاهور، وكان مصرا على ذلك التوجه، وكان يظهر الشجاعة، ويحرص السلطان والملوك على دفع ذلك الخطر.

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ثلاث وأربعين وستمائة بلغ المعسكر الأعلى خبر مؤداه أن جيش كفار المغول قد رحل من حول قلعة أجه.

وكان سبب ذلك أن الخاقان المعظم ما إن وصل إلى أطراف نهر بياه حتى وجه الرسل وأمرهم فحرروا الرسائل من قبل الحضرة العليا إلى أهل قلعة أجه يخبرونهم فيها بمجىء الرايات العليا وكثرة عدد الجيش والفيلة واحتشاد الفرسان ورجالة الجيش وشجاعة الرجال من الفدائيين الذين يوجدون فى خدمة الركاب الأعلى، وبعث بهؤلاء الرسل إلى أجه، وسير فى البداية فوجا من الجيش طليعة ومقدمة.

وحينما وصل هؤلاء الرسل إلى أنحاء أجه، وقعت بعض الرسائل فى أيدي جيش الملاعين ووصل بعضها إلى أهل القلعة، فلما دقوا طبل السرور فى القلعة، وعلم منكوتة اللعين بوصول خطابات جيش الإسلام واقتربا فرسان المقدمة فى أطراف ولاية السند من شاطئ نهر بياه ولاهور، ملأ الخوف قلوب الملاعين وتلاعب الرعب برءوسهم، وكان فضل الخالق عونا ومددا.

وقد روى الثقات: أنه عندما علم منكوتة أن جيش الإسلام والرايات العليا قد سلكوا الطريق الموازى للجبل، وأنهم يتقدمون منه أيضا إلى شاطئ نهر بياه، سأل ذلك الملعون قوما عن سبب اتجاه جيش الإسلام صوب مناطق السفوح، إذ إن ذلك

الطريق طويل بينما طريق سرسنى ومروت قريب، فقال له القوم: إن شاطئ النهر لا يصلح طريقا لجيش الإسلام نظرا لعدم استوائه، فقال لا بد أن يكون جيشا كبيرا، ولن تكون لنا طاقة على مقاومته.

عندئذ صدر قوله بضرورة العودة، فاستولى خوفهم عليهم، ولم يعد لهم مقام أكثر من هذا، فقسموا الجيش إلى ثلاثة أفواج، وذهب منكوبه هاربا، ونجا الكثير من أسرى المسلمين والهنود.

وكان سبب هذا النصر شجاعة الخاقان المعظم ألغ خان وجلده وحسن قيادته للجيش وجرأته وهيبته، فلو لم تكن شجاعته وجرأته وجلده، لما كان لمثل ذاك النصر أن يتيسر أبدا.

حفظه الحق تعالى في عصمته، بمنه وجوده.

فلما تحقق هذا النصر قال ألغ خان إن الصواب هو أن تتحرك الرايات العليا إلى ناحية ممر ماني حتى تتمكن قوة جيش الإسلام وعدنه وشجاعته في نفوس الأعداء.

وبناء على هذا الرأي ذهبوا حتى شاطئ نهر سدره، وبقيت الرايات العليا هناك حتى اليوم السابع والعشرين من شهر شوال سنة ثلاث وأربعين وستمائة، حيث عادت من شاطئ سدره إلى الحاضرة فبلغتها في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

وفي هذه الفترة تغير خاطر السلطان علاء الدين على الملوك وعلى الجيش الذي تفرق أكثره ولم يكن أمر السلطان يستقيم بدونه.

ولأن الفساد كان قد تمكن من خاطر السلطان، فقد كتب جميع الملوك بالإجماع رسائل من الحاضرة دهلى إلى بلاط السلطان المعظم ناصر الدنيا والدين (خلدت دولته) فى السر والخفاء، والتمسوا تحريك راياته الملكية للجلوس على عرش السلطنة.

وفى يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر محرم سنة أربع وأربعين وستمائة وصل السلطان ناصر الدنيا والدين (ليخلد طوال السنين) إلى الحاضرة، وجلس على عرش السلطنة وقال ألغ خان المعظم: " لأن خطبة الممالك وسكتها قد زينت بالاسم الناصرى الملكى، فالصواب هو أن تذهب الرايات العليا إلى الشمال، حيث هرب جيش الملاعين أمام جيش الإسلام وذهب إلى الشمال العام الماضى.

وبناء على هذا القول الصائب استقر رأى على الاتجاه شمالا. وفى يوم الاثنين غرة شهر رجب سنة أربع وأربعين وستمائة خرجت الرايات العليا من الحاضرة، فما إن بلغت شاطئ نهر سدره حتى انفصل ألغ خان المعظم عن الجيش مع ملوك الإسلام وأمرانهم لنهب ولاية جود بمناطق السفوح، حتى ينتقم من أمير جبل جود الذى كان قائدا لجيش كفار المغول فى العام السابق.

فسار لهذه الغاية، وهاجم جبل جود وأطراف نهر جيلم، وزحف جيش الإسلام حتى شواطئ نهر السند بحيث ولى هاربا كل من كان فى تلك الديار من أتباع الكفار.

وعندما رأت جماعة جيش كفار المغول التى كانت قد حلت بالممر المائى لنهر جيلم ما عليه جيش الإسلام تحت إمرة ألغ خان المعظم من قوة واقتدار،

استولى الخوف على قلوبهم وتعجبوا من كثرة صفوف الجيش، وكثرة الدواب والدروع والأسلحة الوافرة، واستولى الرعب التام على تلك الجماعة.

ولا يحيط الوصف والتقرير بما قام به ألغ خان المعظم من شهامة وحسن قيادة ومواجهة للعدو وشن الحملات على شعاب الجبل ومضايق الوديان، واحتلال الأماكن الحصينة وقطع الغابات.

وقد ذاع خبر تلك الغزوة وذلك الجهاد، ووصل حتى بلاد التركستان. ولما لم تكن فى تلك الأرض زراعة ولا عمارة، لم تكن المون لتتوفر للجيش، لذلك رأى ألغ خان العودة.

فلما عاد ألغ خان إلى البلاط مظفرا ومنصورا وسالما مع كافة الجنود والملوك الذين كانوا بصحبته، تحركت الرايات العليا للعودة إلى دار الملك العظمى فى يوم الخميس الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة، وكان وصولها إلى الحاضرة فى يوم الخميس الثانى من شهر محرم سنة خمس وأربعين وستمائة.

ولما كان جيش التركستان والمغول قد شاهد تلك التحركات وقيادة الجيش، بصائب رأى ألغ خان المعظم وصادق عزيمته، فإن شخصا قط لم يقصد ممالك السند من جهة الشمال خلال عام خمسة وأربعين.

حتى عرض ألغ خان المعظم فى شعبان سنة خمس وأربعين وستمائة على السلطان الأعظم أن الصواب هو أن تذهب الرايات العليا فى هذا العام للإغارة على أطراف ممالك الهند وغزوها، لسحق المتمردين والأمراء الذين لم يلقوا عننا خلال السنوات السابقة، وليفوز جيش الإسلام بالغنائم ليتيسر له الاستعداد لغزو المغول وتدبير الأموال.

فاتجهت الرايات العليا إلى بلاد الهند وفقا لهذا رأى الصائب، وذهبت إلى المنطقة الواقعة بين نهري كنك وجون، وفتحت قلعة تلسند بعد غزو وجهاد كبيرين.

ووجه ألغ خان المعظم ملوك الإسلام وجيوشه مرة أخرى لدفع ولكى وملكى، وكان أميراً فى المناطق المحيطة بنهر جون فيما بين كالنجر وكره، حيث لم يكن لملوك أطراف كالنجر ومالوه سلطان هناك، ولم يكن جيش الإسلام قد وصل إلى تلك المنطقة فى أى وقت لكثرة أتباع أميرها ووفور أمواله ورزانه رأيه وحصانة ذلك المكان واستحكام مضائق الشعاب والتفاف الغابات الكثيفة والجبال المنيعه.

فلما وصل ألغ خان المعظم إلى بلاد ذاك الأمير وموضع إقامته، أبدى الأمير كثيراً من المقاومة من دار لدار حفاظاً على نفسه وأتباعه بحيث صمد من وقت الصباح حتى صلاة العشاء. وعندما حل الليل انسحب من ذلك الموقع إلى الأماكن الحصينة، وعندما بزغ النهار، دخل جنود الإسلام إلى ذلك المكان، وتعبوه.

وكان ذلك اللعين قد التجأ إلى جبال شامخة، وانتقل إلى موضع لا يتيسر الدخول إليه إلا بجهد بالغ وحيال وسلام.

وحدث ألغ خان المعظم جيش الإسلام على الجهاد وتم الاستيلاء على ذلك الموضع نتيجة قوة أوامر ألغ خان وقدرته إشاراته، كما أسر جميع أهل العدو وأتباعه وأقاربه وأبنائه وكثرة من العبيد، وغنم المسلمون كثيراً من المواشى والخيل فكانت غنائم جيش الإسلام مما يعجز خيال أهل الحساب عن الإحاطة بها وتسجيلها.

وفى آخر شوال سنة خمس وأربعين وستمائة وصل ألغ خان إلى البلاط الأعلى بغنائم وفيرة، وعادت الرايات العليا بعد عيد الأضحى إلى الحاضرة فى الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ست وأربعين وستمائة.

وقد نظم منهاج بن سراج كتابا مفصلا عن جملة هذا السفر وتلك الغزوات وسمى هذا الكتاب "ناصرى نامه".

ثم توجهت الرايات العليا إلى الشمال فى شعبان سنة ست وأربعين، وعبرت ما بين نهري كنك وجون حتى شاطئ نهر بياه، وعادت من هناك إلى الحاضرة.

كما توجه ألغ خان المعظم مع الملوك الآخرين ممن كانوا برفقته على رأس جيوش جرارة إلى رن تنهور، وأغار على سفوح جبال ميوات وبلاد باهرديوأكبر ملوك الهند، فاستولوا على كل تلك الولاية وأنحاء تلك الممالك، وحصلوا على غنائم كثيرة.

وقد استشهد الملك بهاء الدين أبيك الخواجه أمام قلعة رن تنهور فى يوم الأحد الحادى عشر من شهر ذى الحجة سنة ست وأربعين، وكان ألغ خان المعظم مشغولا بالقتال فى الطرف الآخر من القلعة، وكان رجاله مشغولين بالقتال والغزو، حيث قتلوا كثيرين من الكفار، وأرسلوهم إلى الجحيم، وجمعوا غنائم وفيرة، أغنوا بها جيش الإسلام.

وعاد ألغ خان إلى الحاضرة العليا، فلقق بالبلاط الأعلى يوم الاثنين الثالث من شهر صفر سنة سبع وأربعين وستمائة.

وفى تلك السنة، رغب السلطان الأعلى ناصر الدنيا والدين (أعلاه الله) فى أن يتزوج من الأسرة الألف خانية، نظرا للأثار الحميدة التى كانت تترى كل عام من قبل ألف خان فى قيادة الجيوش والخدمة الجادة للبلاط الأعلى.

فلم يكن هناك أى ملك قط من الأتباع والعبيد الذين وصلوا إلى درجة الخانية والملك أعظم ولا أكثر حزما ولا أصوب رأيا ولا أشجع قيادة للجيش ولا أكثر ظفرا فى تدمير العدو من الذات المباركة والعنصر الملكى لألف خان حتى يتشرف بشرف اتصال الحضرة العلية للسلطان الأعظم ناصر الدنيا والدين (خلد الله ملكه وسلطانه) ويرتبط باستظهاره ونصرته؛ مما يزيد السعى فى سبيل ازدهار الممالك والقضاء على الخصوم والأعداء فى الأنحاء المختلفة.

فقبل ألف خان المعظم تعظيما للأوامر، وامتنالا للأحكام وعملا بمقالة العبد وما فى يده ملك لمولاه، وحقق ذلك الأمر بالعقد المبارك فى يوم الاثنين العشرين من شهر ربيع الآخر سنة سبع وأربعين وثمانئة، وأظهر بذلك قوله تعالى ﴿مَرْجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾^(١٥) بآثار أنوار الأمراء تصديقا لقوله تعالى ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا الْقُلُوبُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(١٦).

أورث الحق تعالى أولئك الأمراء أعمار جميع الملوك فى حياة السلطان الأعظم ودولة ألف خان المعظم بسعادة وسلطنة الأسرة الشمسية، بمحمد وآله الأمجاد.

ولما تحققت هذه الصلة التى كانت نتيجة ليمن الطوابع الفلكية، وارتقت منزلة الألف خانية من منصب أمير للحجاب، إلى جاه منصب الخان وعلوه. صدر يوم الثلاثاء من شهر رجب سنة سبع وأربعين وثمانئة، من الحضرة العليا مرسوم بنبابة الدولة وقيادة الجيش والظفر بلقب ألف خان لفريد عصره وصاحب العنصر

الملكى. وكأنما كان ذلك اللقب فى الحقيقة نتيجة للمقولة المأثورة " الألقاب تنتزل من السماء".

ومنذ ذلك العهد علا شأن الدولة الناصرية ثانية نتيجة لبطولة ألغ خان وجده فى الخدمة، وعندما لقب بألغ خان، صار أخوه الملك الكريم الحليم صافى السيرة وحميد السريرة سيف الحق والدين كشلى خان أيبك السلطانى (طاب ثراه) أميراً للحجاب بعد أن كان أميراً للركائب، وصار الملك تاج الدين سنجر ترخان نائباً لأمير الحجاب، وتولى أمير الحجاب علاء الدين إياز الريحانى نيابة الوكالة، وهو ابنى وقرّة عينى، ويتصف بجميع الأوصاف الحميدة، ولا توجد أى صفة أقوى من الإخلاص لخدمة ألغ خان. دام له الرقى والعلو.

وكان تفويض تلك المناصب فى يوم الجمعة السادس من شهر رجب سنة سبع وأربعين وستمئة. وأصبح اختيار الدين أيبك موى دراز نائب أمير الركائب أميراً لها، وتحرك من العاصمة للجهاد فى يوم الاثنين التاسع من شهر شعبان سنة سبع وأربعين.

واتخذ ألغ خان من وادى نهر جون معسكراً للجيش، وانشغل فى الغزو والجهاد فى الأطراف ضد المتمردين، حتى وصل إلى هذا الداعى خبر من خراسان عن شقيقته، وأثرت وحدتها فى قلبه، فذهب إلى معسكر ألغ خان المعظم، وعرض عليه ذلك الأمر.

فخصه ألغ خان بكثير من الإنعامات والألطاف التى لا يحيط بها حصر، فقد أمر لداعيه المخلص منهاج بن سراج بخلع وهدايا، تشمل جوادا كميّتا بسرج موشى بالفضة، وثوبا موشى بالذهب، وخراج قرية يقدر بثلاثين ألف جيتل، ولا تزال تلك الصلة تصل هذا المخلص سنوياً حتى هذا التاريخ.

جعل الحق تعالى تلك النعم مدعاة لمزيد جاهه وملكه، وحفظه مظفرا ومنصورا على أعداء الدين.

وقد عرض هذا الداعي حاله وضيق قلبه على الحضرة العليا في يوم الأحد العاشر من شهر ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة، فصدر الأمر بإرسال أربعين عبدا ومائة من الأحمال إلى شقيقة هذا الداعي في خراسان. أدام الحق سبحانه وتعالى الدولة الناصرية وحفظها حتى انتهاء العالم.

وقد توجه الداعي مع هذه الإنعامات الوفيرة في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة سبع من قبل الحضرة إلى ملتان لإرسال العطايا والنعم إلى خراسان.

وفي الطريق كان أتباع ألغ خان المعظم وخدمه في كل قصبة ومدينة وقلعة كنت أبلغها يقدمون لى كثيرا من النعم والألطاف والاحترام مما يعجز العقل عن الإحاطة به. ليتقبل الحق تعالى من الجميع.

وفي يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الأول سنة ثمان وأربعين وستمائة وصل الداعي إلى ملتان، وذهب حتى شاطئ نهر جهلم.

وعندما أوصل تلك الهدايا من العبيد والأحمال إلى خراسان، أقام مدة شهرين في ساحة قلعة ملتان بين جند الملك بلبن إذ كان الجوشديد الحرارة، وعندما دخل موسم الأمطار ونزلت أمطار الرحمة عاد من ملتان في السادس والعشرين من شهر جمادى الأولى، فوصل إلى البلاط في الثاني من جمادى الثانية.

وفي تلك الأثناء عندما مات قاضى قضاة ممالك الهند جلال الدين الكاشانى (عليه الرحمة) ولم يكن له مثيل، ولأن الألطاف الألف خانیه في شأن هذا الداعي المخلص كثيرة ووفيرة، لذا فقد اختص ألغ خان داعى دولته بحسن عاطفته، ليقوم

بتجديد عهد قضاء الممالك، وعرض ذلك على السلطان الأعلى (أعلاه الله) يوم الأحد العاشر من شهر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين وستمائة ففوض قضاء الممالك إلى هذا الداعي.

أدام الحق تعالى سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين على عرش السلطنة، وولد ألغ خان المعظم والخاقان الأعظم فى بلاط السلطنة.

وفى يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة تسع وأربعين وستمائة اتجهت الرايات العليا إلى ولايتى مالوه وكالنجر.

وعندما وصل ألغ خان المعظم مع جيش الإسلام إلى تلك النواحي، هزم جاهر ملك أجارى، وكان أميراً هندياً موفور الجاه وذا جند ورجال وأتباع كثيرين، وصاحب عدة وعتاد كامل من الخيل والرجال والسلاح، وقضى عليه وعلى ولايته، وكان اسم ملك أجارى هذا "جاهر"، وكان رجلاً غاية فى الشجاعة والحنكة.

وكانت جيوش الإسلام قد توجهت فى عهد السلطان السعيد شمس الدين (طاب ثراه) من بهيانه وسلطانكوت وقنوج ومهر ومهاون وكاليور فى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة للإغارة على ولاية كالنجر بقيادة نصره الدين تايسى المعزى الذى فاق أبناء جنسه من ملوك ذلك العصر بالرجولة والشهامة والكفاءة والشجاعة والحنكة وقيادة الجيش.

وانطلق نصره الدين تايسى بذلك الجيش من كاليور مدة خمسين يوماً، وفاز بغنائم وفيرة بحيث إن الخمس السلطانى وصل فى ذلك الوقت إلى ما يقرب من اثنين وعشرين لكا.

وأثناء العودة من ولاية كالنجر مر جيش الإسلام بأمير أجارى، وخلصه القول قام ذلك الأمير بقطع الطريق على جيش الإسلام عند المضائق الموحلة لمياه كرانه. وقد سمع الداعي من نصرة الدين تايسى قوله: "لم ير خصم قط فى بلاد الهند ظهري، إلا ذلك الهندي الأجارى، حيث أخذ يحمل على كأنه نذب يقع على قطيع من الأغنام، فكان لزاما على أن أحيد عن طريقه، حتى أقبلت من طرف آخر، وحملت عليه، وأنزلت به الهزيمة".

لقد أوردت هذه القصة لينضح للقراء مدى شهامة ألغ خان المعظم ومكنة ملكه، بحيث قهر مثل هذا الخصم وهزمه بمعركة واحدة، وأخرج من قبضته قلعة نرول وهى حصن شهير، وأبدى فى ذلك السفر وفى تلك الحرب من الشهامة والشجاعة والجهاد ما يبقى تذكارا للزمان.

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسين وستمائة عادت الرايات العليا إلى الحاضرة، وظلت مدة ستة أشهر فى دار الملك العظمى.

حتى إذا كان يوم الاثنين الثانى عشر من شهر شوال سنة خمسين وستمائة تحركت الرايات العليا إلى الشمال صوب نهر بياه، حيث كان الملك بلين صاحب إقطاع بداون، والملك قتلغ صاحب إقطاع بهيانه.

فتم استدعاء الملكين من قبل الحضرة السامية، فحضر الاثنان مع ملوك الجيش جميعا إلى السرادق العظيم، وعندما وصلت الرايات الملكية إلى أطراف نهر بياه، تأمر عماد الدين ريحان سرا مع الملوك.

فقد استبد الحسد بالجميع بسبب إقبال دولة ألغ خان، وكان لحساده بغض ظاهر على ذلك المجد وتلك العظمة، فتأمرُوا وعساهم يلحقون بالذات المباركة

والعنصر الملكي لألغ خان أدى أضررا فى حلبة صيد أوفى مضيق موحل أوفى
ممر مائى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَا أَن يَبْلُغَ نُورُهُ﴾ (١٧).

فكان الله يحفظ دولة الألغ خانية بعصمته، ولم ييسر للخصوم أن ينالوا من
عرضه الشريف وطبعه اللطيف. ولما لم يتيسر ما كان فى ضمير تلك الجماعة
اتفقوا سويا، واجتمعوا على باب المقام الأعلى، وعرضوا على السلطان أن يأمر
ألغ خان بالذهاب إلى إقطاعه.

وعلى هذا استصدروا الأمر فتحرك ألغ خان من سدره إلى هانسى مع جنده
وأتباعه وخدمه وأشياعه يوم الثلاثاء آخر شهر المحرم سنة إحدى وخمسين وستمائة.
وعندما عادت الرايات العليا إلى الحاضرة، أخذ شوك الحسد من ألغ خان
يتحرك فى الباطن الريحاني الحالك الظلمة، فقالوا للسلطان (طال عمره) إن
الصواب هو أن يصدر الأمر لألغ خان المعظم بالذهاب إلى ناگور، ويجب أن
تفوض ولاية هانسى إلى أحد الأمراء.

وبناء على هذا رأى تحركت الرايات العليا إلى هانسى، وذهب ألغ خان
الأعظم إلى ناگور، وكان ذلك التحرك فى شهر جمادى الأولى سنة إحدى
وخمسين وستمائة.

وعند الوصول إلى هانسى صار عماد الدين ريحان صاحب النيابة، وأمسك
بزمَام أمور الإيوان العظيم. وبناء على ذلك الحسد وهذا الخبث استعداد قضاء
الممالك من داعى الدولة منهاج بن سراج فى شهر رجب سنة إحدى وخمسين
وستمائة، وفوضه إلى القاضى شمس الدين بهراجى، وقد عادت الرايات العليا فى
السابع عشر من شهر شوال من العام نفسه إلى الحاضرة.

ثم أرسل الملك سيف الدين كشلي خان أليك وكان شقيق ألغ خان المعظم إلى مناطق السفوح، وفوضت نيابة إمارة الحجاب إلى عز الدين بلبن صهر قتلغ خان، فغير وبدل كل ترتيب أقامه ألغ خان، فاضطربت أمور الملك المستقرة بالتدبير الفاسد لعماد الدين ريحان.

وفي هذه الفترة كان ألغ خان المعظم والخاقان الأعظم (خلدت سلطنته) قد اتجه إلى ناگور وقاد جيش الإسلام إلى ناحية ولايات رن تنبهور وبهندي وجنرور، كما قاد باهرديو ملك رن تنبهور أعظم ملوك الهند الكبار جيشا عساه يستطيع أن ينزل بألغ خان كارثة.

ولكن الحق تعالى وتقدس كان قد أراد أن يبقى الاسم الطيب لعبيد الدولة الألغ خانيه على صحائف الأيام بالنصر والفوز والظفر المخد، فهزم ألغ خان جميع جنود الملك باهرديو رغم كثرة عددهم وعتادهم من السلاح والجياد الأصيلة والأبطال المشهورين، وأرسل كثيرا من مشاهير رجالهم إلى الجحيم ، وفاز بغنائم كثيرة، واستولى على جياد وعبيد تفوق الحصر. وعاد سالما غانما في عصمة الخالق إلى خطة ناگور التي كانت قد ازدهرت حاضرة عظيمة بوجود عبيد الدولة الألغ خانية.

وفي الشهور الأولى لسنة اثنتين وخمسين كان حال جماعة المظلومين الذين كانوا قد انزروا في ركن النسيان نتيجة للعدوان والعزل الذي لحق بهم في غيبة ألغ خان، قد أصبح كالسمكة إذا ما حرمت الماء، وكالمريض الذي لا يعرف النوم، يدعون آناء الليل وأطراف النهار حضرة الخالق تقديس شأنه أن تشرق شمس الدولة

الألغ خانیه من مطلع الجلال والمجد، وأن يمحو بنور شمس الدولة الألغ خانیه ظلمة ظلم العهد الريحانی.

وقد أعز الحق تعالى دعاء المعذبين وشكاوى المنكوبين بعز الإجابة، وحرك الرايات المنصورة لألغ خان من ناگور إلى عاصمة الجلال، وكان ذلك لأن عبيد بلاط السلطنة وملوكها كانوا جميعا من الأتراك عريقى الأصل، ومن التاجيك مختارى الوصل، وكان عماد الدين رجلا سینا وناقصا ينتسب لقبائل الهند، وكان يقود العظماء عريقى النسب، الذين سئموا تلك الحال، ونفذ صبرهم على تلك المذلة.

وقد بلغ الحال بهذا الضعيف منهاج بن سراج نحو لم يكن يستطيع معه أن يخرج من وثاق قبضة ظلم تلك الجماعة من المعتدين والمفسدين والعصاة من خاصة عماد الدين ریحان لمدة ستة أشهر أو أكثر، حتى إنه لم يكن يتيسر له الذهاب إلى صلاة الجمعة، فما بال الآخرين، ممن سطرت أحوالهم جميعا فى الصفحة المقابلة، وكان كل واحد منهم من أصحاب الأمر ومن الملوك الفاتحين والقواد ومحطى الأعداء، فكيف بهم تحت مثل تلك المذلة؟.

والخلاصة أن ملوك بلاد الهند من بلاد كره ومانكپور ومدينة أوده وأبعد من ذلك شمالا حتى بداون، ومن نواحى تبرهنده وسنام وكيرام وسامانه وجميع أنحاء سوالك، قد التمسوا من ألغ خان العودة إلى الحاضرة.

فقاد أرسلان خان الجيوش من تبرهنده، وخرج بت خان من سنام ومنصور پور، وجمع ألغ خان الجيوش من ناحية ناگور وسوالك، ولحق بهم الملك جلال الدين مسعود شاه ابن السلطان من ناحية لاهور، وتوجهوا إلى الحاضرة، وعرض عماد الدين ریحان على السلطان أن يتوجه بالراية العليا لدفع عبيده.

فتوجه السلطان بالجيش من دهلى إلى سنام، وكان ألغ خان المعظم فى أنحاء تبرهنده مع الملوك الآخرين، وقد توجه هذا الداعى من الحاضرة إلى المعسكر الأعلى؛ إذ لم يكن من الممكن البقاء فى المدينة بغير وجود السلطان. وفى يوم نسبت السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك عمت بركته سنة اثنتين وخمسين وستمائة وصل منهاج إلى المعسكر الأعلى، وتلا الدعاء ليلة القدر فى الحاضرة العلية.

وفى اليوم التالى الأربعاء السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك، وفى أثناء الطريق اقترب كل من الجيشين من الآخر، والتقت المقدمتان، وظهر اضطراب عظيم بين الجند، وأقيمت صلاة عيد الفطر فى سنام.

وفى يوم السبت الثامن من شوال عادت الرايات العليا إلى هانسى، وتحرك الملك جلال الدين وألغ خان المعظم مع الملوك الآخرين إلى كيتل، وسعى جماعة الملوك والأمراء من الجانبين فى الإصلاح بين الطرفين.

فأقبل القائد قره جماق أحد خاصة عبيد ألغ خان، وكان معروفا برجولته من طرف معسكر ألغ خان وتوجه أمير علم الجيش حسام الدين قتلى شاه ذلك الأمير الملائكى الصفات موفور الصدق وحميد السيرة وكان يتصف بكبر السن عن الأمراء الآخرين مع القائد قره جماق وملك الإسلام قطب الدين حسن بن على طاب ثراه، وقاموا بكل جد وجهد ممكن فى الإصلاح بين الجانبين.

وكان التماس جميع الملوك لدى الحاضرة العليا يتضمن قولهم: "كلنا نلتزم طاعة بلاط ملاذ العالم إلا أننا لا نأمن كيد عماد الدين ربحان وحركاته الفاسدة، فلو أبعد عن البلاط السلطانى، فسوف نلتحق جميعا بخدمة البلاط، ونمثل للأوامر العليا".

وعندما تحركت الرايات العليا من هانسي إلى جيند في يوم السبت الثاني والعشرين من شوال سنة اثنتين وخمسين وستمائة، عزل عماد الدين ریحان من النيابة والحمد لله على ذلك وعلى سائر نعمه. وقد فوضت له بداون، وذهب عز الدين بلبن نائب أمير الحجاب إلى معسكر ألغ خان.

وفي يوم الثلاثاء الثالث من ذى القعدة وصل الملك بت خان أيبك الخطائى عليه الرحمة إلى المعسكر الأعلى، بهدف إتمام مراسم الصلح.

وهنا حدث شيء عجب اطلع الداعي على باطن أمره وهو مؤامرة عماد الدين ریحان مع جماعة الأتراك ممن يضمرون في أنفسهم مخالفة عابرة لألغ خان المعظم مؤداها أنه عندما يأتى بت خان أيبك الخطائى إلى باب القصر الأعلى، يضربونه بالسيوف في مدخل البلاط، وبمجرد وصول ذلك الخبر إلى المعسكر الألغ خانى يقتل المتآمرون عز الدين بلبن بالسيوف، فلا يتم هذا الصلح، وبذلك يسلم عماد الدين ریحان ولا يتيسر مجيء ألغ خان إلى الحاضرة.

وما إن علم الملك قطب الدين حسن بهذا التوجه حتى أرسل ألغ خان الحاجب الخاص شرف الملك رشيد الدين الحنفى إلى الملك بت خان أيبك الخطائى، يبلغه أن الصواب هو أن يلزم مكانه غدا صباحا، ولا يتجه إلى باب الحضرة العليا.

وبناء على هذا الأمر امتنع بت خان عن الذهاب إلى القصر، وفشل تدبير الملك عماد الدين ریحان مع الأتراك المخالفين، وعلم الأكابر بهذا الأمر، فأصروا على ضرورة إرسال عماد الدين من المعسكر إلى بداون تنفيذاً للأمر الأعلى.

وفي يوم الثلاثاء السابع من شهر ذى القعدة أمر سلطان السلاطين وملوك البلاط الأعلى داعى الدولة منهاج بن سراج بالقيام بالإصلاح بين الجانبين، حتى

تعاهدوا واتفق الجميع على ذلك، وفي اليوم التالي الأربعاء انضم ألغ خان المعظم مع سائر الملوك الآخرين إلى البلاط الأعلى، وقبلوا الأيادي والحمد لله على ذلك.

وعادت الرايات العليا، وعاد ألغ خان المعظم في صحبة الركاب الملكي يوم الأربعاء التاسع من شهر ذي الحجة إلى الحاضرة دهلي.

وكان من فنون الألفاف الربانية أن أمطار الرحمة في تلك المدة، لم تكن قد نزلت من السماء، فانفتح باب الرحمة الربانية في ذلك الوقت ببركة قدوم ألغ خان، وسقطت الأمطار التي كانت سببا في حياة النبات والناميات والخلق والحيوان، واستبشر جميع الخلق بمقدمه المبارك على أهل العالم، وسرورا بوصول موكبه الملكي، واستبشروا بذلك، وشكروا الحق تعالى على هذه الهبة الكبيرة.

وفي مطلع عام ثلاثة وخمسين، ونتيجة لتلك الحادثة^(١٨) التي وقعت في حرم السلطنة ولم يعلم بها أحد، أسند السلطان ولاية أوده إلى قتلغ خان في يوم الأربعاء السابع من شهر المحرم سنة ثلاث وخمسين، فذهب إلى تلك الناحية، وكان إقطاع بهراج قد أعيد في ذاك الوقت إلى عماد الدين ريجان.

وحينما أظهر إقبال ألغ خان المعظم شعلة الأنوار، وازدهرت حديقة الرضا، وفتح مفتاح الفضل الرباني الأبواب المغلقة للمعزولين، وكان منهاج بن سراج واحدا من جملة هؤلاء وهو داعي الدولة ومريد السلطان ومحِب دولة ألغ خان، وكان قد بقي في زاوية العزل والمحن وركن الشدة والشماتة بيد طعن الخصوم، وتعدى ظلم الأخساء، ولكن ألغ خان بحديه ورعايته عرض على السلطان الأعلى (أعلاه الله) تفويض قضاء الممالك ومهام الحكومة إلى هذا الداعي المخلص الدعاء. والناشر للنشاء للمرة الثالثة.

وتم ذلك فى يوم الأحد السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين
وستمئة، وظهر فى حق هذا الضعيف عناية قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ
الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَيْنَا﴾ (١٩).

أدام الحق تعالى السلطنة الناصرية، وخلد المكنة الألف خانية فى الملك حتى
نهاية دوران السماء بمحمد وآله أجمعين.

وعندما اتجه قتلغ خان إلى أوده، وانقضت فترة على وجوده هناك، بدأ
ظهور الفتن، فقد صدرت أوامر عن الحضرة عدة مرات ولكنه أهمل تنفيذها.

وكان عماد الدين ريحان يجتهد فى إشعال نيران الفتن عساه يحجب شمس
دولة ألق خان بطلاء المكر والحيل، ويطوى قمر راية العزة الخاقانية بحرقه
تلبسه.

لكن العناية الأزلية والكفاية الأبدية كانت دافعة لذلك الشر، بحيث إن الملك
تاج الدين سنجر وضاء الجبين دام إقباله، والذى كان قد فوضت إليه ولاية بهرايج
من قبل الحضرة، ولهذا السبب كبل بالقيود ولبث فى أسر الملك قتلغ خان وحبسه
فى أوده، قد استطاع بحيل رجولية أن يخلص نفسه من أيدي المعتدين، وأن يعبر
نهر سرو فى سفينة، وأن يذهب إلى بهرايج فى ثلة من الفرسان.

وهكذا كان تقدير الخالق أن طلعت دولة الأتراك القاهرة، وغاصت دولة
الهنود تحت الثرى مقهورة، وانهزم ريحان أمامهم وأسر، وغربت شمس حياته
بغروب الموت، وضعف أمر قتلغ خان بسبب موت ريحان، وكانت تلك الواقعة فى
بهرايج فى رجب سنة ثلاث وخمسين وستمئة.

وحينما سادت الاضطرابات فى الهند، وتمرد بعض الأمراء على البلاط
الأعلى، تحركت الرايات العليا فى يوم الخميس آخر شهر شوال سنة ثلاث وخمسين

وستمائة من الحاضرة دهلى إلى الهند عاقدة العزم على دفع تلك الفتنة وإقرار الأمور فى أرجاء الدولة الناصرية القاهرة.

فلما أقيم السراق الأعلى فى تلبت ،توقف الجيش فى سواك، وكانت إقطاعا لألغ خان المعظم تحسبا للاستعداد العسكرى وتحرك الملك ألغ خان المعظم والخاقان الأعلى (خلدت دولته) من تلبت إلى هانسى.

وفى يوم الأحد السابع عشر من شهر ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وستمائة، عندما وصل ألغ خان إلى خطة هانسى أمر بأن تجتمع سائر الجيوش فى سواك وهانسى وسرسى وجنيد وبرواله وأطراف تلك البلاد بأسرع ما يمكن.

وتم ذلك خلال أربعة عشر يوما، فكانت عند سكونها كأنها جبل من حديد، وعند تحركها كأنها بحر نائر نتيجة استعدادها التام وآلاتها وعدتها وأهبتها التامة.

وكان وصول ألغ خان إلى الحاضرة دهلى فى الثالث من ذى الحجة، حيث أقام فى الحاضرة ثمانية عشر يوما بغرض زيادة الاستعداد ولجمع جيش ميوات من المناطق الجبلية. وفى التاسع عشر من شهر ذى الحجة توجه إلى المعسكر الأعلى فى جيش وسلاح تام وصفوف متراسة للقتال. وفى شهر المحرم وصلوا إلى أطراف أوده.

وعلى الرغم من أن قتلغ خان والأمراء التابعين له كانوا جميعا عبيدا للبلاط الأعلى، فإن غبارا كان قد طمس طلعة دولتهم نتيجة لأحداث الأيام وتقلباتها، فعبروا جميعا من أوده عبر شاطئ نهر سرو، وانعطفوا عن طريق الرايات العليا، فتعقبهم ألغ خان المعظم بجيوش جرارة بناء على الأمر الأعلى فى شهر المحرم سنة أربع وخمسين وستمائة.

ولما كان شملهم قد انفرط نتيجة لكثافة غابات الهند ومضايقها الموحلة، والتفاف الأشجار الكثيفة لم يستطع ألغ خان المعظم أن يلحق بهم، ومضى حتى مشارف بتهى كور وحدود ترهت، وأمر بالإغارة على كل هؤلاء المتمردين وملوك الهند، وعاد إلى خدمة البلاط الأعلى سالما غانما بغنائم كثيرة.

وحينما عبر ألغ خان المعظم من أوده بالجيش نهر سرو، عادت الرايات العليا إلى الحاضرة، فانصرف ألغ خان عن تعقب هؤلاء الأمراء متوجها إلى البلاط الأعلى، ووصل إلى الأعتاب السنية السلطانية في حدود كسمندى.

وفى يوم الثلاثاء السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وستمئة عبروا شاطئ نهر كنك، وفى يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة أربع وصلوا إلى دار الملك العظمى.

ولما لم يجد قتلغ خان (سلمه الله) مجالا للإقامة فى الهند بين المتمردين، جاء إلى سنتور وتحصن فى تلك الجبال، وكان الجميع يساعدونه؛ لأنه كان ملكا عظيما، وكان من أكابر عبيد الحضرة وملوك الترك، وكانت له حقوق ثابتة على الجميع، فكانوا يرحبون به حيثما حل نظرا لسابق حقوقه عليهم، ونظرا لما آلت إليه الأمور.

وعندما تحصن قتلغ خان فى جبال سنتور، أعزه الملك ريبال هندو وكان من عظماء الهنود، فقد كان من عادة هؤلاء القوم إيواء اللاجئين.

وعندما وصل ذلك الخبر إلى المسامع السامية، تحركت الرايات العليا فى أوائل ربيع الأول سنة خمس وخمسين وستمئة متجهة إلى سنتور، وأبدى ألغ خان المعظم مع الجيوش الخاصة وملوك الحضرة فى تلك الجبال كثيرا من ضروب

الكفاح والجد، واستوجب الغزوتبعاً للسنة، وقام بهجمات تحار فيها العقول فى مضائق الجبال وشعابها وفى معابرها، حتى وصل إلى قلعة سلمور وخطتها.

وكان يحكم سلمور هذا الملك العظيم الذى عظمه ملوك الأطراف كافة، وقدموا له فروض الطاعة، ففر من أمام الجيش الألف خانى، وتم نهب سوق مدينة سلمور بأكمله على أيدى جيش الإسلام، واستولى عبيد ألف خان على هذا الموضع الذى لم يصل جيش الإسلام إليه أبداً فى أى عهد من قبل.

وفى الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وستمائة، وبفيض من الخالق جل وعلا وفضله، وتأييد من النصر الربانى، وصل ألف خان إلى الحضرة العليا ودار الملك العظيمة بغنائم كثيرة فى ظل الرايات الملكية.

وحينما عادت الرايات العليا إلى الحاضرة خرج الملك قتلغ خان من جبل سننور، وكان الملك بلبن قد جاء من ولاية السند إلى أنحاء نهر بباد، فانضم الملكان العظيمان قتلغ خان وكشلو خان إلى بعضهما، وتوجها إلى سامانه وكهرام، طمعا فى الاستيلاء عليهما.

وعندما وصل خبر ذلك التجمع وتلك الجرأة إلى المسامع العليا، اختير الملك ألف خان المعظم (خلد ملكه) والملك كشلى خان أمير الحجاب مع ملوك الحضرة والجيوش لدفع تلك الفتنة.

وفى يوم الخميس الخامس عشر من شهر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وستمائة، تحرك ألف خان المعظم من دهلى على عجل وقاد الجيش حتى حدود كينهل، وكان الملك بلبن والملك قتلغ خان فى تلك الأطراف.

وعندما اقترب الجمعان من بعضهما البعض، وكان الطرفان أخوين ورفيقين، فهما جيشان من دولة واحدة، وفوجان من حضرة واحدة، وجيشان من منزل واحد، وجوفان من بطانة واحدة، ولا يمكن أن يكون هناك حال أعجب من

هذا أبداً، فهما من أصل واحد، تجمعهما حياة واحدة، ولكن الشيطان الملعون ألقى مثل هذه الفرقة بينهما، وبث شياطين الإنس الخلاف بين الاثنين لأهواء نفسية وترهات شيطانية، فرفعوا علم الفتنة، وفي سبيل إعلاء أمرهم كانوا يوقعون بين هذين الأخوين المتآلفين.

وكان ألغ خان المعظم بتدبيره الصائب يعزل جيشه وجيش أخيه وابن عمهما الملك شير خان عن قلب الجيش السلطاني، كما كان يفصل شقيقه الملك كشلي خان أمير الحجاب مع ملوك قلب البلاط والفيلة، بحيث بدا صفان عظيمان من الجيوش، ووصل كل من الجيشين إلى أنحاء سامانه وكيتهل، واقتربا من بعضهما البعض، وانتظر الجميع الموقعة.

وقام المتربصون من أصحاب العمام بتحرير رسائل من الحاضرة دهلي إلى الملك بلبن والملك قتلغ خان واستدعوهما قائلين: " إن أبواب المدينة في أيدينا، فيجب عليكما الإسراع إلى المدينة فهي خالية من الجند، وأنتما من عبيد البلاط، ولا غربة بينكما، فإذا ما حضرتما إلى المدينة والتحقتما بعرش السلطان الأعلى، يظل ألغ خان مع ذلك الجيش في الخارج، وتحقق الأمور وفق هوانا، ويتيسر لنا الأمر، ويتم على نحو ما ذكر. "

وحينما علم جماعة من المخلصين للحاضرة السلطانية ومريدي خدمة ألغ خان بهذه المؤامرة، كتبوا على عجل يخبرون ألغ خان، فوصل إلى حضرة العرش ليخرج المخالفين من المدينة.

وقد ذكرت تلك القصة بالتفصيل أثناء الحديث عن دولة السلطان الناصرية. رفع الله من شأنه.

أما عن هوية أولئك الأشخاص الذين كتبوا تلك الرسائل، فليس أمهم الله، وليتب عليهم ويتجاوز عن نفاقهم.

وبينما كان الجيشان قد اقتربا من بعضهما البعض كان شخص يدعى كذا ابن كذا قد أقبل من طرف الملك بلبن كشلوخان للتجسس.

وقد تظاهر ذلك الشخص بأنه إنما قدم لخدمة ألغ خان من قبل الملوك والأمراء الخارجين على خدمة الملك بلبن، وقرر أن الجميع راغبون في خدمة ألغ خان، وقال: " لو منحت الأمان والعهد والميثاق وعين لي مرتب وإقطاع وقد جئت للخدمة، فليسوف أحضر كل ملوك الملك بلبن وأمرائه للخدمة والطاعة، وأسلحكم في سلك سائر العبيد الآخرين."

وعندما عرفت سريرة ذلك الشخص، صدر عن الحضرة الألغ خانيه الأمر بعرض كل الجيوش عليه، بحيث يظهر كل الجيش بالآلات والعدة والاستعداد والفيلة المدرعة.

ثم كتبت رسالة في السر إلى الأمراء وملوك الملك بلبن بأنه قد قرئت رسائلهم وعرف هدفهم، ولا شك أنه إذا تحققت طاعتكم، فسوف يصدر أمر للجميع بإقطاع ومعاش وافر بالقدر الذي يستحقه كل واحد بل وأكثر، ومن يفعل خلاف ذلك، فسوف يتضح لأهل العالم أجمع في هذين اليومين إلى أى مدى يصل أمره بضرب السيوف اللامعة، والحراب التي تقطر نارا، وكيف يساق مذهبولا مكبلا بوهق القدرة تحت الرايات العليا.

فلما كتبت تلك الرسائل على نحو امتزج فيه الشهد بالسم واللفظ بالعرف، وعاد ذلك الشخص وقص ما حدث على حضرة الملك بلبن (عصمه الله) وقدم له الرسائل ليتضح للعقلاء إلى أى مدى يصل أمر الخلاف بين الأمراء والملوك. وفى تلك الأثناء التى وصلت فيها الرسائل إلى المدينة، توجه الملك بلبن مع الملك قتلغ خان إلى الحاضرة، وعادا دون أن يتحقق هدفهما.

وبعد يومين من توجههما اتضح هدفهما لألغ خان المعظم، فاضطرب خاطره من مجريات الأمور فى الحاضرة وعرش السلطنة، حتى وصلت رسالة إلى ألغ خان من المدينة بعد وضوح تلك الحالة العجيبة، فبلغ ألغ خان الحاضرة سالما غانما فى عصمة الخالق وبحفظه ورعايته فى يوم الاثنين العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وستمائة، وظل الموكب الأعلى فى المدينة مدة سبعة أشهر.

وفى أوائل ذى الحجة سنة خمس وخمسين وصل جيش كفار المغول إلى أرض السند، وكان على رأس أولئك الملاحين سارى نونين. ولما كان الملك بلبن قد أحضر شحنة أولئك القوم فقد ذهب إليهم مضطرا، وسيطرت جيوشهم على قلعة ملتان.

فلما بلغ ذلك الخبر الحضرة العليا، قال الخاقان المعظم ألغ خان الأعظم للسلطان الأعلى: "إن الصواب هو أن تتحرك الرايات المباركة السلطانية (حفت بالنصر والظفر) من الحاضرة العليا". وكان عام سنة وخمسون وستمائة قد بدأ.

فخرجت الرايات العليا فى اليوم الثانى من شهر المحرم سنة ست بطالع السعد، وأقيم السراشق العظيم فى ظاهر دهلى. وفى الحال صدر الأمر بما ارتآه ألغ خان المعظم إلى أنحاء الممالك وإلى أكابر الملوك وسادة الولايات والحدود بتوجه الجميع فى أهبة تامة إلى بلاط ملاذ العالم.

وفى يوم عاشوراء وفى خيمة السلطنة (ظلت على الدوام منصوبة بالنصر والظفر، وأنيطت حبال دولته بمسامير الثبات) كان لهذا الداعى مجلس وعظ قاصر على الحث على الجهاد، ومثوبة الغزوات والجهاد لحفظ مراتب الإسلام، وخدمة البلاط الأعلى امتثالاً لأوامر أولى الأمر، والتزاماً بأمر السلطان زاده الله تعالى نفاذاً.

وفى أول الأمر خرج ألغ خان المعظم بجيش كامل العدة، موفور العدد برفقة الحضرة السلطانية المباركة، وصحبة جميع الملوك وتجمعت الجيوش. وعندما وصل خبر هذا التجمع إلى معسكر المغول الملاعين، لم يجدوا الجرأة ليتقدموا أكثر من الحدود التى كانوا قد وصلوا إليها.

وكان صواباً من جيش الإسلام أنبقى ذلك التجمع نحو أربعة أشهر أو أكثر بظاهر المدن، وكان ألغ خان يرسل فرساناً إلى كل ناحية من النواحي لغزو المتمردين، حتى جاء خبر تراجع الملاعين فاستراح خاطره من فتنة تلك الجماعة.

وحدث أن أوصل جماعة من الجواسيس إلى المسمع الألف خانيه الشريفة أنه ربما راودت أرسلان خان فى أوده وقلج خان مسعود خاني فكرة التمرد، وذلك لخوفهما نتيجة امتناعهما عن الحضور إلى المعسكر الأعلى، فقال ألغ خان المعظم للبلاط الأعلى: "إن الأصوب هو عدم إتاحة الفرصة لتلك الجماعة قبل أن يستفحل أمرها، وتحلق فى أجواء التمرد لشعورها بالخوف، فيجب أن يأمر السلطان بإطفاء تلك الجذوة على عجل."

وبناء على رأى ألغ خان الصائب، وعلى الرغم من شدة حرارة الجو وما لحق بجيش الإسلام من تعب فى سبيل المحافظة على البلاد بسبب تقدم الملاعين

نحوها، فإن المصلحة كانت في التحرك، لذا تحركت الرايات العليا إلى الهند في يوم السبت السادس من شهر جمادى الأخرى سنة ست وخمسين وستمائة، وذهب ألغ خان المعظم قاطعاً مراحل الطريق حتى حدود كره ومانكبور، وأظهر جهداً كبيراً في عقاب مفسدى الهنود ومعاقبة ملوكهم على نحو يفوق الخيال.

وعندما وصل ألغ خان إلى تلك الديار تفرق أرسلان خان وقلج خان واضطرا إلى إرسال أتباعهما ورفاقهما إلى مناطق التمرد، وأرسلوا الرسل إلى ألغ خان المعظم ليعرض سبب تخلفهما أمام العرش الأعلى، وليلتمس أن تعود الراية العالية إلى الحاضرة، على أن يلتحق كل من أرسلان خان وقلج خان ببلاط ملاذ العالم بمجرد وصول الرايات السلطانية إلى الحاضرة العظمى.

فلما قدم ألغ خان المعظم هذا العرض عادت الرايات العليا إلى الحاضرة، وكان الوصول إلى دار الملك العظمى يوم الاثنين الثاني من شهر رمضان سنة ست.

وفي السابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستمائة التحق أرسلان خان وقلج خان بخدمة البلاط، ورغم كثرة المخالفات والفرقة التي صدرت عنهما في الولايات الكثيرة، فقد قدم لهما ألغ خان المعظم كثيراً من الألفاظ والإنعامات وأولاهما اهتمامه وحسن عهده، وبذل لهما كثيراً من الكرم والحلم والرعاية والعناية على نحو يعجز البيان عن تحريره والبيان عن تقريره. ليحفظه الحق تعالى في عصمته بمحمد وآله.

وبعد شهرين فوض ملك لكهنوتى إلى قلج خان، وبلاد كره إلى أرسلان خان نتيجة حسن رعاية ألغ خان المعظم. وعندما حل عام سبع وخمسون وستمائة تحركت الرايات العليا في الثالث عشر من شهر المحرم سنة سبع من الحاضرة.

وأقيمت الخيمة العظمى فى حومة دهلى، ورأى ألع خان المعظم (خلدت دولته) أنه من الواجب أن يكرم شير خان ابن عمه، فعرض ذلك على العرش الأعلى، فقوضت إليه ولايات بهيانه وكول وجليس وكاليور المحروسة، وكان هذا التفويض فى يوم الأحد الحادى والعشرين من شهر صفر سنة سبع وخمسين وستمائة.

ولم تتحرك الرايات العليا خلال تلك السنة أكثر من ذلك، إذ لم يكن هناك ما يستوجب القلق بحمد الله. وفى يوم الأربعاء الرابع من شهر جمادى الأخرى سنة سبع وخمسين وستمائة وصلت خزان وأموال وأدوات كثيرة مع فيلين إلى البلاط المبارك من بلاد لكهنوتى.

ولحسن اهتمام ألع خان المعظم ورعايته استصدر أمرا من الحضرة العليا بإسناد إقطاع لكهنوتى إلى عزيز الدين بلبن اليوزبكى الذى كان قد أرسل تلك الأموال والفيلة، وبإقرار الأمر له فى تلك البلاد، كما أرسلت إليه نعم وهدايا.

فلما حلت سنة ثمان وخمسين وستمائة، قرر ألع خان المعظم فى شهر صفر التوجه للإغارة على مناطق السفوح المحيطة بالحاضرة، إذ كانت تلك الجبال مركزا للخارجين على الدولة، وكان من أعمال فسادهم أنهم كانوا يقطعون الطريق بصفة دائمة، وينهبون أموال المسلمين ويبثون الفرقة بين الرعايا الذميين، وينهبون القرى الواقعة حول هريانه وسوالك وبهيانه.

وقبل هذا التاريخ بثلاث سنوات كانوا قد استولوا على قطعان الجمال من سائر خدم البلاط الألع خانى وعماله (عز نصرهم) فى أنحاء ولاية هانسى.

وكان على رأس أولئك المفسدين ملك اسمه "هندوتى" وكان متمردا مجوسيا كأنه شيطان كريه، أوغريت لدغته حية، وكان المتمردون قد ساقوا قطيعا من

الجمال، وأسروا رعاتها، وقاموا بإثارة الفرقة بين الينود في كل مناطق السفوح حتى أنحاء رنتنبهور.

وفى ذلك الوقت الذى بثوا فيه هذه الفتن وتلك الفرقة، وساقوا تلك الجمال ورعاتها، كانت هناك غزوة، وكان جند جيش ألغ خان المعظم وفرسانه فى حاجة إلى نقل عتاد الجيش.

فلما أتى أولئك المفسدون بتلك الحركة، أوغر ذلك القلب المبارك لألغ خان المعظم، وثقل على قلوب سائر ملوك جيش الإسلام وأمرائه ومقاتليه (نصرهم الله) ولكن لم يتيسر تدارك ذلك الفساد لانشغال الخاطر بدفع جيش المغول الذى كان يهاجم حدود بلاد الإسلام، وتقدم حتى وصل إلى ولاية السند ولاهور وأطراف نهر بياه.

وفى تلك الأثناء وصل رسل خراسان عن طريق العراق إلى الحاضرة موفدين من قبل هولاكو المغولى بن تولى بن جنكيز خان، فصدر الأمر باحتجاز أولئك الرسل فى باروته وأتحنائها، وتوجه ألغ خان المعظم مع الملوك الآخرين وجيوش الحاضرة فجأة إلى مناطق السفوح.

وفى يوم الاثنين الرابع من شهر صفر سنة ثمان، قاد ألغ خان راياته المنصورة إلى السفوح، وفى الهجمة الأولى قطعوا قرابة خمسين كروها، وحملوا فجأة على المتمردى فى السفوح، وحصلوا على كل ما كان فى الدروب والجبال ومضايق الوديان العميقة والمستنقعات الغويطة وأعملوا سيوف أهل الإسلام، وأخذوا يتحركون مدة عشرين يوما فى كل اتجاه من أنحاء السفوح.

وكانت أماكن سكنى أولئك الجبليين وقراهم ومبانيهم على قمم الجبال الشاهقة وكلها مقامة على قمم صخرية كأنها تطاول النجوم رفعة والسماء علوا.

ولكن بأمر ألغ خان المعظم أخضعت ونهبت تلك المناطق جميعها والتي كانت تحاكي سد الإسكندر في مناعتها وحصانتها، وأعملت السيوف فى أهلها، وكانوا جميعا من اللصوص وقطاع الطرق الهنود.

وكان أمر ألغ خان المعظم (دام نافذا) قد صدر بين رجال الجيش والمجاهدين بمنح بدرة من الفضة لكل من يحضر رأس واحد من الأعداء وبمنح بدرتين من الفضة لكل من يأتى برجل حى، وذلك من أموال الخزانة الخاصة.

فانطلق أنصار الحق وفقا لذلك الأمر إلى جميع المرتفعات والمضايق الموحلة والمستنقعات العميقة، وقبضوا على الموتى والأحياء، خاصة جماعة الأفغان الذين كان كل واحد منهم كأنه فيل ضخم قد حمل على كتفه بقرتين، أو كأنه برج فوق حصن قد رفع فوقه علما لهيبته.

وكان عدد الذين تضمهم خدمة الركاب الألف خاني يبلغ ثلاثة آلاف فارس وراجل من الشجعان المغامرين فقام كل واحد منهم بأسر مائة من الهنود فى الجبال والأحراش كان الشيطان يعجز عن التصرف أمامهم فى الليل الحالك.

وخلاصة القول أن جماعة الملوك والأمراء والأتراك والتاجيك أظهروا شجاعة سوف يخلد ذكرها على صحائف الأيام، وفى هذه المدة كانت راية الإسلام قد رفعت فى مواضع من أنحاء الهند لم يكن جيش الإسلام قد وصل إليها من قبل، ولم تكن قد أغير عليها من قبل.

ليحفظ الحق تعالى ألغ خان المعظم، ولييسر الأمر به لدولة سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين.

وقد تم أسر ذلك الهندى المتمرد الذى كان قد أسر أولئك الرعاة، ونهب تلك الجمال، كما وقع أبناؤه وأتباعه فى الأسر، إذ شاء لهم القدر أن يقعوا فى أسراتباع

ألف خان، وقد سقط في الأسر جميع أولئك المتمردين الفاسدين مع ما يقرب من مائتين وخمسين رجلا من زعماء تلك الطائفة.

وتم ضم مائة واثنين وأربعين رأسا من الخيول إلى الركائب العليا، وأرسلت إلى الخزانة العليا ستون بدره، وكان عدد ما أخذه من ملوك الجبال ثلاثين ألف بدره، وقد تحققت عدة أعمال عظيمة خلال عشرين يوما بقوة ألف خان (دام عاليا) وبشهامته وحسن قيادته.

وفي الرابع من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة عاد ألف خان المعظم (خلدت دولته بالإقبال) إلى الحاضرة حاملا العلم السلطاني المبارك كالشمس تغمر الملوك بأشعتها، وحضر سائر ملوك الحاضرة والأمراء والصدور والأكابر والعظماء وأهل المدينة في صحراء حوض راني.

واصطفت الصفوف في حديقة حوض راني، وأسرع الجميع مخلصين إلى استقبال الرايات الألف خانية وإعزازها واستوى سلطان السلاطين (خلد الله سلطانه) على العرش الأعلى، وعقد مجلس البلاط في حوض راني.

وقبل ألف خان المعظم أرض البلاط الأعلى مع ملوك الجيش والأمراء جميعا وهم مرتدون الخلع الألف خانية، بحيث صارت الصحراء كآلف بستان بهيج بما يحفل به من ألوان الحرير بأنواعه من الأطلس والإكسون والبروز والشستري والأعلام المحلاة بالذهب وحرير الباولي وأثواب الحرير الموشاة.

وكان أولئك الأكابر والملوك والأمراء والأبطال والمقاتلون من رجال الجيش كافة قد ارتدوا هذه الثياب قبل ذلك بيوم واحد في منازلهم من خزانة ألف خان العامرة (لا زالت مملوءة بالأموال والغنائم) وقد أسرع الجميع إلى البلاط مزهوين بالظفر والنصر والسلامة والغنيمة، ونال الصغير والكبير شرف تقبيل اليد

السلطانية مع الكثير من الإعزاز والإكرام وآلاف الوعود، وشكر الجميع الله تعالى وتقدس على ذلك النصر كثيرا.

وبعد يومين خرج الموكب الملكى للجهاد متجها من المدينة إلى صحراء حوض رانى، وصدر الأمر فأعدت الفيلة التى تشبه الجبال فى هيكلها، وتطاول الفلك بعلوها، وتشبه الشياطين فى هيئتها، السريعة الحركة كالريح كأنها رسل ملك الموت الموكلة بالآجال، وقد تهيأت لعقاب الكفار.

واستل الأتراك السفاكون آلهة الحرب كالمرىخ السيوف المصقولة التى تقطر نارا من أعماق القدرة، ثم صدر الأمر الأعلى فقاموا بتأديب المفسدين وألقوا ببعضهم تحت أقدام الفيلة، وجعلوا رعوس الهنود بين شقى رضى قامت فيها أقدام الفيلة بعمل الحجر.

وكان كل اثنين من هؤلاء الهنود يشطرون إلى أربع بسيوف الأتراك التى تقطر دما وبحسام الأبطال الذين يخطفون الأرواح، ويمدى السلاخين الذين كان الشيطان يرتعد خوفا من طعناتهم، فسلخوا ما ينيف عن مائة من المفسدين من الرأس حتى القدم، وتجرعوا شراب الموت فى كؤوس رعوسهم على يد أولئك السلاخين، وصدر الأمر بأن تملأ كل الجلود بالنبت وتعلق على أبواب المدن.

وخلاصة القول أن ذلك التأديب الذى تم لم تشهد صحراء حوض رانى وساحة ميدان بوابة مدينة دهلى مثله أبدا، ولم تسمع أذن أى مستمع قصة بمثل هذه الهيبة قط. وقد تحقق مثل هذا النصر وذاك الجهاد وتلك الغنيمة وذلك المسعى بعظمة الدولة الألف خانية وقوتها.

أدام الحق- تعالى- سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين على عرش السلطنة، وزين العرش الألف خانى العالى بالدوام والثبات.

وبعد أن تحقق مثل هذا الأمر، عرض ألغ خان معظم على عرش السلطان الأعلى أن الصواب هو إحضار رسل خراسان إلى الحاضرة، ليقبلوا الأيادي العليا.

فصدر الأمر بذلك في يوم الأربعاء الثامن من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمائة، وتحرك الموكب المبارك إلى الجوسق الأخضر، وأمر ألغ خان معظم بأن يوزع صاحب ديوان عرض الممالك الرجال بأسلحتهم على أطراف الحاضرة العظمى وأبحاثها، فجاء إلى الحاضرة ما يقرب من مائتي ألف من المشاة بكامل سلاحهم وخمسين ألفا من الفرسان مجهزين بالدروع.

وخرج من أهل المدينة عوامها وأكابرها وأواسطها وأرذلها وكثير من الرجال المسلحين من فرسان ومشاة، فاصطف منهم عشرون صفا في المسافة من مدينة نوكيلوكيرى حتى داخل دهلي حيث قصر المملكة، صفا تلو صف، كالحديقة المتشابهة الأغصان، وكالغريم الذي أمسك بخصمه، ووضعوا الكتف لصق الكتف، في صفوف مستوية كأنها يوم القيامة والحشر، أثناء ساعة الحساب على الخير والشر.

وتمت تسوية الصفوف بحنكة ألغ خان (خلدت دولته) وشهامته وحكمته وحنكته، وتم تعيين الأماكن لكل واحد من الأمراء والملوك والأكابر والصدور مع جيشه وأتباعه، وإعداد الأعلام والبيارق، وارتداء السلاح والضبط على نحو ما أمر به ألغ خان.

ووقف هو على رأس الصفوف، ووقف كل واحد في المكان المعين له، فكان لذلك الحشد من الهيبة الظاهرة ما أصم الأذان من قرع الطبول وعويل أصوات الفيلة اللاهثة، وصهيل الخيول الجارية، وضجيج الخلق، كما أصيبت عين الحسود سىء الطوية بالعمى.

وعندما ركب رسل التركستان من مدينة نو، ووقع بصرهم على هذا الحشد كادت طيور أرواحهم أن تطير من قوالب أجسامهم من هيبة ذلك الحشد وهول تلك الاستعدادات والأبهة. وأغلب الظن بل اليقين أن بعض أولئك الرسل سقط من فوق حصانه ووقع على الأرض عند تحرك الفيلة الهائجة.

ليبعد الحق تعالى عين السوء عن هذه البلاد والسلطنة وجيش الحاضرة وملوك الدولة بمحمد وآله.

وحينما وصل الرسل إلى باب المدينة قام الملوك جميعا بمراسم الاستقبال وفقا لما أمر به ألغ خان المعظم، وقدموا ضروب الاحترام والتوقير لمجموعة الرسل، وأحضروهم أمام العرش الأعلى في القصر الأخضر بكل تكريم.

وكان قصر السلطنة في ذلك اليوم قد زين بشتى أنواع البسط والسجاد وأدوات الزينة الملكية من ذهبية وفضية، ورفع على جانبي العرش الأعلى علمان مرصعان بالجواهر القيمة؛ واحد أحمر والآخر أسود.

كما زين العرش الذهبى بمقعد الخلافة وبحرس شرف البلاط من الملوك الكرام والأمراء العظام والصُدُور والأكابر المشهورين، وغلمان الترك ذوى الأحزمة الذهبية، وأبطال الكر والفر والمجالس المرصعة ووميض أطيافها، فكان المكان كأنه الخلد الأعلى والفرديوس الثامن، مما جعل نظم الداعى التالى لائقا بذاك الوضع، حيث قام أحد أبناء هذا الداعى بإيراده بين يدى العرش الأعلى :

نظم بالعربية لمنهاج بن سراج طيب الله ثراه:

قد صادف الرضوان أيام الورى

من روح هذا البزم للسلطان

لا زال يبقى فى جلالة ملكه

ومزيد إمكان ورفعة شان

شعر بالفارسية وترجمته:

مرحى بحفل صارت به الأنحاء مثل الخلد الأعلى
ومرحى بحفل أصبحت بسببه الأكناف كجنات عدن
يخيل إليك أن ساحة دهلى قد صارت الجنة الثامنة.
فى تناسق أرضها الممتدة وإبداع نقوشها وزخارفها
فمن عظمة ناصر الدين شاه محمود بن آلتتمش.
كأن الملاك يطوف حوله داعيا، والفلك خاضع له
وقد صار جديرا بمظلة الملك بفيض الفضل الربانى
ولائقا للعرش والخاتم فهو ملك ملوك العالم
وهو كالخواقين فى سطواتهم وكالسلطين فى رعايتهم للدين.
وهو ماحى الكفر بقلبه، وحامى الدين بروحه
فليكن حفل ملك العالم هذا مباركا على الإسلام
فقد صارت الهند بهذه الزينات أبهى من بلاد الصين
وليعل شأن عبيده على سائر الملوك.

لأن منهاج بن سراج أقل عبيده قد صار الداعى الأمين لهم
وكان ذلك الحفل حقا كأنه سماء حفلت بالنجوم، بل كفلك يغص بالكواكب،
وكان ملك العالم يبدو على العرش كأنه الشمس فى فلكها الرابع، وقد ركع بين يديه
ألغ خان تادبا كأنه القمر الساطع، والملوك فى صفين كأنهم الأنجم السيارة والأتراك
ذو المناطق المرصعة بلا حصر كالقواكب.

وخلاصة القول أن كل ذلك الترتيب والتهديب والعمل كان بناء على اقتراح ألغ خان المعظم وحسن رأيه الصائب وفكره الثاقب. وعلى الرغم من أن سلطان السلاطين كان ينزله منزل الأبوة امتثالاً للحديث النبوي، فإنه كان أكثر طاعة وانقياداً من ألف عبد حديث عهد بالبلاط.

وبعد الحفل أنزل الرسل في موضع معين ازدان بأنواع الصنائع وأصناف الألفاف. ويلزم هنا ذكر سبب وصول أولئك الرسل من خراسان من قبل هؤلاء المغول: لماذا كان؟ وكيف بدأ؟.

وحقيقة الأمر هي أنه عندما بدا للملك ناصر الدين محمد حسن قرلغ (سلمه الله) أن يزوج إحدى الدرر من صدفة أسرته من شاه ابن ألغ خان المعظم ليفخر بذلك النسب أمام ملوك العالم، ولتصبح هذه الصلة سبباً لقوته وعزه، كتب رسالة بهذا المعنى سرا وخفية إلى أحد خدم بلاط ألغ خان المعظم، واستطلع إمكانية الزواج، وعرض نفسه في هذا الثوب على الرأي الأعلى الخاني على سبيل الإخلاص والخدمة.

ولما كان الملك ناصر الدين محمد واحداً من ملوك عصره البارزين وجب على ألغ خان، وصار لزاماً عليه الموافقة على هذا الأمر وإتمام ذلك الزواج.

فاختار واحداً من الخدم لحمل تلك الرسالة، وكان ذلك الرسول يسمى الحاجب الأجل جمال الدين على الخلجي (سلمه الله) وعندما عين هذا الحاجب لتلك المهمة، حصل على أمر من الديوان الأعلى بتحصيل خراج قرية "جند" لتغطية احتياجات الطريق وقطع مراحله.

وحينما بدأ المسير كان حراس الطريق يستفسرون من هذا الحاجب عن سبب ذهابه عملاً بالرسوم المعهودة والواجبات المعينة، فكان يرفض ذلك قائلاً:

"إننى رسول". فلما اجتاز المنازل والمراحل، وبلغ بلاد السند ذاع خبر رسالته، وعندما لحق بملتان وأجه أمر الملك عز الدين كشلوخان بلبين (عصمه الله) باستدعائه ومعاقبته.

فطلبوا من على الحاجب هذه الرسائل التى كان يحملها حتى يقفوا على الرسالة ويعرفوا مضمونها، ولكن الحاجب أنكر هذه الرسالة، وعندما وصل الأمر إلى الشدة، اعترف فى حضور شحنة المغول قائلا: "أنا رسول ذاهب إلى الشمال".

وعندما قال ذلك بحضور تلك الجماعة، كف الملك عز الدين كشلوخان بلبين يديه عن مطالعة الرسالة مضطرا، وقال إن الحاجب يجب أن يذهب حتى يصل إلى مقصده، فقال الحاجب على: "لدى أمر بأن أذهب إلى السلطان ناصر الدين". فاضطر بلبين إلى إرساله إلى تلك الجهة، وعندما وصل إلى بنيان، شاع أمر الرسالة، وانتشر ذكرها فى دهلى بين شحنة المغول وعامة تلك البلاد وخاصتها.

ثم أرسله الملك ناصر الدين قرلغ مضطرا إلى العراق وأذربيجان عند هولاكو المغولى وكتب بنفسه رسائل على اللسان المبارك لألغ خان المعظم دون إذن الحضرة، وأرسل معه بعض التحف والرسل.

وبعد أن تجاوز العراق، قابله هولاكو فى مدينة تبريز وأذربيجان، وأعزه كثيرا وعظمه. وعندما أرادوا عرض الرسائل على هولاكو، وجب بالضرورة أن تترجم الرسائل من اللغة الفارسية إلى اللغة المغولية.

وكانوا قد كتبوا اسم ألغ خان المعظم فى الرسائل بوصفه ملكا، والقاعدة عند الأتراك هى أن الخان هو القائد الأسمى وليس هناك أكثر من قائد، بينما يحمل الآخرون اسم ملك أيضا.

فلما قرعوا الرسائل على هولاء المغول قال: " لماذا غيرتم لقب ألغ خان، يجب أن يظل لقبه "خانا" كما هو. وهكذا اعترف في حق ألغ خان المعظم بمثل هذا الإعزاز وذلك الإكرام.

وكل من ذهب من أمراء بلاد السند والهند إلى سادة المغول وقادتهم غيروا لقبه وأسموه ملكا إلا اسم ألغ خان المعظم الذي جعلوه كما هوفي الأصل.

وهذه أيضا واحدة من آثار الفضل الرباني وهي أن الصديق والعدو والمؤمن والكافر كان ينطق اسمه المبارك بعظمة مصداقا لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٠).

فلما أعيد على الحاجب، أوفدوا معه ابن الأمير يغرش من شحنة بنيان، وهورجل معروف ومسلم كريم وصدر الأمر إلى جيش المغول الموجود في خطة سارى نونين بعدم الاعتداء على حدود ممالك سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين (خلد الله ملكه وسلطانه) وإلا فالجزاء سيكون قطع قوائم الخيل المعتدية.

ولقد وهب الحق تعالى هذا الأمن لممالك الهند بصواب رأى ألغ خان.

وحينما وصل الرسل بذل لهم ألغ خان من حضرة ملك الإسلام مكافأة وجزاء لذلك الإعزاز الذي كان هولاء المغول قد أمر به لحاجب تلك الحضرة عملا بقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ (٢١).

وكان هذا هو سبب وصول رسل خراسان وجيش تركستان.

خلد الحق تعالى سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين على عرش الملك. ولتزدهر دولة ألغ خان المعظم والخاقان الأعظم، وليتضاعف قدرها بمحمد وآله.

ولنعد بعد ذلك إلى سياق التاريخ: وكان آخر هذه الأحوال هي أن ألغ خان المعظم خلدت دولته عندما قام بغزو سفوح الجبال والجهاد هناك على ذلك النحوم

التدبير المحكم، هربت جماعة من بقايا هؤلاء المفسدين وأقربائهم من حدود تلك البلاد إلى الأطراف قبل ذهاب جيش الإسلام وأنصاره (نصرهم الله) إليها ونجوا بأرواحهم المشنومة بكثير من الحيل بالهرب إلى الأطراف، والفرار من سيوف عبيد دولة ألغ خان وسهامهم.

وهناك عاودت هذه الجماعة الفساد كرة ثانية، وقاموا بقطع الطريق وباراقة دماء المسلمين، فأصبحت الطرقات محفوفة بالخوف نتيجة فساد هؤلاء القوم، ووصل هذا الأمر إلى سمع ألغ خان المعظم، فأرسل الرسل والعيون والجواسيس ليعرفوا مواضع بقايا المفسدين، ويتحرروا عن أحوال هؤلاء السفلة بصورة كاملة، ويقفوا عليها.

وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر رجب عمت بركته سنة ثمان وخمسين وستمائة، ركب ألغ خان من الحاضرة دهلى مع حاشيته الخاصة وجيش القلب وأفواج من ملوك آخرين ومقاتلين وتوجه إلى السفوح بحيث قطع مسافة خمسين كروها أو أكثر.

وفجأة انقض على هذه الجماعة، وقبض على الجميع، وقتل ما يقرب من اثنتى عشرة ألف نسمة من الرجال والنساء والأبناء بسيوف لا ترحم، وطهر كل الوديان والمضايق الموحلة وأعلى الجبال من وجودهم بإعمال سيوف أنصار الحق، وحصل على غنائم كثيرة من كل جنس، والحمد لله على نصرة الإسلام وإعزاز أهله.

كان هذا هو القدر الذى تمت مشاهدته من تلك الدولة وقد كتب بقلم الإخلاص والمأمول من القراء والناظرين هو الدعاء، والمرجو من أرباب الدولة هو الإعزاز والعتاء، والمأمول هو الله الكريم، والمسئول هو الرب الرحيم.

التاريخ فى شوال سنة ثمان وخمسين وستمائة. والحمد لله على الصلوات على نبيه، والسلام على آله وأصحابه الطاهرين أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا كثيرًا.

هوامش الطبقة الثانية والعشرين

١ - الملوك الشمسية هم الذين ينتسبون إلى السلطان شمس الدين، وكانوا فى الأصل عبيدا له، ثم تدرجوا فى مناصب البلاط حتى أصبحوا أصحاب إقطاعات فى أنحاء الهند، وصاروا ملوكا تابعين للسلطان الذى يقيم فى دهلئ.

وفى هذه الطبقة يروى منهاج الأحداث منذ رجب عام ٦٢٥ هـ حتى شوال ٦٥٨ هـ ويكتب عن كل ملك منهم ، فيذكر أوصافه فى البداية، ثم المناصب التى تدرج فيها فى البلاط حتى صار ملكا، ويصف علاقة هذا الملك بالسلطان والحروب التى اشترك فيها، وتاريخ وفاته. والمصدر الأساسى فى هذه الطبقة هو المؤلف نفسه، لأنه شارك فى الحياة السياسية وقتئذ، فقد كان منهاج ينتمى لعائلة كبيرة من رجال الدين والسياسة والعلم، ممن كانوا ملازمين للملوك ورجال الدولة، لذلك كانت أبواب البلاط مفتوحة أمامه، مما أتاح له مقابلة جميع رجال الدولة تقريبا. وكان موضع ثقة الملوك، فكان يحمل رسائلهم ، ويقوم بعقد الاتفاقيات السياسية والتجارية بينهم، كما يقوم بفض الخلافات القائمة بينهم، وقد ترك غور بعد سقوطها فى يد الخوارزميين ، وذهب إلى ملوك سجستان يعمل لديهم، ومع الغزوالمغولى تحرك إلى توك حيث أقارب والدته واشترك معهم فى الحرب ضد المغول، ومع صعوبة الحياة هناك بعد تخريب المغول للبلاد، هاجر إلى الهند وهناك نظرا لمكانته السياسية والعلمية والدينية تولى أعلى المناصب من قضاء وإشراف على المدارس وعقد مجالس الوعظ، لذلك كله فهذه الطبقة لها أهمية خاصة؛ إذ إنه كان أحد رجال بلاط دهلئ وشاهد الأحداث وعاصرها، واشترك فيها اشتراكا فعليا، حيث كان يخرج مع جيوش السلطان المتجهة للغزو، وكان يعقد مجالس الوعظ وسط معسكر السلطان، مما أتاح له التنقل فى مدن الهند المختلفة، وتسجيل الحروب بوصفه شاهد عيان، وهو يعتبر تسجيلا حيا للأحداث، كما أثبت تواريخ دقيقة لمعظم هذه الأحداث.

وقد أورد قصة على لسان الملك نصرة الدين تاييسى المعزى عن إحدى معاركه فى الهند (طبقات ناصرى ج. ٢ ص ١١) كما نقل عن ثقات الرواة فى مواضع عديدة، وللشعر نصيب أيضا فى هذه الطبقة (طبقات ناصرى ج. ٢ ص ١٧ - ٢٣ - ٣٢ - ٨٤). وقد انفرد منهاج الدين بالتأريخ لملوك الغور خاصة ملوك الغور فى الهند (للسلاطين الشمسية وملوكهم) وتبعه المؤرخون اللاحقون فيما كتبه عنهم، فكان هو المصدر الرئيسى للكتابة عنهم والتأريخ لهم. لذلك لقب منهاج بمؤرخ بلاط الغور.

وفىما يلى أسماء الملوك الشمسية بالترتيب الذى أورده المؤلف، وقد سجل تواريخ وفاة أغلب من مات منهم، واكتفى بالنسبة إلى البعض بالدعاء بالرحمة، أما من كانوا على قيد الحياة فقد دعا لهم بطول العمر، وقد ذكر منهاج فى هذه الطبقة خمسا وعشرين ملكا.

- تاج الدين سنجر كزلك خان + ٦٢٩ هـ.
- كبير خان اياز المعزى + ٦٣٩ هـ.
- الملك نصير الدين آيتمر البهائي: بدون تاريخ
- سيف الدين أيبك حاكم أجه : بدون تاريخ
- الملك سيف الدين أيبك يغان تت + ٦٣١ هـ.
- الملك نصره الدين تايىسى المعزى: بدون تاريخ
- الملك عز الدين طغان خان طغرل + ٦٤٤ هـ.
- تمر خان قيران + ٦٤٤ هـ.
- الملك هندوخان مزيد الدين المبارك الخازن: بدون تاريخ
- اختيار الدين قراقش خان آيتكين + ٦٤٤ هـ.
- الملك اختيار الدين التونيه صاحب تبرهنده + ٦٣٨ هـ.
- الملك اختيار الدين آيتكين + ٦٣٨ هـ
- الملك بدر الدين سنقر الرومى + ٦٣٩ هـ.
- الملك تاج الدين سنجر قتلق + ٦٤٠ هـ.
- الملك تاج الدين سنجر كريت خان: بدون تاريخ
- الملك سيف الدين بت خان أيبك الخطائى: بدون تاريخ
- الملك تاج الدين سنجر تر خان: كان على قيد الحياة
- الملك اختيار الدين يوزبك طغرل خان: بدون تاريخ
- الملك تاج الدين سنجر أرسلان خان الخوارزمى: بدون تاريخ
- الملك عز الدين كشلوخان السلطانى: كان على قيد الحياة
- الملك سيف الدين اركلى داد بك: كان على قيد الحياة
- الملك بدر الدين نصره خان سنقر الصوفى: كان على قيد الحياة
- الملك نصره الدين شير خان: كان على قيد الحياة
- الملك كشلى خان سيف الدين أيبك السلطانى ملك الحجاب + ٦٥٧ هـ.
- الخاقان المعظم والخان الأعظم بهاء الحق والدين ألغ خان بلين السلطانى: كان على قيد الحياة.

٢- للسيوطى: الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير ص ٣١٤ بدون تاريخ.

٣- هو رستم بن دستان بطل ممالك إيران ومن أبطال الشاهنامه المعروفين، وهواين زال ورودايه وحفيد سام ومهراب كابلى، ولد فى عهد ملك منوچهر، وقد بدأت قصة بطولته بقتل الفيل الأبيض، وحقق انتصارات عديدة.

د. زهراى خانلارى: فرهنگ ادبيات فارسى درى: ص ٢٣٠، انتشارات بنياد فرهنگ ایران، تيرماه ١٣٤٨ هـ.ش.

٤- أرش: اسم بطل إيرانى كان طبقا للروايات القديمة ضمن جيش منوچهر، وقد ألقى بسهم من مدينة أمل أوسارى من أجل تحديد حدود إيران وتوران فسقط بجوار نهر جيحون.

المصدر السابق: ص ٦

٥- كانت بلاد أترك القرلخ (القرلق) تقع جنوب مملكة الأويغور، وكان هؤلاء الأتراك يعرفون في الشعر الفارسي باسم خلخ ويوصفون باستقامة القامة وجمال الوجه، وكان أترك القرلخ (القرلق) والأويغور يدفعون الخراج للقراخانيين.

عباس إقبال: تاريخ مفصل ليران، ج. ١، ص ٨، طهران ١٣٤٧ هـ ش.

٦ - كلمة هندية وهي اسم عملة صغيرة تساوي $\frac{1}{20}$ من عملة تسمى دهم، وداهم تساوي $\frac{1}{4}$ من الروبية.

Persian - English Dictionary - BEIRUT - Lebanon 1975.P.405

٧- لك = مائة ألف. برهان قاطع ص ١٠٥٢، تهران ١٣٤١

٨- القراخانيون: أصلهم من قبائل الخطا النازحين من شمال الصين، وبسبب اضطراب الأحوال السياسية في النصف الأول من القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي - هاجروا إلى أن نزلوا بإقليم التركستان، وكانوا يكونون دولة كبيرة قبيل الغزو المغولي تقع ما بين مملكة الخوارزميين في الغرب ومساكن المغول في الشرق، وكان شاطئ نهر سيحون حدا فاصلا بينهما.

د. فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص ٢٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٦٦، القاهرة،

١٩٧٥م

٩- لأن تاريخ وفاة هذين الملكين بتصريح المؤلف هو ٦٤٤ هـ ولأن (خ + س + د) بحساب الجمل = ٦٦٤ هـ لذلك يجب أن يكون صحيح المصراع الفارسي هو (خ وميم ودال) حتى يتفق مع ٦٤٤ هـ.

انظر هامش عبد الحي حبيبي على طبقات ناصري ج. ٢ ص ١٧، كابول ١٣٤٦ هـ ش.

١٠- الطشتداریه: الطشت هو معرب طشت أو تشيت ويؤنث ويذكر والجمع طسوت، والطشت أو الطشت هو بناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه يغسل فيه، والطشتدار هو أحد الموظفين الذين يعملون في "الطشت خانه" أي المكان الذي يحوى الطشت الذي تغسل فيه الأيدي، والطشت الذي تغسل فيه الأقمشة، وكان الطشت خانه يحوى ملابس السلطان وكذا المقاعد والمخاد والسجاد الذي يصلى عليه السلطان، ويعرف بعض الصبيان الذين يعملون في هذا المكان بالطشت داریه، ويعرف بعضهم الآخر بالرختوانیه.

انظر: المعجم الوسيط، ج. ٢، الطبعة الثالثة، ص. ٥٧٧ - د. فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ص. ٦١، القاهرة، ١٩٧٥م.

١١- جتان جمع جت، واسم قوم يعرفون بهذا الاسم في أفغانستان حتى الآن.

طبقات ناصري، ج ٢، هامش ص ٢٧، كابول ١٣٤٣ ش.

١٢- قرآن كريم: سورة التوبة، آية رقم ٣٢

١٣- القرمطة في الخط هي مقاربة السطور.

مختار الصحاح: ص ٥٣٢، القاهرة، ١٣٤٠ - ١٩٢٢ م

١٤- الكروه = $\frac{1}{3}$ فرسخ = ٢ لك. م

- فرهنگ عمید: ص ۸۲۷، تهران، ۲۵۳۵
- ۱۵- قرآن کریم: سورة الرحمن، آیه رقم ۱۹
- ۱۶- قرآن کریم: سورة الرحمن، آیه رقم ۲۲
- ۱۷- قرآن کریم: سورة التوبة، آیه رقم ۳۲
- ۱۸- المقصود ما حدث من تغير فى مشاعر السلطان ناصر الدين تجاه والدته التى كانت متزوجة من قتلغ خان، فأصدر أمره بإسناد إقطاع أوده إليهما على أن يذهبا إلى هناك.
- انظر: طبقات ناصري، ج. ۱، ص ۴۸۹
- ۱۹- قرآن کریم: سورة القصص، آیه رقم ۸۰
- ۲۰- قرآن کریم: سورة الجمعة، آیه رقم ۴
- ۲۱- قرآن کریم: سورة الرحمن، آیه رقم ۶۰

الطبقة الثالثة والعشرون فى

وقائع الإسلام وخروج الكفار دمرهم الله^(١)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى قهر العتاة، وعفا عن الجناة، وقدر الشمل والشتات،
والصلوات على محمد صاحب المعجزات والآيات البينات، وعلى آله الطيبين
وأصحابه الطاهرين، وسلم تسليما كثيرا .

لما بعد: فهذه طبقة أسباب الوقعات وظهور الفتن وخروج الكفار واستيلاء
المغول على المسلمين والمسلمات. دمر الله المغول، ورزق أهل الإسلام النجاة منهم .

هكذا يقول داعية الإسلام والمسلمين كافة منهاج بن سراج الجوزجاني،
أصلحه الله بالفضل الربانى، إنه حينما كتب عن أنساب الأنبياء والخلفاء وملوك
المسلمين وسلاطين الإسلام وجبايرة الكفار وأحوال كل واحد ممن حكموا ديار
ممالك الدنيا وأكناف الربع المسكون على مر العصور، وسجل بعضا من سيرة كل
منهم فى موضعه ، كان من التقديرات الإلهية والأحكام السبحانية أن وصلت نوبة
الحكم (بعد ملوك إيران وتوران) إلى چنگيزخان المغولى وأبنائه.

وبدخول جملة أراضى توران والمشرق تحت حكم المغول الكفار، انتهى
حكم دار الإسلام فى تلك البلاد، وبدأ حكم دار الكفر باستثناء ممالك الهند التى
صارت بفيض الفضل الربانى وعناية الكرم الإلهى فى ظل حماية آل شمس وكنف

عناية أسرة ألتتمش حوزة لأهل الإسلام ودائرة لأصحاب الإيمان ﴿تَلِكْ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(١).

وفى ديار المشرق انتزعت من ملوك الإسلام المنطقة الممتدة من أقصى بلاد الصين والتركستان وما وراء النهر وطخارستان وزاول وكابل وغور وغزني وخراسان وطبرستان وفارس وخوزستان وديار بكر والموصل حتى حدود الشام والروم ووقعت فى أيدي الكفار المغول.

ولم يبق فى هذه الممالك كافة أثر من ملوك المسلمين وسلاطينهم ، رحم الله الماضين، وأدام دولة السلطان الناصرية والمملكة الشمسية.

هكذا أردنا أن نكتب عن كيفية ظهور تلك الطائفة ، وما استولوا عليه من بلاد، وأن نشرح الحوادث والوقائع من أول خروجهم حتى تاريخ سنة ثمان وخمسين وستمائة الذى تم فيه كتابة الطبقات، وقد أوردنا ما عرف عن طريق المشاهدة، وما علم عن طريق الرواة الصادقين، حتى يتضح للمتأملين من دولة سلطان سلاطين الإسلام (خلد الله ملكه) أحوال ديار الإسلام وانتقال دولة المغول من واحد إلى آخر.

وإذا بقيت ذكرى لكاتب هذه الطبقات منهاج بن سراج فله رجاء صادق بالدعاء له بالإيمان أثناء حياته، وبالغفران بعد مماته، حتى لا ينسى عند سلطان العالم وملك أهل الإيمان، ولا عند القراء الآخرين. والله الولي الموفق للإتمام .

وقبل الحديث عن أصل المغول ووقت خروجهم أكتب (بتأييد الله تعالى وحده) فصلا فى بيان الأحاديث التى وردت فى خروج هذه الطائفة:

اعلم أن ثقات الرواة قد رووا فى كتب الحديث شروط الساعة وعلامات القيامة مثل صحيح سنن أبى داود السجستاني، وكتاب البدء والتاريخ للمقدسى،

وتاريخ ابن هيصم النابى رحمهم الله، وكتاب أحداث الزمان، فخرج تلك الطائفة مكتوب ومروى فى هذه الكتب كلها.

وقد جاء فى سنن أبى داود السجستاني^(٣): روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: " لا تقوم الساعة حتى تقاثلوا أقواما وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون من الشعر، وأقواما نعالهم الشعر صغار العين ذلف الأنوف". (وفى رواية حمر الوجوه وفطس الأنوف صغار العين كحدق الجراد وجوههم كالمجان المطرقة).

أما رواية صاحب المقدسى^(٤) فهى: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه لا تقوم الساعة حتى يقاثل المسلمون الترك قوم وجوههم كالمجان المطرقة، صغار العين أخنس الأنوف يلبسون الشعر" (ويمسون فى الشعر).

وفىما يتعلق برواية أبى الحسن الهيصم بن محمد النابى^(٥) (رحمهما الله) فهى: يقول: "روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إن مقدمة خروج ياجوج ومأجوج الترك وفسادهم".

كما جاء فى أحداث الزمان من تصنيف أبى عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله أبى الليث الشيبانى^(٦): عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى تقاثل الترك صغار العين حمر الوجوه ذلف الأنوف وجوههم كالمجان المطرقة".

وعن أبى مسعود رضى الله عنه: "كانى بالترك قد أتوكم على براذين مخرقة الأذن (حتى يطأها بشط الفرات قيل مخرقة الأذن)".

كذلك يروى أبو الحسن نابی صاحب القصص والتواريخ فى الجزء الرابع من القصص فى فصل الأخبار، أن علامة القيامة ظهرت حينما بدأ جماعة الأتراك العصيان فى حدود باورد وخراسان فى عهد السلطان محمود بن سبكتگين الغازى عليه الرحمة، وخرجوا من ربة طاعة السلطان والانقياد له، فرفع عمال السلطان وثوابه تلك الواقعة إلى حضرة السلطنة، فصرخ ذلك الملك العادل قائلاً: " أعتقد أن تمرد جماعة الأتراك وفسادهم هذا من مقدمات خروج الترك فى بلاد الإسلام كما ينبئ المصطفى صلى الله عليه وسلم عن علامات القيامة".

وحيث إن هذه المقدمات التى قالها المصطفى صلى الله عليه وسلم قد تحققت، نورد فيما يلى (إن شاء الله) الحديث عن دولة الكفار.

الأول منهم القراخانيون

هكذا روى الثقات: أن أول خروج للترك كان حينما نزحت قبائل الخطا من بلاد الصين وديار المشرق إلى حدود قبالق وبلاساغون، وشقت عصا الطاعة على ملك طمغاج، واتخذوا من حدود البلاد الإسلامية مقاما ومرعى لهم، وقد قبل الملوك المسلمون الذين كانوا ينتسبون إلى أفراسياب^(٧) وكانوا من سلالة إيلك ماضى ممن انقادوا للسلاجقة رحمهم الله تعالى منح تلك الصحارى والمراعى لهم.

ونظرا لأنهم ظلوا هناك فئة قليلة لمدة طويلة، فقد أقاموا فى هدوء دون أن يحدثوا تمردا وفتنة، ولكن حينما امتد بهم عهد الأمن، وعاشوا فى فراغ ورفاهية، وكثر ثوالدهم وتناسلهم، شرعوا فى العصيان والتمرد.

ولما أوشكت مدة حكم سنجر على النهاية، أظهروا العصيان، فقدم السلطان وقامت الحرب بين جماعة الكفار هذه وبين السلطان سنجر، فانهزم جيش الإسلام وأسرت ترکان خاتون وكانت زوج السلطان.

وحينما عاد السلطان للقتال طلبوا الصلح، وأطلقوا سراح تركان خاتون، وبذلك أصبحوا في أمان.

وبعد أن ظهرت فتنة غز ختلان، وزال ملك سنجر (كما سبق ذكر ذلك) اكتسب القراخانيون قوة تامة. وكان ملوك التركستان يهزمون بعضهم البعض بمساعدتهم، فكانوا يرسلون الأموال والتحف والهدايا إليهم على أمل الحصول على مساعدتهم، وكانوا يجتهدون في قمع بعضهم البعض، حتى أصبح القراخانيون يسيطرون على الجميع، واستمرت مدة سيطرتهم ما يقرب من ثمانين سنة ونيف.

وفى البداية حينما تمت لهم السيطرة كانوا عدة أشخاص يعقب بعضهم البعض، الأكبر فالأكبر، والذين كانوا قريبين من عهدنا، وسمع عنهم الرواة هم إيما وسنكم واريزوتوما وتاينگو، وكانت ملكتهم امرأة، وفى نهاية أمرهم وبعد تلك المرأة، حكمهم رجل اسمه گورخان، كانوا يطلقون عليه (خان خانان)^(٨) وقد روى البعض أنه كان قد أسلم فى السر، والله أعلم بالحقيقة.

وكان هؤلاء وبإجماع الأقوال حكاما عادلين يمتازون بالإنصاف والشجاعة فى بداية أمرهم؛ فكانوا يعظمون المسلمين كثيرا ويجلون العلماء، ولم يكونوا يجيزون الظلم والتعدى على أى مخلوق.

وقد عبرت جيوش القراخانيين نهر جيحون عدة مرات، وهاجمت أطراف خراسان، فقد أغاروا على بلاد خراسان الشمالية من نهر جيحون وحدود بلخ وترمز وآمووطالقان وگرزوان وگرجستان حتى حدود الغور.

وكان حكام ما وراء النهر وفرغانة وخوارزم وبعض المناطق فى خراسان يرسلون جميعا الأموال إليهم، وكان القراخانيون قد أسروا عددا من المسلمين من هذه المناطق عدة مرات.

وقد انقاد لهم ملوك الثغور، فيما عدا سلاطين الغور وباميان الذين شقوا عصا الطاعة، وكان جيش ملوك الغور بقيادة القائدين البطالين خرجم ومحمد خرنك (عليهما الرحمة) قد هزم جيش الخطا مرة أو مرتين، حيث استشهد القائد خرجم. وآخر جيوش الخطا التي عبرت نهر جيحون، هي التي مضت إلى خراسان، وحاربت السلطان الغازي معز الدين محمد بن سام طاب مرقده^(٩).

وحينما انتهى عهد السلطان الغازي محمد بن سام، استولى السلطان محمد خوارزم شاه على بلاد التركستان فحاربه تايينكو الطرازي قائد الجيش ولكن السلطان محمد خوارزم شاه أسره، وقد أسلم تايينكو على يديه.

ويروى النقات: أن تايينكو الطرازي كان قد انتصر في خمس وأربعين معركة، ولم يكن قد هزم من قبل. وقد هجم السلطان محمد خوارزم شاه على معاقل الخطائين للمرة الثالثة، وأسر الجميع.

كما تحارب كشلوخان سنقر التتاري مع گورخان وأسرته، وبذلك انقضت دولة الخطائين وانتهى أمرها. والدائم هو الله.

الثاني چنگيز خان المغولي (لغنه الله)

روى بعض النقات أن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم سألوا المصطفى صلى الله عليه وسلم قائلين: "متى الساعة يا رسول الله؟ قال: بعد ستمائة عام ونيف"^(١٠). وكلمة "اند" في لغة الفرس يقابلها لفظان في العربية: الأول نيف، والثاني بضع، أما لفظ بضع فقد جاء في القرآن في موضعين الأول في قصة يوسف عليه السلام ﴿فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾^(١١). ومدتها سبع سنوات.

والثاني في سورة الروم ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّغِيلُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾^(١٢). وكان هذا أيضا سبع سنوات.

ولفظ "تيف" هذا في العربية ومعناه "أند" في الفارسية كلمة تقع بين عقدى العشرات مثل عشرة ونيف وعشرين ونيف وثلاثين ونيف. ولأن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال ستمائة ونيف، فيجب إذن أن يكون ظهور علامات القيامة بين ستمائة وستمائة وعشرة، صدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

وكان استشهد السلطان الغازي معز الدين محمد بن سام (طاب ثراه) في شهور سنة اثنتين وستمائة، وكان آخر السلاطين العادلين، وصار خاتم الملوك، وكانت دولته سدا لفتن آخر الزمان ولظهور علامات القيامة.

والدليل على هذا الحديث ما حدث فعلا في ذلك العام؛ إذ استشهد فيه الملك الغازي، ففتح سد الفتن والأحداث، وفي هذا العام خرج أيضا چنگيز خان المغولي (عليه اللعنة) وبدأ الشر والفساد والتمرد في جملة ممالك الصين وطمغاج وأطرافهما ونواحيهما، وقد ذكر في جميع الكتب أن أولى علامات القيامة هي خروج الترك.

وقد روى جماعة من الثقات صادق القول أن أبا چنگيز خان^(١٣) كان اسمه تمرچی التتاری، وأن قبيلة التتار كانت أكبر قبائل المغول، وكان تمرچی شخصية بارزة بين القبائل وبين قومه، وحينما وقع بين يديه طائر اسمه طغرل في حلبة الصيد لقب "بطغرل تگين"^(١٤)، ولم يكن أحد قد اصطاد قبله هذا الطائر الذي وقع في يده في أي مكان، فعظموه لذلك.

وكان هناك وسط قبائل المغول تركي آخر، عظيم وقائد وزعيم ومحترم أيضا، فكانت جميع قبائل المغول تحت إمرة هذين الشخصين، وكانت تلك

الجماعات كلها تطيع وتنفيذ أوامر أسرة آلتون خان^(١٤) ملك طمغاج، حيث كانوا يؤدون الخراج لأسرته.

ولكن الفساد والسرقة والزنا كان متفشيا بين قبائل المغول، ولم يكن في أقوالهم وأفعالهم سوى الكذب والفساد والسرقة والزنا، فكانت جميع قبائل الترك تعاني من فسادهم وفتنتهم، وبسبب هذه التصرفات كانوا يلاقون مذلة كبيرة من بلاط آلتون خان، حيث كانوا يطلبون منهم ذهباً وجيادا وافرة.

وبمجرد أن ذهب والد چنگيز خان إلى الجحيم، وآلت مقاليد الأمور إلى چنگيز، بدأ التمرد وأظهر العصيان، فتوجه فوج من أتباع آلتون خان لنهب قبائل المغول وقمعهم، فقتلوا أكثرهم بحيث بقي عدد قليل منهم، وتجمع من نجوا من سيوف أتباع آلتون خان مع بعضهم البعض، وانتقلوا من تلك البلاد إلى شمال التركستان.

وهناك التجأوا إلى موضع حصين لم يكن هناك أى طريق يؤدي إليه باستثناء أحد الأودية، وكان ذلك المكان كله محاطا بجبال راسيات، ويسمى ذلك المكان والمرعى كلران، وفي وسط هذا المرعى توجد عين كبيرة جدا اسمها " بليق جاق"، وبين تلك الهضاب شيدوا مساكنهم حيث أقاموا هناك مدة طويلة.

وبمرور الأيام كثر توالدهم وتناسلهم، وظهر بينهم رجال كثيرون، وتشاوروا جميعا مع بعضهم البعض متساءلين: " لأى سبب كانت هزيمتنا والإغارة علينا؟ ولماذا تم نهبنا وأسرنا وقتل الكثيرين منا؟"

وفي النهاية اتفقوا جميعا على أن هذه الأحداث والوقائع إنما وقعت بسبب المفساد الكثيرة فقالوا: " ينبغي الكف عن المفساد حتى يهبنا الله تعالى النصر، وننأثر لأنفسنا من جيش آلتون خان، ونحن يلزمننا يقينا قائدا شجاعا لتحقيق هذا

الهدف، كما يلزمنا أميرا يسوس أمورنا، حتى يتيسر رد المعتدين وظلم المفسدين وعقاب الخصوم والانتقام من آلتون خان".

ولما كان چنگيز خان قد عرف بين تلك الجماعة بالرجولة والشجاعة والجرأة والقتال، واكتسب شهرة بينهم، فقد اتفقوا على توليته أميرا عليهم؛ لأنه لن يستطيع أى شخص سواه أن ينهض بهذه الأمور، ولن يستقيم هذا الأمر على يد شخص غيره، ولن يقوم به سواه .

ووسط تلك القبائل كان چنگيز خان قد وطن نفسه على الانقياد للأوامر، والامتثال لما تنص عليه الوثائق والعهود، كما أحكم قواعد تلك الأمور مع قومه بالصورة التى كانت مألوفة عند هؤلاء القوم فقال لهم: " الانقياد لأوامرى يعنى أنه إذا أمرت أن يقتل الأبناء الآباء، ويقتل الآباء الأبناء، فعلى الجميع أن ينقادوا لهذا الأمر". فتعاهدوا على ذلك.

وكان أول أمر أصدره هو أن يقتلوا أبناء الأمير "بيسو" وكان شريكا لوالده وقد أخضع چنگيز خان جميع القبائل لسيطرته، واستعد للحرب وانشغل بإعداد الآلات والعتاد والسلاح.

ولما أخذ عدد القبائل يتزايد ويكثر ووصل الحديث عن أهدافهم إلى مسامع آلتون خان، وجه ثلاثمائة فارس ليراقبوا مفترق طريق تلك الطائفة المغولية، ويحرسوا ذلك الوادى.

فأرسل چنگيز خان رجلا مسلما كان من بين أتباعه اسمه جعفر برسالة إلى آلتون خان لمعرفة ما إذا كان يريد الصلح أم الحرب، فأمر آلتون خان باعتقال ذلك الرسول، وتم حبسه مدة طويلة.

وحدث أن هرب ذلك الشخص بالطريقة التي تيسرت له من السجن، وتوجه إلى چنگيزخان من طريق سرى، وقص عليه ما حدث، وأخبره بالطريق الذى جاء منه.

فصمم چنگيز على الخروج لمحاربة آلتون خان، وأعد الجيوش وأمر فاجتمعت فى البداية جميع قبائل المغول أمام أحد الجبال، ثم أمر ففصلوا كل النساء عن الرجال، والأبناء عن الأمهات، وحسروا رؤوسهم ثلاثة أيام كاملة، ولم يتناول أى شخص الطعام خلال هذه الأيام، ولم يسمح بأن يعطى أى كائن لبنا لطفل، ودخل چنگيز إحدى الخيام ، وعلق حبلا فى رقبتة، وكان الجميع فى تلك الأيام الثلاثة بلياليها يصيحون قائلين: "تنگرى تنگری"^(١٦).

وبعد الثلاثة أيام، وفى فجر اليوم الرابع خرج چنگيز من الخيمة وقال: "اللهم انصرنى، نحن مستعدون الآن لننأر لأنفسنا من آلتون خان".

ثم احتفلوا ثلاثة أيام أخرى أيضا فى ذلك الموضع، وبعد الثلاثة أيام قاد چنگيز الجيش من هناك سالكا الطريق الذى كان جعفر المسلم قد هرب منه، وخرجوا من بين الجبال ، وهجموا على ولاية طمغاج، وأطلقوا أيديهم فيها، وطاردوا خصومهم، وقتلوا خلقا كثيرين منهم .

وحينما ذاع نأى خروج چنگيزخان، ووصل إلى آلتون خان، ظن أنه ربما يكون الثلاثمائة ألف فارس الذين كانوا يحرسون الطريق والوادی قد هزموا، وأن المغول قد جاءوا للقتل والنهب، فوهنت عزيمة آلتون خان وجملة أهل بلاد طمغاج، وتحطمت قلوبهم .

وما إن وصل خبر مجيء المغول ونهبهم وقتلهم إلى هؤلاء الجنود الذين كانوا يحرسون مفترق الطريق، حتى تفرقوا خوفا من هول تلك الواقعة، فقتلوا وأسروا .

واستولى چنغيزخان على ولاية تغر والتبت وطمغاج، وجاء إلى باب مدينة طمغاج عاصمة آلتون خان، وظل أربع سنوات على باب المدينة، وأقام المحاصرون المجانيق في المدينة وأخذوا يقذفون أعداءهم.

وحينما قل الحجر والأجر وغير ذلك، وضعوا في المنجنيق كل ما كان حديدا أو صفيحا أو نحاسا أو رصاصا، ثم أخذوا يضعون النقود الذهبية والفضية في المنجنيق، ويلقون بها بدلا من الحجارة.

ويروى النقات: أن چنغيزخان كان قد أمر في تلك المدة بالآلا يلتفت أى شخص من جيش المغول إلى هذا الذهب وتلك الفضة، ولا يأخذونها من الموضع الذى يقعان فيه .

وبعد أربع سنوات حينما فتحت تلك المدينة، وهرب آلتون خان وأسر ابنه ووزيره على يد چنغيز خان، أمر چنغيز فأحصوا كميات الذهب من دفاتر خزان آلتون خان بحيث يعرفون كمية الذهب والفضة التى أُلقيت، وبناء على ذلك الإحصاء بحثوا عن جملة الذهب والفضة، وحصلوا عليهما، بحيث لم يضع شىء منهما.

وكان هناك رجل اسمه السيد الأجل بهاء الدين الرازى عليه الرحمة، وكان سيدا شريف الذات، طاهر النسب، سمع منه داعى الدولة منهاج جامع هذه الطبقات أن السلطان محمد خوارزم شاه عليه الرحمة والغفران كان قد أرسله برسالة إلى چنغيزخان، وكان سبب تلك الرسالة أن خوارزم شاه حينما سمع عن ظهور چنغيزخان، واستيلاء جيش المغول على ممالك طمغاج وبلاد تغر والتبت وأقاليم الصين من أقصى المشرق، أراد أن يستطلع صحة هذه الأخبار من رسله، وأن يعرف أحوال جيش المغول من حيث كفيته وآلاته وعدده وعدته.

وفى سنة سبع عشرة وستمائة حينما عبر جيش المغول نهر جيحون للمرة الأولى متوجها إلى خراسان، سمع هذا الكاتب منهاج بن سراج فى قلعة تولك من عماد الملك تاج الدين دبیر جامی، وكان واحدا من الأركان الخوارزمشاهية، أن خيال الاستيلاء على ممالك الصين كان قد سيطر على رأس السلطان محمد خوارزم شاه عليه الرحمة، فكان يتطلع دائما إلى معرفة أحوال تلك البلاد، وكان يسأل القادمين من ممالك الصين وأقصى التركستان عنها، وكنا نحن عبيده نحاول ملتسمين أن ننتيه عن هذا العزم، إلا أنه لم يمكن محوذه الفكرة من ذهنه باى وجه، فأرسل السيد الأجل بهاء الدين لتلك المهمة .

وقد روى السيد بهاء الدين قائلا: "عندما وصلنا إلى حدود طمغاج وبالقرب من عاصمة آلتون خان بدت لنا أكمة عالية على مسافة بعيدة، وحينما كان بيننا وبينها ما يقرب من مرحلتين أو ثلاث أو أزيد اعتقدنا نحن رسل خوارزم شاه أن هذه الأكمة البيضاء ربما كانت جبلا تكسوه الثلوج، فسألنا المرشدين وأهالى تلك المنطقة فقالوا: " هذه هى جملة رفات الناس الذين قتلهم المغول. "ولما تقدمنا مرحلة أخرى كانت الأرض لزجة وسوداء بسبب ما أريق عليها من دماء الآدميين، ووجب السير ثلاث مراحل أخرى فى ذلك الطريق حتى وصلنا إلى الأرض الجافة.

وكان الكثيرون من الناس قد لحقهم المرض أوهلكوا بسبب عفونة هواء تلك المنطقة، وحينما وصلنا إلى باب طمغاج، كان فى موضع أسفل برج القلعة عظام بشرية كثيرة، فسألنا عن ذلك، فقالوا لنا إنه فى يوم سقوط هذه المدينة ألقت ستون ألف فتاة بكر بأنفسهن من فوق هذا البرج، فمتن فى ذلك المكان حتى لا يقعن فى أيدى جيش المغول، وهذه هى جملة عظامهن.

وحينما قابلنا چنگيزخان أحضروا ابن آلتون خان ووزيره مقيدين أمامنا، وفي وقت العودة أرسل چنگيز معنا تحفا وهدايا كثيرة إلى خوارزم شاه وقال: " قولوا لمحمد خوارزم شاه إننى ملك المشرق وأنت ملك المغرب، فيجب أن يتوسط بيننا العهد والمودة والمحبة والسلام، وأن تروح وتجىء التجارة والقوافل بين الطرفين، وأن يحضروا إليك الطرف والبضائع التى توجد فى ولايتى ، وكذلك تفعل بلادك. "

وكان من بين التحف والهدايا التى أرسلها چنگيز إلى السلطان محمد خوارزم شاه، قطعة من الذهب الخالص فى حجم رقبة جمل، كانت قد أحضرت إليه من جبل طمغاج والصين، وقد استلزم الأمر نقل قطعة الذهب هذه على عربة، وكان يرافقتا خمسمائة من الجمال المحملة بالذهب والفضة والحريير الخطائى وأثواب الحرير الأحمر وحيوان القندز وحيوان السمور^(١٧) والحريير وطرف الصين وطمغاج، وسير هذا كله مع تجاره، وأكثر تلك الإبل كانت محملة بالذهب والفضة.

وحينما وصلت القافلة إلى أترار، غدر بهم " قدرخان"^(١٨) حاكم أترار، وطلب الإذن من محمد خوارزم شاه، وقتل جميع التجار القادمين والرسل طمعا فى ذلك الذهب وتلك الفضة، بحيث لم ينج أى واحد منهم إلا جمال كان فى الحمام، نجا بنفسه من تلك الحادثة عن طريق أتون الحمام، واحتال للمحافظة على نفسه، ثم عاد إلى بلاد الصين وطمغاج عن طريق الصحراء، وأخبر چنگيزخان بكيفية ذلك الغدر. "

ولأن الحق تعالى كان قد أراد أن يكون هذا الغدر سببا فى تخريب ديار الإسلام ، فقد ظهر قوله تعالى ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾^(١٩) وبدأت أسباب المقدور الكائن، نعوذ بالله من سخطه.

وقد سمع داعى الدولة القاهرة منهاج بن سراج ابن الملك ركن الدين خيسار الغورى (وهو من ملوك سيستان، وكان من جملة أمراء نيمروز وخواص خوارزم شاه) وهو يقسم بأن كل خزينة دخلها دائق واحد من ذهب أوفضة من تجار چنگيز خان وجيش المغول قد وقعت جميعها مع الممالك والولايات فى يد چنگيزخان وجيش المغول.

"ليحفظ الحق تعالى مملكة سلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين فى عصمته من مثل تلك الحوادث بمحمد وآله الأمجاد".

ذكر وقائع الإسلام

روى الثقات أنه عندما قص ذلك الهارب حادثة التجار والرسلى على چنگيزخان، أمر چنگيز بأن يجتمع جيش تركستان والصين وطمغاج، وحشد ثمانمائة علم تحت كل علم ألف فارس وثلثمائة ألف جواد خصصت للأبطال، وأمر لكل عشرة فرسان بثلاثة رعوس من الخراف الصغيرة ليصنعوا منها قديدا، كما حملوا أوعية حديدية وقربا من الماء وساروا فى طريقهم.

وكان الطريق من ولايته حتى أترار يقدر بمسيرة ثلاثة شهور، وكان عبارة عن صحراء خربة، فأمر قائلا: "يجب قطع الطريق والصحراء فى تلك الأشهر الثلاثة بهذا القدر من الزاد ويجب تدبير الباقي بالقمييز^(٢٠) واللبن والماء." بعد ذلك قادوا قطعان الخيل الكثيرة التى لا تدخل تحت عد أو حد أو إحصاء، ثم توجهوا إلى ديار الإسلام.

وفى أواخر شهور سنة ست عشر وستمائة خرجوا إلى حدود أترار، حيث تولدت الفتنة. وعلى الرغم من أنهم كانوا متعبين، وليس معهم مؤن كافية، فإنهم استولوا على أترار فى مدة قصيرة بفضل الجلد والرجولة والشجاعة التى ركبها

الحق تعالى فى طبيعة چنگيز خان وجيش المغول، وجعلوا الكبير والصغير طعما للسيوف البوائر، ولم يتركوا أى مخلوق على قيد الحياة، بل قضاوا على الجميع.

وتوجد قصة عجيبة فى هذا الصدد، إذ روى أحد التجار سلمه الله وكان صادق القول واسمه " الخواجه أحمد وخشى " ، قائلا: " إننى قد سمعت من الثقات أن چنگيز خان بعد أن استولى على بلاد طمغاج، وأقام الفتنه فيها لمدة أربع سنوات وأراق الدماء، رأى ذات ليلة فى منامه أنه يربط عمامة طويلة جدا على رأسه بحيث أصابه الملل من طول تلك العمامة وربطها، وأثناء قيامه بذلك ، صارت العمامة كأنها بيدر كبير.

وحينما استيقظ من نومه أخذ يقص رؤياه على كل شخص من المقربين وأرباب العلم الذين كانوا فى صحبتہ، فلم يستطع أى واحد منهم أن يفسره له بحيث يطمئن قلبه، إلى أن قال أحد المقربين له: " إن هذا لباس التجار الذين يأتون من الغرب إلى هذه البلاد، فيجب استدعاؤهم حتى يتأتى تفسيره منهم. "

وبناء على هذا بحثوا مدة بين التجار لتفسير هذا الحلم، فوجدوا بينهم عدة أشخاص من التجار المسلمين العرب الذين يرتدون العمامة، فاستدعواهم، وقص چنگيزخان حلمه على أكبر هؤلاء الأشخاص وأكثرهم حكمة، فقال ذلك التاجر العربى: " إن العمامة هى تاج العرب " فالعمائم تيجان العرب "، وكان الرسول المسلم محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يرتدى العمامة، وخلفاء الإسلام من أصحاب العمائم ، وتفسير رؤياك هو أن بلاد الإسلام ستدخل فى حوزتك وسوف تحكمها. " فوقع هذا الكلام موقع الرضا من چنگيزخان. ولهذا السبب صمم على الاستيلاء على بلاد الإسلام. "

ولنعد إلى سياق التاريخ: حينما استولى المغول على أترار، وقتلوا أهلها، قداموا من هناك إلى بخارى، حيث عسكر چنگيز بالجيش على أبواب مدينة

بخارى فى غرة ذى الحجة سنة ست عشرة وستمائة، وكان فيها كشلوخان أمير الركائب مع اثنى عشر ألف فارس من قبل السلطان محمد خوارزم شاه، فحاصر المغول المدينة، واستولوا عليها وعلى قلعتها فى يوم عيد الأضحى سنة ست عشر وستمائة .

وأخرج چنگيز الناس كافة من خاصة وعامة وعلماء وأشراف ومن نساء ورجال من المدينة ، وقتلهم جميعا ، وأحرق المدينة كلها، ودمر مكتباتها وخربها عن آخرها، وأسر أناسا قليلين، ثم توجه من هناك إلى سمرقند.

وكان فى مقدمة جيش چنگيز خان حينما قدم من الصحراء، واستولى على أترار وزحف إلى باب بخارى واستولى عليها رجل تركى اسمه (تمرچى چربى)، وكان رجلا شجاعا جدا، وكلمة چربى فى اللغة المغولية معناها "الحاجب".

وبمجرد أن بلغوا أبواب سمرقند، أعدوا كميناء، وما إن تقدم أهل سمرقند للحرب حتى فتح المغول الكمين ، فحلت الهزيمة بجيش الإسلام وبأهل سمرقند، واستشهد ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين.

وبعد ذلك أقام المغول ما يقرب من عشرة أيام أو أكثر على الحدود، وكان فى سمرقند ستون ألف فارس من قبل السلطان محمد خوارزم شاه من الترك والغور والتاجيك والخلج والقرلغ، بالإضافة إلى جميع ملوك الغور مثل الخرز والملكى والزنگي والحرهم وملوك الغور الآخرين. وفى يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة سبع عشرة وستمائة استولى چنگيز على سمرقند وخرب المدينة وأحرقها وأسر البعض.

وبعد ذلك وجه الجيوش إلى أطراف ما وراء النهر وفرغانه حتى باب بلاساغون وخرب البلاد كلها وقتل الخلق وأرسل أفواجا من جيوش المغول لفتح

أطراف البلاد. فوجه جيشا فى إثر كشلوخان التتارى (الذى كان أميرا لقبائل التتار وكان قد أسر غورخان الخطائى وأحضره عنده) ليتعقبه فى شمال تركستان حتى قبض عليه فى ناحية جاب وقصبة كيكرب حيث المناطق الجبلية وسفوح جبال سمرقند وتم قتله .

وحينما وصل خبر الاستيلاء على سمرقند واستشهاد الناس وأسرههم وهزيمة جيش الإسلام الموجود هناك إلى السلطان خوارزم شاه وهو على أبواب بلخ (كما سبق ذكره) وهنت عزيمته، وتوجه إلى نيسابور.

وحينما علم چنگيز بخبر ذهاب خوارزم شاه من أطراف بلخ وتفرق الجمع والجيش الذى كان معه ، أرسل ستين ألف فارس من معسكر المغول بقيادة قائدين كبيرين من المغول الكبار إلى خراسان، الأول سوده بهادر والثانى يمه نوين فى إثر السلطان محمد خوارزم شاه فعبروا نهر جيحون .

وكان عبور هذا الجيش نهر جيحون فى شهر ربيع الأول سنة سبع عشرة وستمائة، وبناء على أمر چنگيزخان لم يلحقوا أذى بأى مدينة من مدن خراسان، ولم يستولوا على أى منها، إلا ما حدث فى ولاية هراة فى مكان يسمى بوشنچ، حيث قتل هناك واحد من أكابر الجيش المغولى فى إحدى المعارك ، فاستولوا على قلعتها عنوة، وكانت صغيرة، وقتلوا كل من وجد بها من المسلمين، ثم قصدوا من هناك إلى نيسابور، وبلغوا أبوابها .

وحينما اندلع القتال هناك، قتل صهر چنگيزخان^(٢١)، فلم يشغلوا أنفسهم بالانتقام، بل مضوا إلى طبرستان ومازندران فى إثر السلطان محمد خوارزم شاه، الذى كان قد عسكر فى وادى تمشه على طريق مازندران، حيث لحق به جيش المغول فجأة.

فترك السلطان خوارزم شاه "الحاجب آتسز" تحت المظلة في قلب الجيش، وأمره بأن يقود الجيش إلى دامغان والعراق، وتوجه هو إلى جبال مازندران وركب البحر (كما سبق ذكر ذلك) وانقسم جيش المغول إلى فوجين: الفوج الأكبر ذهب إلى العراق في إثر جيش خوارزم شاه، والفوج الآخر وهو الأقل ذهب إلى وادي تميشه في مازندران. ولم يصل مزيد من الأخبار الموثوق بها عن هذين الجيشين إلى خراسان.

وقد روى البعض: أنه حينما لم يجدوا خوارزم شاه في مازندران والعراق، هاجموا جيش ابنه السلطان المدعوركن الدين غوري شائستى، وقتلوه، وأبادوا جيش العراق، ثم رحلوا إلى القبچاق عن طريق آذربيجان.

ذكر عبور جيش چنگيزخان نهر جيحون إلى خراسان

حينما جلى يمه نوين وسوده بهادر مع ستين ألف فارس عن خراسان، وذهبا إلى العراق، وقعت اضطرابات في خراسان، وظهرت الفتنة، وذهب كل شخص من الملوك بناء على أمر السلطان محمد إلى ناحية، وحصنوا القلاع وأقاموا الخنادق حول المدينة، وقاموا بالاستعداد للحرب والمحافظة على القلاع قدر الإمكان.

وكانت كل ناحية قد أسندت إلى ملك وعينت له، ففوضت قلعة ترمذ إلى جند سيستان، وكان أكبرهم الأمير زنگي أبوحفص، وأرسل الأمير سرهنگ سام والأبطال إلى قلعة ولخ بطخارستان، وكان طول تلك القلعة وعرضها يقدر بأربعة فراسخ، وأوكل أمر قلعة باميان إلى الأمير عمر كربا وردى، وصدر أمر للملك اختيار الدين محمد على خرپوست عليه الرحمة، بأن يأتى من برشور لفتح مدينة غزنين، والمحافظة عليها.

كما صدر الأمر لكل من (الملك حسام الدين حسن عبد الملك) المشرف على الأسلحة فى قلعة سنكه ومدينتها ببلاد الغور، و(الملك قطب الدين حسن بن على بن أبى على) بأن يعمرا قلاع الغور وأن يظهرأ جدا بالغأ فى المحافظة على تلك البلاد.

وأرسل ملك الكتاب لاختيار الملك دولت يار طغرائى إلى قلعة كاليون، وكان فى تلك القلعة بطلان عظيمان من خراسان، كانا يسميان بأبناء يوزبك.

كذلك نصب الملك شمس الدين محمد الجوزجاني فى مدينة هراة، وفوضت قلعة فيوار إلى البطل أصيل الدين النيسابورى صهر مبارك پهلوان، ومنحت قلعة نصر كوه بطالقان لنواب الملك شمس الدين آتسز حسن الحاجب، وأسندت قلعة رنگ گرزوان إلى نواب ألغ خان أبى محمد، وفوضت قلاع غرجستان إلى العميد أبى پهلوان شروان وقلاع غور إلى ملوك الغور، ومنحت مدينة فيروزكوه للملك مبارز الدين الشيرازى، وفوضت قلاع تلك إلى الأمير حبشى نيزه ور، وتم تعيين واحد من عظماء ملوك الترك والغور والتاجيك فى كل قلعة ومدينة.

وحينما ذهب السلطان محمد خوارزم شاه إلى مازندران مهزوما، ونشبت جيوش الإسلام ، كان چنگيزخان قد فرغ من فتح بلاد سمرقند، فأرسل الفرسان فى إثر السلطان محمد، ووجه جيوشا أخرى إلى نواحي خراسان.

فأرسل أرسلان خان قيالق المسلم ومعه ستة آلاف فارس من المسلمين، وكلهم من الأعاجم مع طولان جربى وجيش المغول إلى ساحة قلعة ولخ بطخارستان، وجاء هو بنفسه مع جيش القلب من سمرقند إلى حرم قلعة ترمذ، وبدأ الحرب:

وبعد عدة أيام حارب فيها مسلمو ترمد معارك كثيرة، وأرسلوا كثيرين من المغول إلى جهنم، واستشهد كثيرون منهم، عجز أهل القلعة بسبب قلّة حجر المنجنيق، فاستولى چنگيز على تلك القلعة، وقتل الجميع، ومن هناك أرسل جيوش المغول إلى أنحاء خراسان وغور و غزنین.

وكل جيش كان يرسل إلى أنحاء خراسان كان يمر على قلعة نصر كوه بطالقان، فكان الفدائيون ينزلون من نصر كوه، ويهاجمون أفواج جيش المغول، ويستعيدون الجياد والماشية، ويقتلون المغول.

وحينما انتهى چنگيز خان من غزوطالقان، وجه فوجا كبيرا من المغول إلى قلعة نصر كوه فحاصروا القلعة واندلعت الحرب، وتوجه اقلان چربی وسعدی چربی مع صهر چنگيز خان، وكان اسم هذا الملعون فيقونوين، وكان معه خمسة وأربعون ألف فارس وهاجم أنحاء غور وخراسان ووقع في أيدي جيش المغول كافة المواشي التي كانت في أنحاء مدن خراسان وقصباتها ورسايقها وغور وگرمسير، ونهبت المنطقة الممتدة حتى باب غزنین وبلاد طخارستان وگرمسير، وقتل أغلب المسلمين، وأسر البعض.

وفي هذه السنة، سنة سبع عشرة وستمائة، أخذ جيش المغول يهاجم الأطراف لمدة ثمانية أشهر، وفي هذا التاريخ كان كاتب هذه الطبقات منهاج بن سراج في قلعة توك، وكان أخوه في قلعة مدينة فيروز كوه. وفي ذلك العام جاء جيش المغول إلى قلعة آستيه بغور، وحاربوا بضرأوة لمدة خمسة عشر يوما

وكان في تلك القلعة الأمير وصاحب الإقطاع وقائد الجيش تاج الدين حبشى عبد الملك رئيس الترسانة، وكان ملكا عظيما ذا استعداد تام، ولكن لأن القضاء الإلهي كان قد حل، فقد اصططح مع المغول، وذهب إليهم، فاصطحبوه إلى چنگيز خان الذى لقبه بملك الغور وأعزه ثم أعاده حتى يستولى على القلاع الأخرى.

وحينما عاد تاج الدين حبشى بعد أن هزم جلال الدين منكبرتى بن خوارزم شاه على شاطئ نهر السند، خالف الكفار وانشغل بقتالهم ولقى ثواب الشهادة.

وفى هذا العام نفسه جاء جند المغول مع اقلان جربى إلى باب مدينة فيروزكوه وحاربوا بضراوة لمدة واحد وعشرين يوما، ولم يستطيعوا فتح المدينة، فعادوا مدحورين.

ولما كان فصل الشتاء، وأخذ الجليد يتساقط على جبال الغور، توجه جيش چنگيزخان المغولى من خراسان إلى ما وراء النهر، وكان الجيش الموجود فى الغور يقدر بعشرين ألف فارس من المغول الكافرين، وخلال عبورهم من أمام قلعة توك توقف فوج منهم وأخذ يهاجم القلعة لمدة ثمانية أشهر وعدة أيام.

وكان هذا الداعى وهومنهاج بن سراج الدين بين مجاهدى قلعة توك (رحم الله الماضين) يجاهدون الكفار بحيث لم يتحوا لهم أن يقتربوا من القلعة لمدة ثمانية أيام، كان جيش المغول يتحرك فيها حول القلعة.

وقد قرر النقات أن أسرى المسلمين كانوا كثيرين فى أيدى الكفار، بحيث إنه تم اختيار اثنتى عشرة ألف فتاة بكر لخاصة چنگيزخان، فاصطحبهن معه، ليخلصهن الله من أيديهم ، وليدمر الكفار بقهره وقدرته .

ذكر عبور چنگيزخان الملعون نهر جيحون

حينما حل ربيع الأول سنة ثمانى عشرة وستمائة، اتجهت جيوش المغول مرة أخرى إلى أنحاء خراسان وغور وخرجستان، وعند توجهها إلى قلعة نصرکوه . بطالقان، أظهر المجاهدون فى تلك القلعة رجولة وفداء.

وما إن علم چنگیزخان بخبر مجيء الجيش إلى ساحة تلك القلعة وإخفاقه في فتحها ، حتى عبر نهر جيحون لفتح القلعة ، وأقام في هضبة نعمان وصحراء كعب التي تقع بين بلخ وطالقان.

ولما اشتد الأمر على سكان القلعة ، رضوا بالشهادة ونسوا من الحياة. وكانوا قبل تلك الحادثة وفتح القلعة والفوز بالاستشهاد بثلاثة شهور قد ارتدوا جميعا ملابس الحداد متضامين مع بعضهم البعض ، وكانوا يحضرون يوميا إلى المسجد الجامع بالقلعة، ويختمون القرآن، ويعزون أنفسهم، وبعد العزاء وختم القرآن، كانوا يودعون بعضهم البعض، ويتسلحون ثم ينشغلون بالجهاد، فكانوا يقتلون الكثيرين من المغول بينما يستشهد البعض منهم.

فلما علم چنگیزخان بشدة قتال هؤلاء المجاهدين، جاء من هضبة نعمان إلى ساحة القلعة، وبدأ الحرب.

وكان المحاصرون قد حفروا خندقا في الحجر على ناحية من القلعة عند البوابة العليا، ولكن المغول حطموا السور بضربات الحجارة والمنجنيق ،وملأوا الخندق، وفتحوا ثغرة بمقدار مائة ذراع ، فترأى للمغول أمل الاستيلاء على القلعة.

أما چنگیزخان فمن شدة غضبه كان قد أقسم بمعبوده قائلا: " سأستولى على هذه القلعة ممتطيا الجواد". ثم حارب مدة خمسة عشر يوما أخرى، ومهد الطريق حتى استولى على القلعة.

وعندما اندفع فرسان المغول داخل القلعة، خرج من سكانها مجموعة محكمة تقدر بخمسمائة فدائي محارب من ناحية بوابة جبل جنيه بطالقان، وهاجموا

جيش المغول وشتتوا صفوفهم ومضوا. ولما كانت الوديان والأراضي اللزجة قريبة استشهد البعض وسلمت الأغلبية.

بعد ذلك خرب چنگيزخان القلعة، وقتل جميع الأهالي. رضى الله عنهم ورضوا عنه. ليخدا الحق تعالى ملكنا على عرش الملك آمين.

ذكر مجيء جلال الدين منكبرتي بن خوارزم شاه إلى غزنين والأحداث التي وقعت له هناك

أرسل السلطان محمد خوارزم شاه أمرا إلى الملك اختيار الدين محمد بن على خربوست الغوري كي يأتي من إقطاعه يرشور إلى غزنين، وكان رجلا محنكا وشجاعا ومقاتلا ومحاربا، وكان قد انتزع نصر كوه بطالقان من جيش خوارزم شاه لمدة عشر سنوات، وكان مشهورا ومعروفا في خراسان وغور، حيث كان أصله من ملوك الغور الكبار.

وحيثما قدم الملك اختيار الدين محمد بن على خربوست إلى غزنين، توجه إليه جيش الإسلام من الأطراف، فاجتمع في الحاضرة غزنين جيش كبير يقترب من مائة وثلاثين ألف فارس جرار بكامل أسلحتهم وقرر أن يعد الجيش ويهجم فجأة على چنگيزخان الذي كان يعسكر في هضبة النعمان ويلحق به الهزيمة، فأخذ يرتب الجيش ويعدّه طوال الوقت.

وكان أكابر خوارزم وعظماؤها الذين كانوا قد انفصلوا عن السلطان محمد قد بدأوا في العودة إليه، وكان شهاب الدين الي وزير الممالك في غزنين وغور قد قدم إلى غزنين من قبل خوارزم شاه، كما كان في غزنين حارس من قبل السلطان محمد يسمى صلاح الدين من قسبة كردكان.

وحينما جمع محمد على خربوست جيشا كبيرا، وتوجه خان هراة (بعد محاولة هربه إلى سيستان) إلى غزنين بسبب حرارة الجو، وصل خبر من السلطان جلال الدين منكبرتي يفيد بأنه قادم من خراسان إلى غزنين.

وقد تأمر شهاب الدين الب الوزير مع صلاح الدين الحارس فى الخفاء، وأعد حفلة واستضاف الملك محمد خربوست، حيث قتل الحارس صلاح الدين ذلك الملك المجاهد بطعنة خنجر، فتفرق جميع الجنود الذين كان قد جمعهم.

وفى سنة سبع عشرة وستمائة جاء خان هراة من أمام جيش المغول إلى غزنين، وعاد من هناك إلى گرمسير، وتوجه إلى سيستان، وبينما هوفى طريقه منح رضى الملك ولاية برشور، وحينما جاء رضى الملك إلى غزنين منعه أهل غزنين من التوجه إلى برشور. وبعد ذلك ذهب رضى الملك إلى برشور فهزمه جيش العراق الذى كان هناك.

فلما عاد رضى الملك من هناك، قبض القائد أعظم بن عماد الدين البلخي (وكان أمير نگرهار) على رضى الملك، واحتفظ به. وفجأة وصل السلطان جلال الدين منكبرتي وخان هراة إلى غزنين، وجمعا جيشا كبيرا من الترك وأمراء الغور والتاجيك والخلج والغز تحت إمرتهما، وذهبا من غزنين إلى طخارستان. وكان جند المغول بالقرب من قلعة واليان فهزموهما وعادا.

وحينما بلغ خبر مجيء السلطان جلال الدين منكبرتي وخان هراة وجماعة جيش الإسلام إلى چنگيزخان أرسل صهره "قيقونوين" من هراة وخراسان إلى غزنين، وما إن وصل إلى حدود پروان، حتى تقدم السلطان جلال الدين أمام هؤلاء الجند وحاربهم، فتغلب عليهم وهزمهم، وقتل كفارا كثيرين، وأخذ الجيش المغولى يعاود الكرة فتلقاه الهزيمة.

وكان فى جيش السلطان جلال الدين كثيرون من قبيلة إغراق، كلهم محنكون ومحاربون سفاكون. وحدث أن اختلفوا مع الأعاجم الخوارزميين بسبب الغنائم فانفصلوا عن جيش السلطان، وذهبوا إلى ناحية أخرى، فبقى السلطان مع جيش الترك.

وحينما انهزم فيقونوين المغولى، رجع إلى چنگيزخان الذى كان قد توجه من هضبة النعمان إلى غزنين مع الجنود والحشم الخاص به، وحارب السلطان جلال الدين منكبرتى وخان هراة وملوك خوارزم الآخرين الذين كانوا معه على شاطئ نهر السند، فانهزم السلطان جلال الدين وجنود الإسلام، وألقوا بأنفسهم فى نهر السند، ففرق بعض المسلمين، واستشهد البعض وأسر البعض، وخرج قليلون من نهر السند. (والله أعلم بالصواب).

ذكر فتح قلعة ولخ وطخارستان وقلاع بلاد باميان

حينما ذهب أرسلان خان قىالغ المسلم مع جيشه وطولان جربى المغولى إلى قلعة ولخ بناء على أمر چنگيزخان، مكثوا هناك مدة ثمانية أشهر.

ولما لم يكن هناك طريق من أى ناحية إلى هذه القلعة، فقد صدر الأمر لجنود المغول بأن يقتلعوا الأشجار والأغصان من أنحاء تلك الجبال وأطرافها، وأن يلقوا بها إلى أسفل القلعة. وكانوا يتظاهرون أمام الناس قائلين: " اننا سوف نملأ هذا الوادى"، وهذا الوادى لا يملأ فى مائة عام بسبب عمقه.

ولما حل البلاء السماوى ونزل القضاء الإلهى، تقدم ابن رئيس ولخ وسط جيش المغول، وأرشدهم إلى طريق يمكن أن يسير فيه عداء سريع السير ودلهم عليه.

وكان في وسط الجبال مغارات حجرية على هيئة مقاعد، ظل ابن رئيس ولخ يصحب رجال المغول ويخفيهم في شعاب تلك المغارات طوال سنة أيام حتى إذا ما احتشد الرجال صعد فوق القلعة.

وبعد أربعة أيام انطلقت الصيحات وقت الصباح، وأعملوا السيوف في رقاب الفرقة التي كانت تحرس بوابات القلعة حتى أدخلوها كلها من الرجال، ثم صعد جنود المغول إلى القلعة، وقتلوا المسلمين كافة، وانتهوا من تلك المهمة .

بعد ذلك صدر لهم الأمر من فوق قلعة ولخ بأن يأتوا إلى قلعة فيوارقاس فحاصروا تلك القلعة. نصر الله المسلمين ودمر الكافرين.

ذكر فتح مدن خراسان واستشهاد أهالي تلك المنطقة

روى النقات أنه كان لچنگيزخان أربعة أولاد، الأكبر اسمه توشي والأصغر منه اسمه چغتای والثالث اسمه اکتای والرابع وأصغرهم جميعا كان اسمه تولى ، وحينما غادر چنگيزخان ما وراء النهر، قصد خراسان وأرسل توشي وچغتای مع جيش جرار إلى خوارزم شاه والقبچاق وتركستان، ووجه تولى مع جيش كبير إلى مدن خراسان، واحتفظ بأكتای معه.

وفي شهر سنة سبع عشرة وستمئة توجه تولى من هضبة النعمان إلى مرو، واستولى على تلك المدينة، وقتل الناس، ثم ذهب من هناك إلى نيسابور، واستولى عليها بعد معارك عديدة، وقضى على أهالي تلك المدينة تماما انتقاما منهم، لأن صهر چنگيزخان كان قد قتل هناك، وخرب المدينة وهدم أسوارها وربط المحاريث وساقها في المدينة، بحيث لم يبق من عماراتها أثر.

وحينما انتهوا من المدينة وأطرافها ونواحيها، قدم تولى من هناك إلى مدينة هراة وعسكر على بابها، وبدأ الحرب وصوب المجانيق إلى جميع الأنحاء، فاستعد الملك شمس محمد الجوزجاني والملك تاج الدين القزويني والأمراء الآخرون الذين كانوا في المدينة للحرب.

ولكن يروى النقات أن كل حجر منجنيق كانوا يصوبونه من المدينة على جيش المغول كان يذهب في الهواء ويرتد ثانية داخل المدينة (والتي كان السلطان محمد خوارزم شاه قد قاتل على بابها مدة أحد عشر شهرا حتى تم له فتحها) وأقام جيش المغول هناك مدة ثمانية أيام، واستولوا على تلك المدينة التي كانت كسد الإسكندر، وقتلوا الناس.

وقد روى النقات أنه تم إحصاء ستمائة ألف شهيد في ربع المدينة، وعلى هذا الحساب يكون قد استشهد من المسلمين في أطراف المدينة الأربع مليونان وأربعمائة ألف شخص. رضى الله عنهم ورضوا عنه.

وحينما عزم تولى على العودة، أطلق سراح بعض هؤلاء الأسرى، ونصبهم للحراسة، ثم انصرف، وأمر بتعمير المدينة. ليبقى الحق تعالى سلطان الإسلام.

قصة

توجد قصة من أحداث ذلك الزمان تليق بهذا المقام وهي:

في شهور سنة اثنتين وعشرين وستمائة، سافر كاتب هذه الطبقات منهاج ابن سراج وهو داعي دولة السلطان المعظم برسالة من غور بناء على طلب الملك السعيد ركن الدين محمد عثمان المرغني طاب ثراه إلى قيسستان من أجل إصلاح طريق القوافل وأمن البلاد.

وحينما وصل إلى مدينة قاين، رأى هناك إماما من جملة أكابر خراسان، كان يسمى القاضي وحيد الدين فوشنجي رحمه الله، وقد روى ذلك الإمام: "كنت في واقعة مدينة هراة، وكنت أترعرع بالسلح كل يوم مع المجاهدين، وأذهب إلى قمة الحصن، وأرتدى لباس الفروسية، وذات يوم ووسط الحرب وضوضائها، كنت فوق حصن مدينة هراة بسلح تام من الخوذة والدرع وغيرهما، وفجأة زلت قدمي من فوق الحصن، فوقعت بجانب الخندق، وكنت أتحرج فوق التراب مثل أحجار الجبال، وكان يحيط بي ما يقرب من خمسين ألف مغولي كافر، يرفعون أيديهم بالسهم والحجارة وأخذت أتحرج حتى وقعت بين جيش الكفار، وأسرت على يد جماعة كانت تقاتل بالقرب من حائط القلعة فوق التراب ووسط الخندق.

وحدث ذلك لي في مكان كان تولى بن چنگيزخان قد أقام خيمته أمامه بجوار الخندق، وكان جيش المغول يحارب أمامه وعلى الرغم من أنني قد نزلت من الحصن متدحرجا على التراب بمقدار عشرين ذراعا (وكان هناك أربعون ذراعا أخرى حتى قعر الخندق) فإن الحق تعالى حفظني بعصمته فلم يصبنى أي جرح، ولم أتعب، ولم يكسر أي عضوم من أعضائي، وحينما وصلت إلى الأرض، أرسل تولى على الفور جماعة، وقال لهم: "أحضروا هذا الشخص حيا ولا تمسوه بأي أذى". وبناء على ذلك الأمر، عندما حملوني إلى تولى، نظر إلى وقال: "انظروا إذا كان قد أصيب بأي جرح؟".

فجاء مغولي وفحصني، وقال لتولى خان: "لم يصب بأذى. ولما لم تكن بي إصابة، فقد قال تولى: "أي شخص أنت، أنت من جنس البشر أم الجن أم الملائكة أم تحمل تعويذة من أسماء الله العظيم. اصدقني القول، ما حقيقة الأمر؟". فقبلت الأرض بين يديه وقلت: "أنا إنسان مسكين من طائفة العلماء والدعاة، ولكن كان يوجد شيء معي. قال: ماذا كان معك؟ سجدت على الأرض وقلت: لأن نظرك وأنت ملك كان معي، وبهذا الحظ بقيت في الأمان".

فأعجب تولى بكلامى ونظر إلى بعين الرضا وقال: "إن هذا الشخص رجل عاقل وعالم يليق بخدمة چنگيز خان، فيجب العناية به حتى يرسل إلى الخدمة هناك، وأمر فأودعوني لدى واحد من المغول المحترمين، وعندما انتهى من فتح مدن خراسان اصطحبني معه إلى خدمة چنگيزخان، وقص عليه القصة.

وقد حظيت بقرب تام في خدمة چنگيزخان، وكنت دائما ملازما لبلاطه، وكان يسألني دوما عن أخبار الأنبياء وسلاطين العجم والملوك السابقين قائلا: "ألم يخبر الرسول محمد- عليه السلام- العالم قط عن ظهورى وفتوحاتى؟" فسردت له الأحاديث التى رويت عن خروج الترك فقال: "إن قلبى يشهد على أنك تقول الصدق".

وذات يوم، سألتنى أثناء الكلام: "هل سيخلد اسمى فى الدنيا؟ بسبب الانتقام من محمد اغرى". ويقصد السلطان محمد خوارزم شاه (واغرى فى اللغة التركية بمعنى لص) وكان يقول دوما إن خوارزم شاه لم يكن ملكا، بل كان لصا؛ لأنه لو كان ملكا لما قتل رسلى وتجارى الذين جاءوا إلى أترار؛ لأن الملوك لا يقتلون الرسل والتجار.

والخلاصة أنه حينما سألتنى: "هل سيخلد اسمى؟" قبلت الأرض وقلت: "لو أعطانى الخان الأمان سأتكلم". قال: "أمنتك". قلت: "يخلد الاسم فى المكان حينما يكون عامرا بالناس، ولما كان عبيد الخان قد قتلوا الناس جميعا، فكيف يبقى الاسم؟ ومن سيقص هذا التاريخ؟".

وحينما أكملت هذا الكلام، ألقى بالسهم والقوس وكانا فى يديه، وغضب غضبا شديدا وأشاح بوجهه عنى وأعطانى ظهره.

ولما شاهدت آثار الغضب على ناصيته غير المباركة، فقدت الأمل فى النجاة، واستولى على اليأس من الحياة، وقلت لنفسى بيقين: "لقد حان وقت منيتك، وسوف تذهب من الدنيا بضربة سيف هذا الملعون".

وبعد أن انقضت ساعة، التفت إلى وقال: "كنت أعتقد أنك رجل عاقل وذكى، وقد ثبت لى بهذا الحديث أنك لا تتمتع بعقل راجح، وأن تفكيرك لا يعتد به كثيرا، فالملوك فى العالم كثيرون، وفى كل مكان وطنته أقدام خيل جيش محمد اغرى جعلته خرابا ودمارا، أما باقى الناس الذين يوجدون فى أنحاء الدنيا وفى ممالك الملوك الآخرين فسوف يقصون قصتى".

ولهذا السبب لم يعد لى عنده قربة، فابتعدت عنه، وهربت من بين الجند، وحمدت الله تعالى على هذا، وأثبتت عليه ونجوت من هناك. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (٢٢).

ذكر ولاية خراسان وأحداثها مرة ثانية

حينما هزم السلطان جلال الدين منكبرتى بن خوارزم شاه جيش المغول على حدود پروان بين باميان وغزني عدة مرات، توجه إليه چنگيزخان، قادما إلى ناحية السند، بينما كان خبر انتصار جلال الدين قد ذاع فى مدن خراسان كافة، حيث قتل شحنة المغول فى كل مدينة وقصبة أينما كانوا، وظهر المنتصرون فى كل مكان.

وبعد أن هزم چنگيز خان السلطان جلال الدين على شاطئ نهر السند، أرسل ساوريهانر مع أكتاى إلى غزني حيث خرب أكتاى تلك المدينة، وأخرج الناس منها، وقتلهم وأسر البعض.

أما چنگيزخان فقد ذهب من شاطئ نهر السند فى إثر إغراق المسلمين (وكانوا جيشا جرارا ورجالا لا حصر لهم) إلى ناحية كيرى ، حيث فتح قلاع كيرى وسفوح الجبال وقتل المسلمين، وأقام فى ولاية كيرى مدة ثلاثة شهور، وأرسل من هناك رسلا إلى السلطان السعيد شمس الدنيا والدين (طاب ثراه) وكان ينوى أن يحضر الجيش إلى الهند، ويعود من طريق قراجل وكامرود إلى أرض الصين، ولكنه كلما كان يستكشف الغيب بحرق الكتف^(٢٣). والنظر فيه، لم يكن يسمح له أن يأتى إلى بلاد الهند.

حتى أخبر الرسل من ناحية طمغاج وتكت چنگيزخان بأن خانات تكت وطمغاج قد شقوا عليه عصا الطاعة، وأن تلك البلاد قد أوشكت على أن تخرج من يديه، فعاد مضطرا من سفوح جبال كيرى، وكان الجليد قد غطى تلك الجبال جميعها، فأمر بأن يزيلوا الثلوج، وعاد عن طريق جبال بلاد غزنين وكابل إلى ناحية تركستان وكاشغر.

وفى الشتاء نفسه أرسل چنگيزخان أكتاى من كيرى مع جيوش المغول إلى غور وخراسان، وجاء أكتاى إلى مكان بين غور وغزنين ويسمى پل آهنگران بالقرب من فيروزكوه وعسكر هناك.

وتوجه سعدى چربى ومنكده چربى وعدد من القادة الآخرين مع جيش جرار إلى سيستان، ووجه ابكه نوئين وكان من رجال المنجنیق التابعين لچنگيزخان الذى كان لديه فى جنده عشرة آلاف من رجال المنجنیق إلى قلعة اشيار بغرجستان، ووجه الجى نوئين إلى جبال غور وهراة.

والخلاصة أنه أرسل شحنة وجيوشا إلى كافة أنحاء غور وخراسان وسيستان، وقد قاتلت تلك الأفواج والجيوش المغولية التى توجهت إلى تلك الأنحاء طوال الشتاء.

ولما وصل خبر قتل الشحنة إلى چنگيز خان قال: " لقد قُتلت هؤلاء الناس فمن أين عادوا؟". وفي هذه المرة صدر الأمر بأن يفصلوا رعوس الناس عن أجسادهم حتى لا يبقوا على قيد الحياة.

وعلى هذا خربوا مدن خراسان بأسرها مرة أخرى، وتقدم الجيش الذي كان قد ذهب إلى باب سيستان، واستولى على المدينة عنوة، ونشب القتال في كل حي وفي كل منزل، حتى أسروا الناس؛ لأن مسلمي سيستان حاربوا جميعا نساء ورجالا، صغارا وكبارا بكل ما أتيح لهم من الخناجر إلى السيوف، حتى قتلوا جميعا، واستشهدت النساء كافة.

أما هراة التي كان الجيش قد توجه إلى بابها؛ فقد كان بها سيد (كما سبق ذكر ذلك) يسمى الخواجه فخر الدين عبد الرحمن العبراني، ويعرف بالصراف، وكان عظيم الثراء وافر الاحترام، في هذه المرة استطاع الصراف الاحتفاظ بمدينة هراة عدة أيام، وكان الملك مبارز الدين السبزواري قد جاء من قلعة فيروزكوه إلى هراة مهزوما، فعينوه قائدا للجيش.

وكما رووا أنه حينما فتحت هراة في هذه المرة كان الملك مبارز الدين رجلا مسنا وذا منظر حسن، فامتطى جواده وسط المدينة، وتدرع بالسلح والرماح، وأمسك بالدرع والحربة، وظل يكافح حتى استشهد. والله أعلم بحقائق الأحوال.

ذكر فتح قلعتي كاليون وفيوار على يد المغول

حينما انتهى المغول من أمر هراة وخربوها، انقسم جيشهم إلى فوجين، الفوج الأول ذهب إلى سيستان وعلى رأسه سعدى چربی والقواد الكبار الآخرون، والفوج الآخر جاء إلى قلعة كاليون، وعسكر أمامها.

وقلعة كاليون منيعة، ولا يوجد مكان فى الدنيا فى استحكامها، سواء فى العلو والرفعة أو فى الحصانة والقوة، وقد أجمع كلام الكتب وأساندة العالم فى المسالك والممالك، وذكروا فيما يتعلق بتلك القلعة أنها " أحسن حصون الدنيا وأحسنها "

وكان يجب على السائر من مدينة هراة حتى حرم قلعة كاليون أن يقطع عشرين فرسخا صعودا حتى يصل إلى تلك القلعة. وحينما يقترب منها يجب أن يصعد فرسخا آخر ليصل إلى قاعدتها الحجرية، حيث إن سور القلعة قائم فوق هذا الحجر، الذى يقدر ارتفاعه بمقدار ألف ذراع أو أزيد.

وسطح هذا الحجر مثل حائط بحيث إنه لا يمكن أن يتسلقه أى مخلوق إلا الحشرات الأرضية. ويوجد فوق هذا الحجر فناء على مسافة رمية أربعة أسهم أو ما يزيد، وقد حفروا سبعة آبار للماء فى تلك القلعة فى حجر صلد، وماء كل واحدة منها غزير بحيث لا ينقص إنتاجها أبدا، وكان فى وسط القلعة ميدان كبير جدا.

وكان ولدا أبى بكر من مقاتلى السلطان محمد، وهما بطلان مشهوران، بطلان شديدى البأس ومحاربان، وكانا يحرسان تلك القلعة. وقد روى النقات: أن هذين الأخوين كانا مشهورين بالرجولة والفداء، وكان كل منهما طويل القامة بدرجة مفرطة، بحيث إنهما عندما كانا يمسكان بركاب السلطان محمد كانا يفوقان السلطان محمد طولا.

وفى أثناء تلك الحوادث كان اختيار الملك دولت يار طغرائى (وهو واحد من قادة الممالك الخوارزمية)، ممن قدموا أيضا إلى تلك القلعة، بحيث إنه حينما جاء فرسان الكافر إلى كاليون، كان فى القلعة رجال كثيرون وأسلحة عديدة.

وكان محمد خوارزم شاه قد حاصر تلك القلعة وقلعة فيوار التي تقع أمامها لمدة عشر أو إحدى عشرة سنة، حتى تم له الاستيلاء عليها، وملأها بالرجال والسلاح والذخيرة.

وحينما بدأ الحرب مع الكفار، نزل المجاهدون والفدائيون من القلعة وبدأوا الجهاد، وقتلوا كثيرين من المغول، وانشغلوا بالقتال ومقاومة الكفار ليلا ونهارا.

وقد وصلت شجاعة أهل القلعة إلى درجة أن جيش المغول لم يكن يتيسر له النوم ليلا خوفا منهم، وقد أقام الكفار حصنين حول القلعة ووضعوا بوابتين في مقابل باب القلعة والحصن، وعينوا رجالا للحراسة في الليل.

وقد روى الثقات: أن ثعلبا قد بقى داخل حصن المغول أسفل قاعدة قلعة كاليون الحجرية لمدة سبعة أشهر، ولم يكن هناك طريق لذلك الثعلب يخرج منه؛ إذ أحكم المغول حراستهم حتى بلغت هذه الدرجة.

وحينما انقضت مدة عام على محاصرة القلعة، جاء سعدى جربى مع جيش المغول من باب سيستان إلى خراسان، وانضم مع بقية الجيش المغولى الموجود أمام قلعة كاليون، واستولى المرض والوباء على أهل القلعة.

وهلك أكثر الناس بسبب أن مؤن القلعة من اللحم المجفف والفسق كانت متوفرة، ولا غرو ففسق خراسان كله من أنحاء كاليون، فكان أهالى القلعة يمرضون بسبب أكل اللحم المجفف والفسق وزيتته، وكانت أرجلهم ورءوسهم تتورم ويموتون.

ولما انقضت مدة ستة عشر شهرا على محاصرة القلعة، لم يبق من تلك الطائفة أكثر من خمسين شخصا، عشرين منهم مرضى ذوى أرجل متورمة، وثلاثين شخصا أصحاء.

وحدث أن خرج واحد من تلك الطائفة، وذهب إلى جيش المغول، وأخبرهم بوضع القلعة وحال أهلها. فلما تحققت طائفة الكفار من حال أهل القلعة، استعد الجيش المغولي بأسره بأسلحته وتوجه إلى القلعة.

وطاب قلب أهل القلعة للشهادة، فألقوا كل ذخائرهم من ذهب وفضة وأثواب ثقيلة وكل ما له قيمة في آبار القلعة، وسدوا الآبار بأحجار ثقيلة، وأحرقوا ما تبقى بالنار، وفتحوا باب القلعة، واستلوا السيوف، وهجموا على الكفار ونالوا الشهادة.

وحينما فتحت قلعة كاليون، جاء جماعة الجنود الذين كانوا أمام قلعة ولسخ بطخارستان مثل طولان جربي وأرسلان خان قيالق وأفواج جيش المغول إلى ساحة قلعة فيوار قانس بناء على أمر جنكيزخان.

وقلعة فيوار هذه أقوى من قلعة كاليون في الحصانة والمتانة والاستحكام، وهي محكمة لدرجة أنه كان يمكن حراستها بعشرة رجال.

والمسافة بين قلعة فيوار وكاليون عشرة فراسخ، بحيث كانت كل من القلعتين تشهد الأخرى، فلوحدث أن جاء فارس غريب أمام قلعة كاليون، كان الاتصال يتم بين القلعتين بالدخان نهارا وبالنار ليلا، فيعلم أهل قلعة فيوار بما يحدث في قلعة كاليون، ولو حدث أن أتى الفارس الغريب بالقرب من فيوار، كان يحدث أيضا الشيء نفسه.

وقد أقام طولان جربي وأرسلان خان قيالق مدة شهرين أمام قلعة فيوار، وضاق الأمر جدا على الجنود بسبب قلة المؤنة، فكانوا يحضرون لهم ما يقيمون به أودهم من ذخائر قلعة كاليون، حتى يستطيعوا أن يقيموا في أنحاء تلك القلعة عدة أيام.

إلى أن نزل شخص من قلعة فيوار وسط جيش طولان جربي، وأخبر عن حالة سكان القلعة وبأنهم قد هلكوا جميعا، ولم يبق منهم أكثر من سبعة رجال أحياء، ويوجد أربعة أو خمسة مرضى أيضا من هؤلاء السبعة. عندئذ تدرع الكفار

بالسلاح، واستولوا على القلعة، وقتلوا هؤلاء الرجال السبعة. رضى الله عنهم ورضوا عنه.

وكانت هذه الأحداث فى أواخر شهر سنة تسع عشرة وستمائة، وكان هذا هو حال هاتين القلعتين اللتين لم يكن فى خراسان والغور أحكم منهما كما ذكرنا .
ليبقى الحق تعالى سلطان سلاطين الإسلام على عرش الملك حتى انقراض العالم، ويخلده.

ذكر حوادث غور وخرجستان وفيروزكوه

أما مدينة فيروزكوه فقد كانت عاصمة لسلاطين الغور، قدم إلى بابها اقلان جربى مع جيوش المغول فى شهر سنة سبع عشرة وستمائة ، وحارب المغول بشدة مدة عشرين يوما ونيف، وعادوا دون تحقيق هدفهم.

وحدث أن اختلف أهالى فيروزكوه مع الملك مبارز الدين سبزوارى، وثاروا عليه، فصعد مبارز الدين إلى القلعة مضطرا، وكانت تلك القلعة تقع فى الشمال الشرقى للمدينة على رأس جبل عال وشامخ. وفى عهد سلاطين الغور لم يكن فى ذلك الموضع أكثر من قصر كبير يتعذر سير الدواب إليه.

ولكن فى هذا العهد، كان الملك مبارز الدين سبزوارى قد عمر تلك القلعة، وأقام حصنا فوق قمة ذلك الجبل، ومهد الطريق بحيث كانت الإبل المحملة بالأحمال تسلكه فى طريقها إلى القلعة، وبذلك أمكن أن يقيم بها آلاف من الرجال.

وحينما وقع الخلاف بين أهل مدينة فيروزكوه وبين الملك مبارز الدين سبزوارى، صعد مبارز الدين إلى القلعة، فكتب أهل المدينة رسالة إلى الملك قطب الدين حسن (طاب ثراه) واستدعوه للمجىء، فرحل الملك قطب الدين مع

جيش الغور فى فيروزكوه، ونصب ابن عمه (الملك عماد الدين زنگى بعلى) على فيروزكوه. وكان هذا الأمر فى شهر سنة ثمانى عشرة وستمائة.

وحينما جاء جيش الكفار من غزنين مع أكتاى متجهين إلى الغور، هاجموا جيش فيروزكوه فجأة، وقتلوا الملك عماد الدين زنگى فى شهر سنة تسع عشرة وستمائة، وقضوا على أهالى المدينة، فخرج مبارز الدين سبزوارى من القلعة، وذهب إلى هراة، حيث استشهد هناك، وصارت مدينة فيروزكوه كلها خرابا.

أما قلعة توك فقد كان الملك مبارز الدين حبشى نيزه ور ملكا عليها من قبل السلطان محمد خوارزم شاه (طاب ثراه) فهى قلعة معلقة لاتتصل بأى جبل، سم بناؤها فى عهد منوچهر، وكانت ملكا لآرش قاذف السهام، ويوجد فوق هذه القلعة منازل بين الأحجار الصلدة تسمى المنازل الآرشية، وكان الأمير نصر التولى قد أوصل الماء عن طريق بئر إلى تلك القلعة، وكانت البئر بمقدار عشرين فى عشرين ذراعا فى حجر صلد، لا يقل ماؤها أبدا ولا تتصل بمعبر. وقلعة توك قلعة محكمة جدا تقع بين غور وخراسان.

وحينما جاء السلطان إلى باب بلخ، عاد حبشى نيزه ور مع جيش توك إلى بلخ، والتحق بخدمة البلاط العالى، وصدر إليه الأمر بأن يعود إلى توك ويرتب أمر القلعة، ويستعد لحرب المغول.

وبعد أن عاد فى أوائل سنة سبع عشرة وستمائة، جاء فرسان المغول عدة مرات إلى شمال القلعة، وطافوا فى أنحائها، وفى شهر سنة ثمانى عشرة وستمائة قدم فيقونوين صهر چنگيزخان إلى قلعة توك ومعه أربعون ألف فارس مغولى وقوات أخرى من الجيش.

وقد قبل حبشى نيزه ور دفع الخراج للمغول، ونزل من القلعة، وقدم لفيقونوين فروض الطاعة، وعاد حبشى إلى القلعة وفرض على أهل تولك ذلك المال الذى كان قد تعهد به، وجمعه بعنف.

وكان حبشى نيزه ور هذا فى شبابه وأول عهد السلطان محمد خوارزم شاه رجلا فريدا، وكان من نيسابور ويعمل إسكافيا، ولم يكن هناك رامى رمح مثله فى خراسان وخوارزم، وقد سمع منه مرات كثيرة هذا القول: "لونت على ظهري فوق الأرض وأمسكت بعصا فى يدي، فإني أستطيع أن أدفع عن نفسي أربعة رجال من حملة الحراب".

وخلاصة القول أنه كان رجلا عظيما ونبيلا، له خيرات كثيرة وصدقات لا حصر لها، إلا أن أهل تولك قد غضبوا عليه فى ذلك الوقت بسبب عنفه فى جمع الأموال، ورأوا فى المطالبة بها إجحافا بهم، وقد نظم واحد من الأفاضل فى ذلك الوقت شعرا نذكره لطرافته، وحتى يقرأه ملك الإسلام، ويدعوا لأهالى بلاد تولك. يقول الخواجه الإمام جمال الدين الخازنجى رحمة الله عليه:

قلت يا حبشى نيزه ور! ما هذا الخسران؟

ولماذا هذا التعذيب والحبس لأهالى تولك؟

قال أنا إسكافى وكلب فيقو

والكلب والإسكافى يعلمان ما يوجد داخل الجراب.

رحم الله الماضين منهم، وأدام الدولة السلطانية.

وحينما اتفق أهل تولك من الجنود والرعايا على استرداد القلعة من حبشى، ثاروا عليه، وأسروه وسلموه هو وقلعة تولك للملك قطب الدين حتى يعتقله، فجاء الملك قطب الدين إلى تلك القلعة وعين ابنه الملك تاج الدين محمد حاكما لها.

وكان خال هذا الكاتب منهاج بن سراج واسمه القاضى جلال الدين مجد الملك أحمد عثمان حاكما على نيسابور، وكان خواجه وصاحب نفوذ. وحينما وقع حبشى نيزه ور فى يد الملك قطب الدين حبسه فترة. وفى النهاية سمح له بالذهاب إلى قلعة فيوار، وهناك قبض عليه ملك القلعة أصيل الدين النيسابورى وقتله.

وبعد أن سقطت قلعة كاليون فى أيدي الكفار، اتفق خمسة عشر قائدا من أهل قلعة تولك، وكان أهل القلعة جميعا من أقارب الخواجه جلال الدين، وقتلوه فى شهور سنة سبع عشرة وستمائة، وأعادوا ابن الملك قطب الدين إلى والده، وجاهدوا الكفار ببسالة مدة أربع سنوات.

وكان هذا الكاتب وهو منهاج بن سراج مشتركا مع أهل تولك فى الجهاد طوال الأربع سنوات هذه، وكانوا جميعا أقرباء وأخوة. وفى النهاية نجا من أيدي الكفار. وحينما عصى أهل تولك الملك قطب الدين، اتجه الملك قطب الدين إلى الهند فى سنة عشرين وستمائة، وبقيت قلعة تولك سالمة.

وبعد ذلك سافر الكاتب حاملا رسائل إلى قهستان مرتين، المرة الأولى كانت فى سنة إحدى وعشرين وستمائة والمرة الثانية فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة. ثم ذهب فى شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة إلى الملك تاج الدين يnaltingin من قبل الملك ركن الدين خيسار، وذهب فى هذه السنة أيضا برسالة من قبل تاج الدين إلى ملك قهستان فى ناحية نيه بسيستان، وبعد ذلك قدم إلى أنحاء الهند.

وجاء تاج الدين يnaltingin إلى تولك، فقدم له أهل القلعة فروض الطاعة، وصحبهم إلى سيستان، واستشهدوا جميعا فى حادثة سيستان، والقوم الذين ظلوا هناك هم أبناء أمير تولك هزبر الدين محمد بن مبارك الذى توجه إلى كيك خان، ولا زالوا يحكمون تلك القلعة حتى اليوم والسلام.

ذكر حوادث قلعة سيفرود

قلعة سيفرود بغور هي أقوى قلاع الجبال، وكان السلطان بهاء الدين محمد ابن سام بن حسين والد السلطانين غياث الدين ومعر الدين (طاب ثراهما) قد بنى تلك القلعة.

وحينما ذهب السلطان محمد خوارزم شاه من بلخ إلى مازندران، أمر بأن يعمر الملك قطب الدين تلك القلعة، وكان الوقت ضيقا، فلم يستطع أن يبنى أكثر من حوض واحد فوق القلعة.

وبعد هذا بشهرين، حدث أن جاء (وبأمر الله) جيش المغول، فلم يبق مجال للبناء، فجمع في ذلك الحوض ماء يكفي مدة أربعين يوما لأهل القلعة. وبدأ جيش المغول في مهاجمة أنحاء غور، ووقعت ماشية الغور كلها من جميع الأنواع في أيدي الكفار، واستشهد من أهل غور ما يساوي نسبة أربعة دوانق^(٢٤) من الدرهم.

وقد التجأ الملك قطب الدين مع جيشه إلى تلك القلعة، وتوجه منكوته نوين وقراجه نوين والبرنوين بجيوش جرارة إلى هناك. وحينما علم المغول أن أهل القلعة عندهم ماء قليل، أقاموا معسكرهم أمام قلعة سيفرود، وبدأوا الحرب، وقد حاربوا تلك القلعة بعنف مدة خمسين يوما، فاستشهد من الجانبين مسلمون كثيرون، كما ذهب العديد من الكفار إلى الجحيم.

وكان في القلعة ماشية كثيرة، فذبحوا ما يكفي لعمل لحم مجفف، ونفق الباقي (الذي كان يقدر بأربعة وعشرين ألف وأربعمائة رأس ونيف) نتيجة لعدم وجود الماء، وألقوا بها جميعا من سور القلعة فوق الأرض أسفل القلعة، فغطت وجه القلعة القائمة فوق الجبل تماما، بمسافة أربعين ذراعا من الحيوانات الميتة، بحيث لم يكن يظهر ذراع واحد من الجبل.

ثم صدر الأمر إلى أهل القلعة بأن يعينوا لهم قدرا من الماء والمؤونة كل يوم: فكان للرجل الواحد ما يساوى نصف من من الماء وستة عشر رطلا من الطعام، وكان مقرر الملك منا واحدا من الماء، نصفه للشرب ونصفه للوضوء، ولم يبق فى القلعة أى حصان إلا جواد الملك الخاص، فكان يتم جمع ماء وضوء الملك فى طشت أمام الحصان حتى يشربه.

وحينما انتهت مدة الخمسين يوما، أعلنت الجماعة التى كانت قد عينت لحراسة حوض الماء، بأنه لم يبق فى الحوض من الماء أكثر من مؤونة يوم واحد، فخرج شخص من القلعة وأخبر جيش المغول بهذا الوضع.

وحينما شاهد الملك قطب الدين هذا الوضع، جمع رجال القلعة لصلاة العصر، وأمرهم بأن يقتلوا كل الأطفال والنساء بأيديهم فى صباح الغد، وأن يفتحوا باب القلعة ويختفوا فى أنحائها الداخلية بسيوفهم المسلولة، حتى إذا ما دخل الكفار القلعة، يهاجمونهم بقلب واحد، ويوجهون إليهم سيوفهم، ويتلقون الضربات، حتى يستشهدوا جميعا.

فتعاهد الجميع على هذا الأمر، واستسلموا للشهادة، واستقر هذا الأمر فى نفوسهم جميعا، وصار الواحد منهم يودع الآخر.

وعند صلاة المغرب، فتح الحق تعالى وتقدس باب الرحمة، وأرسل السحب بكمال كرمه حتى منتصف الليل، فأمطرت أمطار الرحمة ونزل الجليد على أسطح الجبال وأنحائها وأطرافها، بحيث كان يصدر من جيش الكفار ومجاهدى القلعة مائة ألف صيحة وبكاء من التعجب بسبب عناية البارئ تعالى هذه.

وتناول أهل القلعة (الذين كانوا قد فقدوا الأمل من حياتهم، ويسوا من الدنيا، وتحملوا العطش مدة خمسين يوما، ولم يتناولوا شربة ماء بارد فى تلك المدة) تلجا

كثيرا من وراء الخيام والحجرات والمطابخ ، بحيث ظل الدخان يخرج من حلوقهم مع لعبهم لمدة أسبوع .

وحينما رأى جند المغول المدد الإلهي، وشاهدوا عناية الخالق تعالى، علموا أن أهل القلعة قد جمعوا ذخيرة من الماء لمدة شهر أو شهرين، حيث وصل فصل الخريف إلى نهايته، مؤكدا يقينا مجيء الشتاء وموسم نزول الجليد.

وبناء على هذا رحلوا في اليوم التالي عن حرم القلعة، وذهبوا إلى الجحيم، حتى حلول العام التالي سنة ثمانى عشرة وستمائة، حينما جاءوا مرة أخرى من خراسان وغزنيين وسيستان إلى جبال الغور.

فبعد حادثة السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه جاء فوج من جيش المغول بعتاد كامل من فرسان ورجالة وأمراء لا حصر لهم إلى ساحة قلعة سيفرود، وعسكروا وبدأوا الحرب. ولما كان الملك قطب الدين قد اغتنم الفرصة، وبنى أحواضا، وجمع غلة احتياطية وافرة، فقد قاتل المسلمون المغول ببسالة، وبذلوا جهدا كبيرا.

وكلما كان الكفار يزدون في الجد والجهد، كانت القلعة تصير أقوى، والمجاهدون أكثر شجاعة. وفي هذه المرة حارب المغول شهرين آخرين، وحاصروا القلعة، ولم يستطيعوا فتحها بأى طريقة.

بعد ذلك لجأ الكفار إلى المكر والخداع، ودخلوا من باب الصلح، وأذاعوا حديث الاتفاق، ولأن الناس كانوا قد ذاقوا مشقة الحصار مدة طويلة، فقد رضوا بالصلح طمعا في الذهب والأثواب والماشية الرخيصة، وكان الملك قطب الدين يحذر الناس كثيرا من الصلح مع الكفار، ولكن الناس بسبب عجزهم ولأن الموت كان قد حصد البعض منهم، فلم يكن لذلك التحذير أى جدوى لديهم.

وفى النهاية تم الصلح على أن يأتى أهل القلعة لمدة ثلاثة أيام وسط المعسكر، ويحضروا البضاعة التى لديهم ويبيعوها، ويأخذوا ثمنها ذهباً وفضة، وأن يشتروا ويبيعوا كل ما يجب من ماشية وأثواب وفراء.

وبعد ثلاثة أيام رحل جيش المغول من أمام القلعة عندما تقرر الصلح، وحمل أهل القلعة البضاعة التى لديهم كلها إلى معسكر الملاحين، وتم البيع والشراء مدة يومين حسب الاتفاق، ولم يضايق أى واحد من المغول الكافرين وغيرهم شخصاً قط.

ولما أقبلت الليلة الثالثة اختفى رجال الكفار المسلحين تحت الأحجار والأثواب وسروج الدواب وفى المضايق القديمة. وحينما حل صباح اليوم الثالث، نزل الناس واختلطوا معهم وسط المعسكر.

وفجأة دقت الطبول وارتفعت الصيحات، وأمسك كل مغولى كافر ومرتد بالمسلم الذى كان يبيع ويشترى معه وقتله، إلا من وهبه الله تعالى الحياة، وكل شخص كان يظهر سلاحاً أخرجوا، كانوا يجردونه من سلاحه أو لا ثم يقتلونه .

وفى هذا الصدد توجد عبرة وحديث للمتأملين والقراء وهى: أنه كان هناك قائد نيسابورى، يسمى فخر الدين محمد أرزير وكان مقاتلاً ممتازاً وشجاعاً، ومن جملة خدم حبشى نيزه ور، وحدث أن جاء فى ذلك الوقت إلى قلعة سيفرود لخدمة الملك قطب الدين، وكان من بين الذين ذهبوا وسط جيش المغول، ليشتروا ويبيعوا، وكان يحتفظ بخنجر فى ساق حذائه، وحينما أراد المغولى الذى كان يتعامل معه أن يمسك به، أمسك فخر الدين بالخنجر، وسحبه من ساق الحذاء، فكف ذلك المغولى يده عنه، ومضى فخر الدين إلى الجبل، وعاد سالماً إلى القلعة.

والعبرة من إيراد هذه الحادثة هي أنه يجب على الرجل في جميع الأحوال ألا يغفل أمر حراسة نفسه، خاصة في الموضع الذي يحدث فيه خصما أو يجالس عدوا، فعليه أن يحافظ على حزمه، فلا يأتي لأمر بدون سلاح، ثم يتوقف الأمر على عصمة الله تعالى لمن يشمل به حفظه.

وقد روى الثقات: أن مائتين وثمانين رجلا معروفًا من القواد المقاتلين أسروا على يد كفار المغول، وهكذا أصابت عين السوء أهل الإسلام بسبب الغفلة فلم يكن هناك أي منزل ليس به ماتم.

وبعد أن وقعت هذه الحادثة أرسل قواد المغول رسلا إلى قطب الدين، وقالوا له ليعد رجالك مرة ثانية إلى الشراء، فلم يوافق الملك قطب الدين.

وفى اليوم التالي وحينما علم المغول أن هذا الغدر لن يؤثر في أهل القلعة قيدوا جملة أسرى المسلمين في مجموعات، وأخذوا يقتلونهم عشرات عشرات وخمس عشرات بضرب السيوف وقذف الأحجار وطعن الخناجر، حتى قتلوهم جميعا رضى الله عنهم.

وفى اليوم الثانى استعد أهل القلعة للحرب، وكان الملك قطب الدين قد أمر فى الليلة السابقة برفع كل الأحجار الثقيلة حول التراب المحيط بالقلعة على وجه الجبل وفعل هذا بحيث تنزلق الأحجار وتتخرج من مكانها بأقل حركة.

وكانوا قد سحبوا ما يزيد عن مائة حجر طاحونة ورحى فوق الأخشاب الثقيلة، على رأس كل لوح خشب رحى منزلية، وربطوا تلك الأخشاب بحبال فى فتحات القلعة، وقسم جميع أهل القلعة إلى قسمين: نصف على قمة الحصن يخفى خلف الفتحات، ونصف خارج القلعة تحت السور خلف الأحجار، وكان قد أمر بالآ تدق الطبول وألا يظهر أى شخص نفسه، فاستعدوا على هذا الأساس.

وفى الفجر توجه جيش الكفار دفعة واحدة من صغير وكبير من المغول الكفار المرتدين وهم بكامل أسلحتهم من المعسكر إلى القلعة، ولما كان الذين صعدوا يزيدون عن عشرة آلاف عليهم دروع من جلد الثيران، فقد أعطاهم المسلمون الفرصة لأن يتقدموا إلى القلعة ما يزيد عن مسافة رمية سهمين، ولم يظهر أى شخص من المسلمين.

ولما أصبحت المسافة بين الكفار والمسلمين من الأرض حتى الجبل حوالى مائة ذراع دقت الطبول من فوق القلعة، وصاح المجاهدون والمقاتلون والجنود والقواد، وقطعوا الأحجار وأيادى الطواحين المربوطة على الخشب بالحبال ودحرجوها.

وبهذا أراد الحق تعالى ألا ينجو أى شخص من جملة جيش الكفار، إما بالقتل أو الجرح، فتساقط المغول والكفرة كلهم بعضهم على بعض من فوق القلعة حتى أسفلها، وقتل كثيرون من أكابر قواد المغول وأبطالهم، ونهض الباقون، ونقلوهم من أمام القلعة.

كان هذا النصر بفضل الحق تعالى ووعدته فى الآية الكريمة ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢٥). وفى يوم الخميس سنة عشرين وستمائة ويوم الأحد الثانى عشر من الشهر المذكور، فتحو الكمين من قلعة توك، وحاربوا بضراوة، وفى ذلك اليوم قتل كثيرون من الكفار أسفل توك وانسحبوا.

وعندما عاد كفار المغول من خراسان، وخلت جبال الغور وخراسان من تلك الجماعة، سافر الملك قطب الدين إلى الهند مع ملوك الغور الآخرين ومع أتباعهم، كما كان يرافقه الملك سراج الدين عمر خروش من ولاية حار والملك سيف الدين.

وفى ذلك العام وبسبب القضاء الربانى توجه فوج من جيش كفار المغول للهجوم على خراسان، وكان على رأس ذلك الجيش مغولى عظيم اسمه " قزل منجق"، فدخلوا خراسان وجاءوا من ناحية هراة واسفزار إلى قاعدة قلعة توك، وقتلوا وأسروا كل مسلم وجدوه فى القلعة.

ولما علم المغول بخبر ذهاب الملك قطب الدين مع ملوك الغور الآخرين وأتباعهم وجنودهم، تعقبوا جيش الغور، وأدركوا جنودهم عند شاطئ نهر أرغند، وكان الغور قد أقاموا جسرا على شاطئ هذا النهر حتى يعبر الجند والأتباع والعتاد، وفجأة لحق بهم جيش المغول، فالتجأ الملك سيف الدين بجيشه إلى سفح الجبل، فسلم من الأذى، وعاد إلى غور.

أما الملك سراج الدين عمر خروش فقد وقف للحرب واستشهد، وألقى الملك قطب الدين حسن بنفسه وبحصانه فى النهر، ونجا بحيل كثيرة، وخرج سالما مع رجال قليلين، واستشهد بقية أمراء الغور والقواد والمقاتلين والنساء، واستشهد جميع أخوة الملك قطب الدين، وبنات أخواته، ثم عاد جيش المغول من هناك وسار إلى غور وخراسان. والله أعلم.

ذكر حادثة ملوك غرجستان والقلاع الأخرى

روى الثقات: أنه حينما توجه چنگيزخان من هضبة النعمان بطالقان إلى غزنين، ترك المؤن والخزائن فى المكان نفسه؛ لأن سير العربات لم يكن ممكنا فى أعماق غرجستان ووديانها بسبب راسيات الجبال ومضايق الطرق الصعبة.

وحينما جاء جيش المغول إلى غزنين، كان مع تلك المؤونة والعربات قليل من الفرسان للحراسة، وكانت قلاع غرجستان وخراسان قريبة ، مثل قلاع: رنك وبندار وبلروان ولاغرى وسناخانه وسنگه وأشيار، وأكثر تلك القلاع عبارة عن

فتحات فوق الجبال، بحيث إن المطر يمطر على أهل القلعة، وتخرج عيون المياه من مقدمة طاقات القلعة.

وكان في قلعة أشيار أمير من أمراء غرجستان، كان فدائيا للغاية وشجاعا، وكان اسمه الأمير محمد مرغزي. ولما كان في معسكر المغول أموال كثيرة، وأسرى لآحد لهم وجياد تفوق الحصر، فقد ذهب محمد مرغزي بجيش جرار من قلعة أشيار، واستولى على عربات محملة بالذهب والنعم من هناك بقدر ما تيسر له، وأسّر كثيرين، وحرر كثيرين، واستولى على كثير من الجياد. وقد أقدم على هذا اللون من الشجاعة، وأظهر هذا الضرب من الفداء مرة واثنين.

وحينما اتجه چنگيزخان من ولاية كيرى إلى التركستان وأرسل ابنه اكناي إلى الغور، أقام اكناي بين فيروزكوه وغزني في ذلك الشتاء، وأرسل جيوشا إلى سائر الأنحاء (كما سبق ذكر ذلك) وقد عين أبكه نوئين وكان أميرا على عشرة آلاف رجل من رجال المجانيق لفتح قلعة أشيار، فجاءت تلك الجماعة أمام القلعة، والتحموا في القتال، وحاربوا مدة طويلة.

ولما رأوا أن الاستيلاء على تلك القلعة غير ممكن بسبب شدة استحكامها ورجالها الشجعان، بقوا مدة خمسة عشر شهرا. والله أعلم.

وقد ضاق الأمر على أهل القلعة بسبب قلة المؤونة، فما دامت المؤن واللحوم متوفرة صاروا يستهلكونها، فلما نفذت المؤونة، وصل الأمر بهم إلى حد أنهم كانوا يأكلون لحم كل من يقتل أويموت. وقد أدى هذا إلى أنهم كانوا يحتفظون بكل شخص يموت أو يقتل لأكل لحمه أو تجفيفه.

وقد روى البعض والعهدة على الراوى: أنه كانت في قلعة أشيار مطربة لها أم وخادمة، فلما ماتت أمها جفت لحمها، وحينما ماتت خادمتها صنعت منها قديدا

أيضا، وباعت لحم الاثنتين، بحيث إنها حصلت من هاتين الجثتين على مائتين وخمسين دينارا من الذهب الخالص، وفي النهاية ماتت هي أيضا.

وحينما انتهت مدة الخمسة عشر شهرا، تبقى من أهل القلعة ثلاثون رجلا فقبضوا على محمد مرغزي، وقتلوه، وألقوا برأسه عند معسكر المغول أملا في النجاة. فلما رأى جيش المغول ما حدث، تقدموا دفعة واحدة للحرب، واستولوا على القلعة، وقتلوا الجميع.

وفي هذه المرة فتحوا قلاع غرجستان كلها، وانتهوا من القتال بحيث فتحت جميع قلاع غرجستان في شهور سنة تسع عشرة وستمائة .

ليفتح الحق تعالى أبواب النصر والظفر لعبيد دولة السلطان ناصر الدين أبي المظفر محمد ابن السلطان بمحمد وآله .

ذكر عودة چنگيزخان إلى التركستان وذهابه إلى الجحيم

هكذا روى النقات: أنه حينما قدم چنگيزخان إلى خراسان، كان في الخامسة والخمسين من عمره، وكان رجلا طويل القامة قوى البنية ضخم الجثة طويل اللحية، وكانت لحيته بيضاء، وله عينان تشبهان عيني القط، وكان في غاية الشجاعة والذكاء والعقل والعلم والهيبة والاستعداد للقتال، كما كان عادلا ومنظما وقاهرا للعدو وشجاعا وسفاكا للدماء.

وكانت هذه الصفات واضحة لأهل العالم جميعا، فقد كانت له عدة صفات عجيبة: أولا أنه كان ينصف بالمكر والاستدراج لخصومه. ويقال إن بعض الشياطين كانت تصادقه، فكان يغيب عن الوعي كل عدة أيام، وفي ذلك الإغماء كان كل شيء يجري على لسانه.

ومؤدى هذا الأمر، أن أول ظهور لتلك الحال عليه كان حينما أخبره ذلك الشيطان المسئول عليه عن الفتوحات، فقام چنگيز بوضع الثوب والقباء اللذين كان يرتديهما ذلك اليوم فى صندوق الملابس وختمه وكان يحمله معه. وكلما كانت هذه الحال تعرض له، كان يجرى على لسانه كل ما كان يتمناه من أحداث وفتوحات وأسفار ومواجهة الأعداء وهزيمتهم، والاستيلاء على الولايات، وكان أحد الأشخاص يسجل ذلك كله ويضعه فى مظروف يتم ختمه.

وحينما كان چنگيزخان يعود إلى وعيه، كانوا يقرءون عليه ما قاله كلمة كلمة، فكان يعمل به كله، وكان أغلبه وأكثره، بل إن كله كان يتحقق .

أما الصفة الثانية: فهي أنه كان يعتقد فى علم كتف الخروف، فكان دائما يضع عظم الكتف فوق النار ويحرقه، ويقرأ علامات الكتف على نحو يخالف علماء الكتف فى بلاد العجم الذين كانوا ينظرون فى الكتف.

والصفة الثالثة هي أن چنگيزخان كان على درجة من العدل بحيث إنه لم يكن يمكن لأى شخص فى سائر الجيش أن يلتقط سوطا واقعا فى الطريق سوى صاحبه، ولم يكن هناك شخص يكذب ويسرق بين جنده، وكل سيدة كانوا يأسرونها من خراسان والعجم لا يتزوجها أى مخلوق إذا كان لها زوج، وإذا رغب كافر فى إحدى السيدات وكان لها زوج، كان يقتل زوج تلك السيدة أولا، وعندئذ تؤول إليه. ولا يمكن أن يتأتى الكذب على لسان أى شخص منهم، وهذا المعنى يتضح فى القصة الآتية:

حكاية

فى شهر سنة ثمانى عشرة وستمئة قابل كاتب هذه الطبقات منهاج بن سراج الذى كان قد عاد من تمران إلى الغور الملك حسام الدين عبد الملك فى قلعة سنكه التى تسمى خول مانى.

وهناك وفجأة عاد أخوه الملك تاج الدين حبشى عبد الملك الذى كان يلقب بملك الغور (وقد سبق ذكره) من طالقان إلى الغور بناء على إذن چنگيزخان، وقد سمعت منه هذه الحكاية:

"حينما خرجنا من عند چنگيزخان، وجلسنا فى خيمة كان اقلان جربى الذى كنت قد جئت معه حاضرا مع عدد من القواد الآخرين، وكان أكبرهم جميعا اقلان جربى.

وحدث أن أحضروا اثنين من المغول كان النوم قد غلبهما فى الليلة السابقة، حينما كانا يقومان بالحراسة، فقال اقلان جربى: "من أحضرهما من المغول؟" فرجع ذلك المغولى الذى كان قد أحضرهما قائلا: "أنا الذى أحضرتهما". قال اقلان: "ما جريمتيهما؟" قال: "كان هذان الاثنان يعتليان جواديهما، وحينما كنت أمر وأفتش على الحراس وصلت إليهما ورأيتهما نائمين، فضربت رأس جواديهما بالسوط قائلا: إنكما مذنبان بسبب نومكما! ومضيت، وأحضرتهما اليوم".

التفت اقلان إلى هذين المغوليين قائلا: "هل كنتما نائمين؟" فاعترف الاثنان قائلين: "نعم كنا نائمين". فأمر بقتل الأول وربط رأسه فى شعر الآخر والطواف به على جميع الجنود، ثم بقتل الآخر، فأدوا جميعا فروض الطاعة، وفى الحال نفذوا ذلك الأمر.

فبقيت مندهشا وقلت لأقلان جربى: " لم يكن هناك شاهد ولا حجة على هذين المغوليين ، فلماذا اعترفا وهما يعرفان أن جزاءهما سوف يكون القتل ؟ وإذا أنكرا كانا سينجوان من الموت. " قال أقلان جربى: " لماذا تتعجب ؟ على هذا النحو تسلكون أنتم الأعاجم وتكذبون فالكذب شيمتكم ، أما المغولى فلو كان لديه ألف روح تفنديه، لاختار القتل ولا يكذب، ولذلك سلط الله تعالى بلاءنا عليكم".

نعود إلى السياق التاريخي: حينما ذهب چنگيزخان إلى كبرى فى إثر الإغراقيين بعد هزيمة السلطان جلال الدين منكبرتى، ظل يقيم فى تلك القلعة الجبلية مدة ثلاثة أشهر، وكان يذهب إلى الصيد، ويحرق الكتف لمعرفة وقت غزو الهند، فلم يسمح له بالذهاب، ولم ير علامة النصر.

وكان بنوى غزو الهند، ومن ثم قد يعود إلى بلاد الصين عن طريق لكهونوتى وكامرود، ولما لم تسمح له علامات الكتف بذلك توقف، وفجأة وصل الرسل من طمغاج وتكت وأخبروه بأن أهالى بلاد الصين وطمغاج وتكت كافة قد شقوا عصا الطاعة، وأن هذه البلاد تؤشك أن تخرج من أيدى عمال المغول بسبب بعد المسافة، وبسبب هذا الخبر قلق چنگيزخان وعاد عن طريق لوب وبلاد پشت.

وحينما وصل إلى تلك البلاد، كان هناك خان فى بلاد تكت، رجل يتصف بمنتهى الشجاعة والجرأة، وكان لديه جيش جرار وعناد وعدة لا حصر لها. ونظرا لكثرة جنده وقوة أتباعه واتساع ولايته ووفور نعمه وأمواله وخزائنه كان قد لقب نفسه بتنگرى خان، وكانت جيوش المغول قد هرعت عدة مرات إلى ولايته، إلا أنها لم تستطع السيطرة عليه، ولا على ولايته، وقد حارب هذا الخان چنگيزخان عدة مرات وهزمه .

وبعد أن عاد چنگيزخان من بلاد العجم وديار الإسلام ، تشاور تنگری خان هذا مع ملوكه وأمرائه قائلا: "إن چنگيزخان قد رجع، ونحن حاربناه فى المرات

السابقة وهزمناه، والآن وقد عاد للمرة الثانية وكثر جنده، وهومتجه الآن إلى آلتون خان ملك طمغاج، فالصواب أن نصطليح معه ونوافقه، ونذهب معه إلى ولاية الخطا، ونقضى على آلتون خان".

واستقر رأيه مع الملوك على هذا، وتصالح مع چنگيزخان، وأحكم العهد والميثاق بينهما. وبعد أن اطمأن قلبه إلى هذا الصلح، جاء إلى چنگيزخان، واختلط جنده بجنود چنگيزخان، وتوجهوا إلى بلاد الصين والخطا، وكان هناك نهر اسمه قراقرم عبروه بهدف نهب ولاية الخطا.

غير أن جماعة القواد والمغول قالوا لچنگيزخان: "إن جيشنا سوف يذهب إلى الخطا، وإذا هزمننا فسينقلب جيش تنگری خان علينا أيضا، وولايتہ تقع وراء ظهرنا، وعندئذ لن يصل واحد منا سالما إلى ولايتہ، والصواب هوأنه حينما يكون تنگری خان بيننا نقلته وننتهى من أمره، حتى لا يبقى لنا عدوى الخلف، ونتجه إلى بلاد الخطا بقلب مطمئن".

فاستقر قلب چنگيزخان على هذا الرأى، وقبض على تنگری خان وأمر بقتله. وحينما أيقن تنگری خان بأنهم سوف يقتلونه قال: "أبلغوا چنگيزخان كلمة منى، وهذه الكلمة هي: إننى لم أغدر بك، وجئت إليك بناء على عهدك، وأنت تغدر بى، وتنقض هذا العهد، فاستمع إلى ما أقوله الآن: حينما تقتلنى إذا خرج منى دم لونه أبيض يشبه اللبن، فاعلم أنك سوف تموت بعدى بثلاثة أيام".

فلما أبلغوا چنگيزخان هذا الكلام ضحك وقال: "لقد جن هذا الرجل، فإنه لا يخرج أبدا دم مثل اللبن من جرح المقتول، ولم ير شخص هذا الدم الأبيض، فيجب أن يقتل بأسرع ما يمكن".

وحينما ضرب الجلاد تنگری خان بالسيف ، خرج من جرحه دم أبيض مثل اللبن ومات. وحينما وصل خبر ذلك الأمر العجيب إلى چنگيزخان الملعون قام بسرعة، وذهب إلى هناك، وحينما رأى الواقعة على تلك الحال، خفق قلبه، وخارت قواه، وفي اليوم الثالث توقف قلبه وذهب إلى الجحيم .

وكان چنگيز قد أمر أتباعه بأنه يجب عليهم أن يقتلوا كل أهل تنگری خان من رجال ونساء ومن صغار وكبار، ولا يتركوا أى شخص منهم على قيد الحياة. وقد أوصى عند موته لأكتاي بالملك، فعاد أكتاي، وقتل جميع أهالى ولاية تنگری خان.

ليبق الحق تعالى سلطان سلاطين الإسلام فى الحكم على عرش الملك. آمين يا رب العالمين.

الثالث توشى^(٢٦) بن چنگيزخان

كان توشى الابن الأكبر لچنگيزخان، وكان فى غاية الشجاعة والجرأة والرجولة والقتال، وقد وصلت عظمته إلى حد أن أباد كان بخشاه.

وفى سنة خمس عشرة وستمائة حينما كان محمد خوارزم شاه قد ذهب لنهب قبائل قدرخان بتركستان، وكان يحكمها ابن ثقتان يمك، وكان توشى (كما سبق ذكره عند الحديث عن خوارزم شاه) قد جاء أيضا من طمغاج إلى تلك الناحية، وحارب جيش خوارزم شاه يوما وليلة.

ففى ذلك الوقت حينما هزم السلطان محمد عند شاطئ جيحون وأنحاء بلخ، أرسل چنگيزخان توشى وجغتاي بجيش جرار إلى خوارزم. وحينما ذهب الجيش إلى باب خوارزم ، وبدأ الحرب، تحارب أهل خوارزم معهم لمدة أربعة أشهر وجاهدوا.

وفى النهاية استولى المغول على المدينة، وقتلوا الناس كافة ، وخرّبوا المباني كلها ما عدا مكانين: جوسق اخجك والثاني مقبرة السلطان محمد تكش.

وقد قرر البعض أنه حينما استولى المغول على مدينة خوارزم، وأحضروا الناس من المدينة إلى الصحراء، أمر بأن يفصلوا النساء عن الرجال، واحتفظوا بالنساء اللاتي يرغبن فيهن، وطلبوا من الأخريات الانقسام إلى فريقين وجردوا الجميع من ثيابهن، ووقف حولهن الأتراك المغول شاهرين سيوفهم، عندئذ قال چنگيزخان: " فلنقم النساء من كلا الفريقين بالملاكمة ، حيث تشتهر بلادن بها".

وبمثل هذه الفضيحة التحمت النساء المسلمات فى ملاكمة بعضهن البعض، وصرن جميعا يتلاكن ويتضاربن خلال فترة من اليوم، إلى أن انتهى الأمر بإعمال السيوف فيهن، واستشهدن جميعا. رضى الله عنهن.

وحينما انتهى توشى وچغتای من أمرخوارزم، اتجها إلى القبچاق والتركستان فصارا يغلبان ويأسران جنود القبچاق وقبائلهم واحدة تلو الأخرى، وأخضعوا جميع القبائل. وحينما رأى توشى (الذى كان الابن الأكبر لچنگيزخان) بيئة القبچاق وأرضها، علم أنه لا يمكن أن يكون فى كل بلاد العالم أرضا ألطف ولا هواء أطيّب، ولا ماء أجمل، ولا مروجاً ومرعى أوسع منها.

فبدأ يجول فى خاطره مخالفة والده فقال للمقربين إليه: "إن چنگيز خان قد جن فهو يقتل الكثيرين من الناس، ويقضى عليهم، ويخرب العديد من البلاد، ويبدولى أنه من الصواب أن أقتل أبى فى حلبة الصيد، وأن أتقرب إلى السلطان محمد، وأعمر هذه البلاد، وأساعد المسلمين".

وعلم أخوه چغتای بهذه الفكرة فأخبر أباه بما يعتمل فى نفس أخيه من غدر وبما يحكيه من مؤامرة، فلما علم چنگيزخان بذلك، أرسل رسله ففسوا السم لتوشى فقتل.

وكان لتوشى أربعة أبناء:

الأكبر اسمه باتو (بودو) والثاني چغتای والثالث شيبان والرابع بركا.

وقد روى الثقات: أن ولادة بركا هذا كانت فى وقت فتح بلاد الإسلام، وأنه حينما ولد، أمر أبوه توشى قائلا: "أعطوا هذا الطفل لمربية مسلمة، حتى تقطع سرته مسلمة، ويرضع لبن مسلمة كي ينشأ مسلما، فقد جعلت هذا الولد مسلما".

وإذا صدقت هذه الرواية (خفف الله عنه العذاب) فلا شك أنه ببركة هذه النية، تمسك بركا بالإسلام عندما كبر، وحتى هذا الوقت بتاريخ هذه الطبقات سنة ثمان وخمسين وستمئة، كان هذا الملك هو الباقي من أبناء توشى.

ليبق الحق تعالى سلطان الإسلام فى ارتفاع مدارج الملك سنوات طوال لا نهاية لها. آمين.

الرابع أكتای بن چنگيزخان

حينما كان چنگيزخان يحتضر، أوصى بالملك لابنه أكتای على الرغم من أن چغتای كان أكبر من أكتای، ولكن چغتای كان قاتلا وظالما. وحينما جلس أكتای على العرش، نفذ وصية چنگيزخان، وقتل جميع أهل تنكت من نساء ورجال.

ومن هناك عاد أكتای إلى التركستان، وفتح بلادها، وأرسل أفواجا من الجنود إلى أنحاء خراسان والعراق وغور وغزنین، وأقام شئون البلاد على جادة العدل، وإعداد الجيوش ورفاهية الرعية .

وكان أكتای فى حد ذاته كريما إلى أقصى حد، وطيب الخلق، وكان يحب المسلمين للغاية، ويجتهد جدا فى تعظيم أهل الإسلام ورفاهيتهم، فكان المسلمون الذين يوجدون فى بلاده مرفهى الحال، وذوى حرمة فى عهده.

وقد بنيت المساجد أثناء حكمه فى كل بلاد تتكت وطمغاج والتبت وبلاد الصين، وأوكل جميع قلاع بلاد الشرق وحصونها إلى جماعة أمراء الإسلام، وأسكن الأمراء الذين كانوا قد أسروا من إيران وتوران فى مدن التركستان وبلاد طمغاج وتتكت.

كما أمر أكتاى بأن ينادى المسلمون بكلمتى صاحب وأخ، وأمر المغول بأن يزوجوا بناتهم للمسلمين، وإذا رغب شخص فى خطبة أولادهم لا يمانعون. وقد قامت صلاة الجمعة فى كل بلاد الشرق، وسكن المسلمون فى تلك البلاد، وبنوا قصباتهم ومدنهم، وأقام كل شخص موطعا يتفق مع نسق مدينته. وقد سمعت أحاديث تدل على حب أكتاى للمسلمين نذكرها فيما يلى:

حكاية

روى الثقات: أن چغتای كان يكره المسلمين، وكان يجول فى خاطره دائما أن يريق دماءهم، ولا يترك أى واحد منهم حيا، وكان چنگيزخان قد وضع أحكاما جعل القتل فيها جزاء لارتكاب بعض الأفعال، منها السرقة والزنا والكذب والخيانة، كما يقتل كل من يأخذ لقمة فى فمه غصبا، وكل من يغتسل فى نهر صغير أو كبير، وكل من يغسل وجهه على شاطئ النهر، بحيث يعود الماء من وجهه المغسول إلى ذلك النهر.

وكل ذنب أقل من تلك الذنوب تكون عقوبة فاعله الضرب ثلاث عصى أو خمس عصى أو عشر عصى، لكن بشرط أن يخلعوا عنه ملابسه تماما، ويضربوه بالعصى بغاية الشدة والإحكام، وقد سموا هذه الأحكام يسه، وتعنى حكم وأمر باللغة المغولية.

و ذات يوم كان الأخوان أكتاي وجغتاي يسيران في طريق بالصحراء، وكان أكتاي يسير في الأمام وجغتاي خلفه على بعد ربع فرسخ، وفجأة وصل أكتاي إلى حوض ماء، ورأى مسلماً يغسل رأسه وجسمه في الحوض، فلما وقع نظر أكتاي على ذلك المسلم، التفت إلى أتباعه وقال: "وا أسفاه على ذلك المسلم المسكين، سوف يقتل الآن على يد أخي جغتاي، فما العمل؟" ثم قال: "ليس هناك كيس ذهب أوفضة مع أي شخص؟" فقدم أحد خواصه فروض الطاعة وقال: "يوجد معي كيس فضة." قال أوكتاي: "أعطه للمسلم وقل له بأن يرميه في الحوض، وحينما يصل أخي جغتاي إلى هناك، ويراه، ويسأله، يقول المسلم إن كيس الفضة قد وقع في النهر، ونزلت أبحث عنه، حتى ينجو من القتل".

وهكذا أعطى أتباعه كيس الفضة للمسلم، فألقى به في الماء ثم ألقى بنفسه. فلما وصل جغتاي إلى هناك، رأى المسلم فأمر بالقبض عليه واستجوابه قائلاً: "بما أن أحكام الخان تنص على عدم نزول أي مخلوق في النهر، فلماذا خالفت هذه الأحكام؟ لقد وجب القتل عليك؟". قال المسلم: "لقد وقع كيسي المملوء بالفضة في النهر، فنزلت في هذا الحوض للبحث عنه".

عندئذ أمر جغتاي فنزل جماعة من المغول في الماء، وبحثوا عن الكيس، فلما وجدوه مضى جغتاي إلى سبيله ونجا المسلم بتدبير ذلك الملك العادل الكريم أكتاي ولطفه (خفف الله عنه العذاب) وقد نجا بسببه كثير من المسلمين من يد ذلك الظالم الملعون جغتاي.

وقد روى جماعة من الثقات أنه لم يأت إلى الدنيا في التواريخ السابقة الأيام السالفة والقرون الماضية في بلاد التركستان وممالك الصين وتكت وطمغاج ملك أكرم ولا أحسن أخلاقاً ولا أطيب من أكتاي أبداً.

وحينما استقرت لأكتاي مملكة أبيه، واستعد الأخوة والخانات، أعد الجيوش وأرسلها إلى أنحاء الممالك، فأرسل جرماغون نوين إلى العراق في شهر سنة خمس وعشرين وستمائة، وأرسل منكوتة نوين إلى غزنين في الشهور المذكورة، كما فوض إليه طخارستان وقندز وطالقان.

أما ملوك خراسان والغور وكرمان وفارس الذين كانوا قد بقوا في القلاع والحصون، فقد ذهبوا جميعا إلى قراقرم لدى أوكتاي، وقدموا له فروض الطاعة، وعمرت أنحاء خراسان، وتوجد حكاية أخرى توضح رعاية أكتاي للمسلمين:

حكاية

هكذا روى النقات أن چغتاي الملعون كان يجد دائما في إيذاء المسلمين، وكان يخلق الأسباب كي يلحق البلاء والفناء بأهل الإسلام، ويقضى على البقية الباقية من المسلمين، ويستأصل شأفتهم، بحيث لا يبقى من المسلمين أثر في أي مكان. وكان يسعى ويجد في نشر تلك الفتنة، فكان يحث المغول والقواد الآخرين والأبطال على ذلك، كي يبلغوا أكتاي أقوالا وأفعالا عن المسلمين توجب العناء والضرر لأهل الإسلام، وتكون سببا في القضاء عليهم.

وحدث أن حرض چغتاي أحد الكهنة من البوذيين ممن يسمون باللغة التركية "توينان" فجاء إلى أكتاي وقال له:

"رأيت چنغيزخان في المنام، وحملني أمرا أبلغك إياه، ولا يليق بك أنت أكتاي ابنه وخليفته أن تهمل أمره بأى وجه من الوجوه، وأن تعدل عن هذا الدستور (الياسا)، ويجب عليك أن تدرك رضاء چنغيزخان وتفوز به وهذا الأمر هو: أن چنغيزخان قال: "لقد كثر المسلمون، وسيكون سقوط ملك المغول في النهاية على أيديهم، فيجب عليك أن تقتل الآن المسلمين كافة في كل ممالكنا من

بلاد الصين وطمغاج وتكت وتركستان حتى بلاد إيران والعجم، وألا تترك منهم اسما أو أثرا! والآن وقد أبلغت أمر چنگيزخان، وأبرأت نمتى من هذه الأمانة، فعليك الامتثال وتنفيذ الأمر ولا تهمل طوائف المسلمين، حتى لا يزول الملك."

وحينما أتم البوذى كلامه، أدرك الملك العادل العاقل العالم الذكى والمحب للمسلمين بفراسته الملكية أن هذا الكلام كذب وزور، وتصل روائح الكذب من أدائه إلى مشام الفراسة فقال: "إنه من تدبير أخى چغتای الظالم لعنه الله".

وأمر فى الحال، فأعدوا للكاهن البوذى قصرا فخما مجهزا بكل ما يحتاج إليه وبكل ما يلزمه وقال: "إن هذا الأمر خطير جدا ومخيف، إذ يوجب إراقة دماء أناس كثيرين، ولا يوجد شخص قط من الملوك والقادة والأبطال والجنود ليس عنده كثرة من أسرى المسلمين، وهم متفرقون فى أنحاء ممالك الصين وطمغاج وتركستان وإيران والعجم، وعلى أية حال يجب إبلاغ هذا الأمر للجميع ليعملوا به، فعليك أن تصبر الآن حتى يبلغ إلى سائر ممالك المغول، ويجمع القادة والجيش والأبطال والملوك الآخرون ويعلن لهم هذا الأمر الخطير، الذى يجب أن ينقاد الجميع له."

ثم أمر فأنزلوا هذا الكاهن البوذى فى المكان الذى كانوا قد خصصوه له، وكانوا لا يهتمون لحظة قط فى إعزازه وإكرامه، فقد كان هذا المجوسى اللعين ذائع الصيت فى بلاد التركستان وطمغاج والصين.

وحينما انقضت المدة المحددة، واجتمع أكابر مملكة المغول، أمر أكتاى بإعداد مجلس ملكى فخم، وطبقا لما كان معهودا لدى تلك الجماعة، ووفقا لرسومها وتقاليدها المحببة لديهم، قاموا بما يقتضيه ذلك الحفل من ترتيبات، ثم جلس أكتاى على العرش، ومثل أمام العرش عظماء الممالك القادمين جميعا فى خضوع، وركعت الجماعة المعين لها أماكن للجلوس طاعة وولاء.

ثم أمر أكتاي بإحضار ذلك الكاهن إلى البلاط بإعزاز تام، فما إن حضر وجلس أمام العرش، حتى قال أوكتاي: " إن هذا هو الوقت المناسب لكى تبلغ أمر چنگيزخان، وأن تبلغ ما أمرت به حتى يمثل له الجميع".

فنهض الكاهن، وأعلن أمر چنگيزخان على النحو الذى كان قد ادعاه، فأدى الجميع فروض الطاعة، وقالوا جميعا:

"سمعنا الأمر وأطعنا، فبماذا يأمر ملكنا أكتاي ؟ وعلى أى وجه يجب أداء هذا الأمر وكيف ينفذ ؟ حتى نلتزم به جميعا. "قال أكتاي: " يجب أن يكون لكل دعوى حجة وبرهان، حتى يظهر الصدق من الكذب، والصحة من السقم، فيلزم أن يكون لهذا القول شاهد مطلع على حقائق الأحوال، فإذا صح أن هذا الكلام هو أمر الخان فيلزم أن ينقاد الجميع له، وإن كان كذبا وزورا من ادعاء شخص أو افتراء مغرض، فإن دماء الناس والرعايا والعبيد سوف تراق دون معنى".

وحينما قال أكتاي هذا الكلام، قبل الحاضرون الأرض قائلين: "إن ما يقوله الخان فى رأي جملة عقلاء العالم وأهل التمييز والعقل لامزيد عليه؛ لأنه كلام ملكى وحديث عظيم يصدر عن كمال العقل وحنكة القيادة، ولا يمكن لأى مخلوق أن يعترض عليه، ولكن يجب أن يبين أكتاي كيف يعلم كذب هذه الدعوى أو صحتها أوفسادها؟".

عندئذ التفت أكتاي إلى ذلك الكاهن البوذى وقال: " أتعرف اللغة المغولية أم التركية أم اللغتين؟" قال الكاهن الوثنى: "أنا أعرف اللغة التركية ولا أعرف اللغة المغولية".

فالتفت أكتاي إلى كبار رجال المغول من ذوى الأصل والنسب المغولى الخالص وقال: "إنكم تعرفون يقينا أن چنگيزخان لم يكن يعرف لغة أخرى قط غير

المغولية". فقبل الجميع الأرض، وقالوا بالإجماع: "إن هذا الكلام حقيقي، فلم يكن جنغيزخان يعرف لغة أخرى غير المغولية".

ثم التفت أكتاي إلى الكاهن قائلا: "بأى لغة أبلغك جنغيزخان هذا الأمر بالمغولية أم بالتركية؟ فلو كان قد حدثك بالمغولية فكيف فهمت ما قاله، وأنت لا تعرف المغولية؟ وإن كان قد حدثك بالتركية فكيف أبلغك الأمر وهو لم يكن يعرف التركية؟ أجب بقول تفوح منه روائح الصدق حتى ينفذ".

فصمت ذلك الكاهن سيئ العقيدة الوثني الملعون وخجل بحيث إنه لم يخرج نفس من ذلك الجهنمي اللعين. وبهذا افتضح أمره وقيل لجميع الأتراك والمغول وملوك تركستان الأرض بالإجماع قائلين: "إن هذا الأمر كذب وينعدم فيه الصدق".

وفى النهاية قال أكتاي للكاهن: "لن أعاقبك احتراماً لأخى، فعد إلى مكانك وقل لجغتاي وأتباعه أن يكفوا أيديهم عن إيذاء المسلمين والتعدى عليهم؛ لأنهم أخوتنا وأصدقائنا، وقد ظهرت قوة دولتنا بهم، وخضع أهل العالم لنا بمساعدتهم". خفف الله عنه العذاب.

وقد قال بعض الثقات إن مبعث هذا اللون من الألفاظ والإكرام هو أن أكتاي كان قد أسلم في السر. والله أعلم

ذكر إرسال الجيوش إلى بلاد العراق والتركستان

حينما أرسل أكتاي الجيوش إلى ناحية العراق وخراسان، عين جرماغون نوين قائدا على رأس ذلك الجيش، فلما بلغ ذلك الجيش أطراف العراق، كان هناك ما يقدر بخمسين ألف مغولي وأجناس أخرى من عظماء التركستان وأسرى خراسان، ممن كانوا قد توجهوا إلى تلك الديار، بحيث بلغوا في شهور سنة ثلاث وعشرين وستمئة حوالى مائة ألف فارس.

وحينما وصلوا إلى تلك الديار، قتلوا كثيرين من أهالي تلك البلاد والأنحاء مما لا يتسع له المجال هنا، ونهبت بلاد العراق كلها والجبال واران وأذربيجان وغيلان وولاية رستم داري، التي تقع على أطراف بحر الخزر حتى دربندان وأذربيجان جميعها، وخربوها.

أما مدينة أصفهان فقد ظلت صامدة (كما سيجيء ذكره في موضعه) مدة خمس عشرة سنة منذ ظهور چنگيزخان المغولي وجيشه في بلاد العراق، حتى الوقت الذي فتحت فيه.

وقد مرت جيوش المغول على عقبة حلوان، ونهبوها حتى أطراف بغداد مدينة السلام. وتوجه ملوك الإسلام بجيوش العجم والترك والکرد والعرب من قبل أمير المؤمنين المستنصر بالله (طاب ثراه) عدة مرات لدفع طائفة المغول وجيوش الكفار وقاتلوا واجاهدوا الكفار جهادا كبيرا.

وكان الفتح والنصر في كل الأوقات لجيش الإسلام فلم يتيسر في ذلك العهد لجيش الكفار بلوغ أنحاء دار الخلافة وأطرافها بأى وجه من الوجوه. وأقام جرماعون الملعون وكان قائدا لكفار المغول في حدود قم وكاشان، وعجلوا بإرسال البعض إلى نواحي فارس وكرمان.

وقد سلك الأتابك أبو بكر صاحب فارس وملكها وأخوالها براق الخطائي الذي كان قد أصبح قائدا على كواشير وكرمان طريق الصلح مع جيش المغول، وقررا أن يدفعوا مبلغا معيناً يرسلانه كل عام. فاستقرت الأمور في مملكتي فارس وكرمان واستتب السلام والأمن وسلمتا من جيش كفار المغول، وخربت بقية مدن العراق وأذربيجان وطبرستان جميعا.

وفى الوقت نفسه توجهت جيوش المغول من ناحية التركستان إلى كابل وغزني وزاولستان، ولما رأى الملك سيف الدين حسن قرلغ رحمة الله عليه عدة مرات أنه لا يمكن دفع تسلط الكفار إلا بطريق الخضوع ودفع الخراج، استقبلهم خاضعا وقبل شحتهم.

كما قبل ملوك الغور وخراسان جميعا الدخول فى طاعتهم، وتوجه طائر بهادر من ناحية التركستان إلى بلاد هراة، وذهبت جيوش المغول إلى بلاد نيمروز.

وفى واقعة سيستان ونيمروز هذه، وفى شهر سنة خمس وعشرين وستمائة توجه جيش المغول إلى نيمروز للمرة الثانية فى عهد الملك تاج الدين يئالتكين الخوارزمى الذى كان قد اكتسب مكنة وقوة فى سيستان، وجهاز ذخائر وافرة، وحاصر المغول قلعة ارگ بسيستان التى تقع على الركن الشرقى والشمالى لسيستان، وأقاموا أمام تلك القلعة مدة تسعة عشر شهرا.

وعلى الرغم مما بذله كفار المغول من سعى واجتهاد، فإنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على تلك القلعة بأية صورة حتى غلب المرض والوباء على مجموعة المسلمين بالقلعة، ووصل أمر الناس إلى حد أنه كان يموت منهم مائة أومائتان من الرجال دفعة واحدة مجتمعين فى مكان واحد. حاشا للسامعين.

وقد روى النقات أنه ذات ليلة فكر أهل القلعة فى أن يقيموا كميناً فى الليل لدفع جيش المغول، وذلك بأن جلسوا فى بعض فتحات الباب الشمالى، وحينما يجىء الفجر يخرج المحاربون من البوابة الشرقية للقلعة، وينشغلون بالجهاد، وبمجرد أن يتوجه جيش المغول إلى تلك الطائفة المجاهدة، تدق الطبول فوق القلعة، وحينما يصل صوت قرع الطبول إلى الطائفة الموجودة فى الكمين،

يفتحون الكمين من البوابة الشمالية، ويدخلون منها من خلف جيش الكفار ويجاهدون وفقا للسنة.

وبناء على هذا القرار، ذهب ما يقرب من سبعمائة جندي تولى كامل السلاح من القلعة في منتصف الليل إلى تلك الناحية التي اتفقوا عليها، وتوجهوا إلى الكمين واستقروا هناك. وفي الفجر حينما أدوا الفريضة وتدرع أهل القلعة بالأسلحة، خرجوا من البوابة الشرقية، وبدأوا الجهاد.

وتوجه كفار المغول من معسكرهم إلى المسلمين المجاهدين، ودارت حرب ضروس، وحينما اختلط كل من الجيشين بطعنات السيوف والحراب والسهام، دقوا طبول القلعة مرة ومرتين لفتح الكمين وفق القرار الليلي، ولكن لم يخرج أى رجل من الكمين، ولم يظهر لتلك الطائفة أثر.

فأرسل الملك تاج الدين ينالتكين رسلا قائلا: " اذهبوا وانظروا ما سبب توقف أهل الكمين؟ فلما جاء هؤلاء الرسل إلى مكان الكمين وجدوا السبعمائة رجل جميعهم موتى، وكانوا قد أسلموا الروح للحق تعالى، ولم يكن قد بقى فيهم أى أثر للحياة. نعوذ بالله من ذلك.

أدام الحق تعالى دولة سلطان المسلمين حتى انتهاء العالم.

وقد ذكرت هذه الحكاية حتى يتضح ويبرهن لذوى النظر والرأى، كيف تظهر آثار العقوبة إذا ما حل غضب الله. نعوذ بالله من غضبه.

وقد قرر الثقات أن أعم أعراض وباء أهل أرگ بستان وأغلبها، كانت بأن يبدأ ألم فى أفواههم، وتصطك أسنانهم، وفى اليوم الثالث كانوا يلتحقون برحمة الله، وقد استمر حال وباء أهل القلعة على هذا المنوال حتى بدأت الألام فى فم إحدى نساء القلعة فجأة، وفى اليوم الثانى اصطكت أسنانها، وكان لها ابنة صغيرة نادتها

وأجلستها وقالت لها: " سوف أخضب لك الليلة يا ابنتى يديك وقدميك بيدي؛ لأن غدا هو اليوم الثالث لمرض أمك وموعد رحيلها".

وبهذه النية خضبت الأم يدي طفلتها وقدميها. وكانت السيدات معنادات إذا وضعن الحناء على يدي شخص وقدميه، أن يضعن أصبعهن على لسانهن حتى يبللنه بلعابهن، فيأخذن الحناء من مكان إلى مكان آخر.

وحينما خضبت الأم يدي طفلتها ورجليها، استسلمت للموت ونامت، وفي فجر كانت جذور أسنان تلك السيدة قد ثبتت، وزال ألم فمها تماما. وفي اليوم الثالث وجدها الجيران والمعارف سليمة، وفي اليوم الرابع صارت في صحة تامة.

فتعجب الناس، ورأوا ضرورة الاستفسار منها عن هذه الظاهرة، فسألوها قائلين: " ما سبب بقائك على قيد الحياة، وزوال علة فمك واستحكام أسنانك، وأى دواء صنعته وأى علاج قمت به؟ " فأجابت المرأة: " لم يكن عندى دواء، ولم أتناول شيئا، لقد وهبني الله الصحة. " قالوا: " العالم عالم أسباب، فما العمل الذى قمت به إذن؟"

فقصت تلك المرأة قصة تخضيب ابنتها، وذكرت بل إصبعها، ووصول أثر الحناء إلى فمها، فاتفق الجميع على أن دواء هذه العلة هو الحناء. وكان الأمر كذلك فانتشر أمر هذا الدواء فى القلعة، وانتشر هذا الحديث.

ووصل الأمر إلى حد أن كل واحد كانت العلة تظهر عليه، كان يضع الحناء فى فمه فيصبح، حتى بلغ ثمن المن من الحناء مائتين وخمسين دينارا من الذهب الأحمر، فحقق كل من كان لديه حناء مالا وفيرا من ثمنها.

وللحق تعالى ألطاف كثيرة مع عباده، ولكن لا حيلة قط للأجل، ففى النهاية أصاب سهم عين الملك تاج الدين ينالتكين، وذهبت إحدى عينيهِ، ثم زلت قدمه فجأة

من المكان الذى كان يقود منه الحرب فوق البرج، فوقع من فوق القلعة إلى أسفل، وأسر، واستشهد.

وبذلك سقطت قلعة أرگ بسيستان فى يد الكفار، فقتلوا الخلق بعد أن قتل كثيرون من الكفار (كما سبق ذكره) ومضوا إلى الجحيم.

آدام الله تعالى سلطان الإسلام على عرش الملك وخلده. آمين

ذكر توجه جيوش المغول إلى ناحية الغور وغزنيين ولاهور

حينما جلس أكتاي على العرش، أرسل الجيوش إلى ناحية الغور وغزنيين، وكان طاير بهادر قد أظهر شجاعة كبيرة على باب مدينة سيستان، فقد كان فريد عصره فى الحرب.

وحدث أن مات أحد القواد الكبار للمغول فى حرب سيستان، فأصبح طاير بهادر رئيسا وقائدا لتلك المجموعة من المغول بناء على أمر أكتاي، وحل محل ذلك المغولى الكبير الذى مضى إلى جهنم.

وحينما جاءوا من سيستان إلى خراسان، قدم إلى غزنيين القائد انبان والقائد نكودر والجيوش التى كانت فى مناطق غور وخراسان. وكانوا قبل مجيئهم قد هزموا الملك حسن قرلغ فى بنيان، وفرضوا عليه الخراج.

وعلى الرغم من محاولاتهم القضاء على الملك سيف الدين حسن قرلغ السابقة، فإنه لم يتيسر لهم ذلك إلا فى شهور سنة ست وثلاثين وستمائة، حينما هجموا بغتة على الملك سيف الدين حسن قرلغ، فتقهقر مهزوما من كرمان وغزنيين وبنيان إلى بلاد ملتان والسند.

وفى ذلك الوقت كان عرش الهند قد ازدان بالسلطنة رضية (طاب ثراها) ابنة السلطان شمس الدين (نور الله مرقدہ) ونزل الابن الأكبر للملك حسن قرلغ بدھلى، وأسندت السلطنة رضية إليه ولاية برن تعطفا. ثم انقضت مدة، وفجأة ذهب ابن الملك حسن وعاد إلى خدمة أبيه دون إذن السلطنة.

وبعد أن جاء الملك سيف الدين إلى بلاد السند، بقيت بلاد غزنين وكرمان فى يد عمال المغول، وفى شهور سنة تسع وثلاثين وستمائة، توجهت جيوش المغول وجيوش الغور إلى لاهور، ووصل طاير بهادر وهو حاكم هراة وبادغيس والقواد الآخرون من حكام بلاد الغور وغزنين وگرم سیر وتخارستان جميعا مع جيوشهم إلى شاطئ نهر السند.

وكان صاحب إقطاع ملتان هو كبيرخان إياز، وصاحب إقطاع لاهور هو الملك اختيار الدين قراقش، وكان عرش السلطنة قد آل آنذاك إلى السلطان معز الدين، وحينما وصل خبر قدوم جيوش المغول إلى ملتان، عقد كبيرخان العزم على رفع راية الجهاد، وجمع الجند، واستعد للجهاد.

وحينما وصلت أنباء احتشاد جند كبيرخان إلى معسكر المغول، قرر الكفار التوجه إلى لاهور، وجاءوا إلى باب هذه المدينة .

ولم يكن فى قلعة لاهور عدة من الذخيرة أو السلاح، كما لم يكن أهل لاهور متحدين ومتفقين ومتفاهمين. فقد كان أكثر سكان تلك المدينة من التجار الذين سافروا كثيرا شمالا إلى خراسان والتركستان فى عهد المغول، وقد حصل كل واحد منهم على وسام ومرسوم أمان من المغول إيثارا للسلامة.

وبناء على هذا لم يوافقوا الملك قراقش على الحفاظ على القلعة، ولم يساعده ولم يشاركوا فى الدفاع أو القتال، ولم يتحد جند الإسلام بسبب خوف ملوك الترك والغور من السلطان معز الدين بهرام شاه.

ولهذا السبب لم يتوجه الجيش بسرعة من دهلى لدفع المغول، واندلعت الحرب لمدة أمام باب مدينة لاهور، ووجه جيش المغول مجانيق كثيرة إلى أنحاء قلعة لاهور، وخربوا الحصون، وقام الملك قراقش، وجاهد بقدر ما تيسر له، وحينما وقف على اختلاف أهواء أهل لاهور وتفرقهم، حيث كان القاضي والعظماء يقصرون كثيرا في حراسة واجهة قلعة المدينة، أيقن الملك قراقش أن عاقبة أمره وخيمة، وأن السيطرة على المدينة أكبر من قدرته وطاقته.

فخرج مع جيشه للهجوم الليلي، وهجم على جيش الكفار، وشتت صفوفهم بحملة واحدة، واتجه إلى دهلى، وقد فقد بعض خواصه ونسائه في ذلك الهجوم، وقتل البعض، واستشهد قوم، وألقى البعض بنفسه من فوق الجياد في ظلمة الليل وضوضاء الحرب، واختفوا في الخرابات والقبور، واختفت زوجة الملك في تلك المعمة في مكان ما.

وفى اليوم التالى حينما علم أهل المدينة وجيش المغول بفرار الملك قراقش وخروجه، حزن أهالى المدينة وسكان القلعة جدا، وانتصر جيش المغول، واستولى على المدينة، ونشب القتال في كل مكان، وجاهد المسلمون كثيرا.

وكان فوجان من المسلمين قد عقدا العزم على الجهاد حتى الموت في تلك الواقعة، حيث أخذوا يعملون السيوف ويقتلون المغول حتى آخر لحظة كانت دماؤهم تتحرك فيها وتجرى في عروقهم، إلى أن نال كل من الطائفتين حظ الشهادة بعد جهاد طويل.

وكان أفسنقر (أحد المقاتلين في القلعة) حاكما على لاهور، وكان يرجح ألف رستم في قصص المبارزة والحرب هو وأتباعه. وكان المبارز الثانى الرجل النقى محمد أمير الركائب الذى كان يجاهد وفق السنة ويؤدى واجبه كما يجب فى ذلك

اليوم، بحيث كانت الروح الطاهرة لعلی المرتضى رضى الله عنه مع الأنبياء والرسل كافة ترسل الرحمة من فراديس الجنان له ولأتباعه وأبنائه رضى الله عنهم.

وحينما استولى جيش المغول على المدينة، قتلوا الناس وأسروهم، وعلى الرغم من ذلك فإن كثيرا من المغول قد مات مما لا يدخل تحت عد أو حصر، ويقدر عدد من مات منهم بين ثلاثين وأربعين ألف فارس مغولى مع ثمانين ألف حصان، بل ما يزيد على ذلك.

ولم ينج أى شخص من جيش المغول من الإصابة بجرح من سهم أو سيف أو سنان، ومات أكثر القواد والأبطال، وتبارز طائر بهادر مع أقسنقر الحارس، وجرح كل منهما الآخر بالحربة، فذهب طائر بهادر إلى الجحيم، وتهاذى أقسنقر وكان كالأسد فى رحاب الجنة: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (٢٧).

وبعد أن استولى جند المغول على مدينة لاهور خربوها ومضوا، فعاد الملك قراقش من حدود نهر بياه إليها، وكان قد ألقى فى ليلة الفرار من لاهور مالا كثيرا من الذهب الخالص وغيره فى النهر مع خزائن الملابس الملكية، وجعل على ذلك الموضع علامة تدل عليه، فعاد لأخذ تلك الأموال.

وحينما وصل إلى مدينة لاهور استعاد تلك الأموال التى لم تكن قد وقعت فى أيدي المغول. وبعد رحيل الكفار، كان الهنود والكوكهران والمجوس الأبر (٢٨) قد جاءوا إلى لاهور وأخذوا يخربونها، فأدركهم الملك قراقش، وأرسل الجميع إلى الجحيم، وقدم بالسلامة إلى بلاط الحاضرة دهلى.

نصر الله تعالى أولياء دولة سلطان سلاطين الإسلام، وقهر أعداء ملكه. آمين.

ذكر وفاة أكتاي بن چنگيزخان

روى عن السلف- رضى الله عنهم- أنه حينما يخرج الترك، ويستولى ذووالعيون الضيقة على العالم ، ويخربون بلاد العجم وممالك إيران، وعندما تصل جيوشهم إلى لاهور، يدبر أمر تلك الجماعة، وتذوى قوتهم بعد ذلك .

وفى تلك الأيام التى كان فيها كاتب هذه الطبقات منهاج بن سراج (أصلح الله حاله) فى السابعة من عمره، كان يذهب ليحفظ كلام الله عند المعلم الإمام على الغزنوى رحمة الله عليه وقد سمع منه هذه الرواية:

روت جماعة من الثقات عن الإمام جمال الدين بستاجى رحمه الله أنه كثيرا ما كان يقول وهو فى مدينة بخارى فى عهد دولة أكتاي وهو جالس على كرسي الوعظ: " اللهم اجعل جنود المغول يصلون إلى لاهور". حتى وصلوا، وقد ظهر هذا المعنى حينما فتحت لاهور فى شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وستمائة.

وفى اليوم التالى لفتح لاهور، قال جماعة من الرواة من تجار خراسان وما وراء النهر إن أكتاي قد مات ورحل عن الدنيا. وبعد موته اصطدمت قبائل المغول فيما بينها عدة مرات، ومات أغلب أكابر الملاحين، وتفرقت قبائلهم .

وذهب أبناء أخى چنگيزخان، وهم أولاد اوتگين إلى آلتون خان فى الصين، وبدأ چغتاي وأبناؤه العصيان، وقتل كثيرون منهم على أيدي بعضهم البعض (لعنهم الله وقطعهم) وكانت مدة حكم أكتاي بن چنگيزخان تسع سنوات. وحينما مات لم يجلس أحد قط على العرش من سلالة أولئك الملاحين مدة سنة ونصف، فقد كان من تقاليدهم أنه حينما يموت ملك لا يخرجون للحرب لمدة عام ونصف عام .

ويقال إن هذه المدة كانت ثلاث سنوات. وبعد أن انتهت السنة والنصف، حكمت زوجة أكتاي تركينه خاتون ممالك المغول مدة أربع سنوات. وفى هذه الفترة ظهرت منها حركات النساء الناتجة عن نقصان العقل وتغلب الأهواء.

ورأى أكابر ممالك المغول تلك الأفعال، وطالبوا بملك حازم، فألحقوها
بأكتاي، وأجلسوا ولده على العرش. لعنهم الله .

الخامس چغتای بن چنگیزخان

كان چغتای الملعون الابن الثاني لچنگیزخان ، وكان رجلا ظالما وقاتلا
سبى الأفعال. ولم يكن هناك أى شخص من قواد المغول أكثر عداوة منه للمسلمين،
وكان لا يروق لچغتای أن يذكر أى مخلوق قط المسلمين إلا بالسوء، ولم يكن من
الممكن فى سائر قبائله أن يذبح شخص شاة على الطريقة الإسلامية ، بل كانوا
يخنقونها جميعا، ولم يكن مسموحا لأى مسلم بأداء الصلاة.

وكان چغتای يحث أكتاي دائما على قتل المسلمين، وعلى محوهم تماما، ولم
يكن أى مسلم يستطيع أن يمثل أمامه. وكان چغتای أكبر من أكتاي، ولكن حينما
علم چنگیزخان بصفاته هذه وبأنه سفاك عظيم وبالغ الظلم، لم يوص له بالملك،
وأوصى به لأخيه الأصغر أكتاي.

وكانت إقامة چغتای فى مقر الوطن المغولى الأصلى، وقد جعل له
چنگیزخان نصيبا معينا من الولايات التى كانت تحت تصرفه. وكانت جيوشه فى
كل موضع فيما وراء النهر وفرغانه والتركستان.

كما أنه كان قد وشى بأخيه الأكبر توشى ، وأشاع أنه ينوى قتل أبيه
چنگیزخان أثناء الصيد. وحينما وصل ذلك إلى مسامع أبيه دس السم لابنه توشى
وقضى عليه. وظل چغتای الملعون هذا على رأس قبائله وجيوشه عدة سنوات.
وحينما حل أجله، جعل الحق تعالى مقتل أحد أوليائه على يديه، فذهب بسبب ذلك
إلى جهنم .

حكاية شيخ

روى أنه كان هناك فقير عارف صوفي باطنى من منطقة خراسان، وكان يسمى الشيخ محمود آتش خوار^(٢٩)، وكان شيخا عظيما جدا، وصوفيا مشهورا، سار فى طريق الفدائية، وأوهن نفسه فى حب الحق، وأسلم جسده للمشقة، وسار فى الحياة سائحا، فكان يطوف البلاد حتى وصل إلى مكان بين جبلين، يمر به الناس فى طريقهم من التركستان إلى بلاد الصين، وقد أقيمت بين الجبلين سدود محكمة لها حراس، ونصب عليها عيون بحيث كان كل واحد يذهب إلى الصين أويأتى منها إلى التركستان، يسألونه عن الحال هناك، ويقفون على أخبارهم منه.

وحينما وصل الشيخ محمود آتش خوار إلى ذلك المكان، رأت جماعة الحراس شخصا غريبا عن عادات الخلق، يبدوفى ظاهره كالمجنون، فأمسكوا به قائلين: "أفدائى أنت؟" قال الشيخ محمود: "نعم أنا فدائى." ومهما ألحوا عليه قائلين: "قل من تكون." قال: "أنا كما قلتكم فدائى."

فلما أصر على ذلك القول، أحضروه عند چغتای، فعرفه مسعود بيك وزير چغتای، ولكن لم يستطع أن يتحدث عن أمره وعظمته قط خوفا من چغتای. فقال چغتای الملعون للشيخ محمود: "من أنت؟" قال: "أنا فدائى." قال چغتای: "ماذا أفعل معك؟ ماذا يجب أن يفعل معك؟" قال الشيخ: "مر حتى يرموننى بالسهم كى أتحرك؛ فأمر چغتای بأن يذفوه بالسهم."

وحينما التحق الشيخ محمود برحمة الحق، وبعد عدة أيام كان چغتای فى مكان الصيد. وبينما كان يرمى سهمها صوب فريسة، ارتد إليه السهم، وأصاب ظهر ذلك الملعون، وفى الحال ذهب إلى الجحيم. وخلص ونجا خلق الله تعالى من شره، خاصة أهل الإسلام.

السادس كيك بن أكتاي عليه اللعنة

روى الثقات أنه كان لأكتاي ولدان، الأول كتن والثاني كيك. أما كتن الذي كان الأكبر، فبسبب ابتلائه بعله الفلج ولعدم صلاحيته للملك وضبط الممالك والقيادة، فقد عهد بالعرش إلى أخيه كيك.

وحينما جلس كيك للحكم، قدم له كبار رجال المغول كافة الطاعة، وأرسل الجيوش إلى أنحاء الصين وإيران والهند وخراسان والعراق، وعين منكوتة نوين قائداً على رأس جيوش طخارستان وختلان وغزني مرة أخرى. وكان منكوتة مسناً طويل القد ذا عين واحدة، وكان من جملة خواص چنگيزخان.

وحينما نزل منكوتة أرض إيران، جعل مقامه في طالقان وقندوز وولوالج. وفي شهور سنة ثلاث وأربعين وستمائة، توجه إلى بلاد السند، وأحضر جيش تلك الديار إلى أنحاء آجه وملتان.

وفي ذلك الوقت كان عرش الهند مزدانا بعظمة السلطان علاء الدين مسعود وبهائه. وكانت مدينة لاهور خربة، وكان الملك سيف الدين حسن قرلغ يحكم ملتان، وكان هند وخان مهتر مبارك الخازني، حاكماً على مدينة آجه وقلعتها، وكان قد نصب من قبله نواباً في قلعة آجه مثل الخواجه صالح الحارس.

وقد وصل منكوتة مع جيش المغول إلى شاطئ نهر السند، وترك الملك سيف الدين حسن قرلغ قلعة ملتان ومدينتها خاليتين، واستقل قارباً، وذهب إلى ديول وسندستان.

ثم جاء منكوتة إلى قلعة آجه وحاصرها، وقامت الحرب، وخرب منكوتة أطراف آجه وأنحاءها، وأظهر أهل القلعة جداً واجتهاداً كبيرين، وبذلوا أقصى ما في وسعهم للحفاظ على القلعة، وتم قتل كثيرين من المغول.

وعلى الرغم من الجهد الذى بذله جيش المغول وقادة الكفار، فإن مجاهدو القلعة قد استطاعوا المحافظة على مداخلها، حتى جاء واحد من المغول البارزين، من الموضع الذى كان قد توجه إليه، وحينما اقترب من منكوته، أخذ يلومه قائلاً: " أى قلعة وحصن هذا الذى تقضى كل هذا الوقت من أجل الاستيلاء عليه ! وتبطل طوال هذه الفترة فى السيطرة عليه، إنى أستطيع السيطرة على تلك القلعة بهجمة واحدة. "

وهكذا استعد فى تلك الليلة، وسلح الكثيرين من المغول. وعلى حين غرة، وفى نوبة الحراسة الثالثة، وكان وقت راحة حراس القلعة ورجالها، نفذ إلى منفذ لها. وكان أهل القلعة من فضل الله قد خلطوا خلف تلك الفتحة ماء مع طين كثير، وعمقوا الخنادق الموحلة بالطين بعمق يزيد على حربة. وحينما دخل قائد المغول تلك الفتحة، مفترضا أنها أرض، وقع فى ذلك الخندق الموحل وغرق. فصاح أهل القلعة، وحملوا المشاعل، وتدرعوا بالأسلحة، وارند المغول الآخرون .

وفى اليوم التالى أرسلوا أشخاصا يقولون: ردوا ذلك القائد الذى أسر بالأمس، حتى ينفذ الجيش من حول القلعة. ولما كان هذا اللعين قد ذهب إلى الجحيم، وغاص فى الماء والطين الأسود، ولم يكن رده ممكنا، فقد أنكر أهل القلعة أسره.

وخلاصة القول أن فضل الخالق تعالى قد هيا أسبابا كى يبقى مسلمو أجه بمأمن عن طائلة عدوان الكفار. وكان أحد هذه الأسباب أنه عندما جاء جيش المغول إلى أجه، رفع مسلمو القلعة الأمر إلى بلاط دار الملك دهلى (حرسها الله) لطلب العون، فجمع السلطان علاء الدين عليه الرحمة والمغفرة جيش الهند بمساعدة ألغ خان الأعظم وجهده، وسار إلى الشمال عازما على رد جيش المغول .

وكان كاتب هذه الكلمات منهاج بن سراج فى خدمة الركاب الأعلى فى ذلك السفر والجهاد. وحينما وصلت الرايات العليا إلى نهر بياه (السند) توجه إلى أجه على شاطئ هذا النهر، كما سبق ذكر ذلك وتحريره.

وحينما علم جيش المغول بمجىء جيش الإسلام، وصلت طليعة الغزاة بالقرب من تلك البلاد، ولم تر فى نفسها القدرة على المقاومة، فعادوا من أمام قلعة أجه دون تحقيق هدفهم، وذهبوا، وبقيت هذه القلعة فى سلام من شر الملاحين، بفضل جيش الإسلام والعناية الربانية. والحمد لله على ذلك .

ذكر كرامة الإسلام

روى الثقات أنه حينما اكتسب كيك قوة فى الملك، وأهلك أبناء أعمامه الذين كانوا أبناء جغتای، وانقاد له قواد المغول وأبطالهم كافة، أرسل جيوشا لاحتصر لها إلى الصين مرات عديدة، وتحققت له انتصارات فى تلك البلاد .

ولكن تسلطت على كيك جماعة كبيرة من كفار الصين ووثى تنكبت وطمعاج، ممن كانوا يدعون " توينان ". وكانت تلك الجماعة تجد دائما فى إلحاق الأذى بالمسلمين، وتثير دائما ما يضر أهل الإسلام، كى يقتلعوا أساس الإسلام من الجذور، ويستأصلوا شأفة المسلمين، ويمحوا اسم المؤمنين وأثرهم من صحائف تلك البلاد.

وحدث أن جاء إلى كيك واحد من هؤلاء الكهنة البوذيين، وكان له صيت ذائع فى بلاد الصين والتركستان وقال له: " إذا أردت أن يبقى لك عرش الملك وجيش المغول، فعليك بأحد أمرين: إما أن تقتل المسلمين كافة، أو أن توقف توالدهم وتناسلهم."

وظل مدة يحث كيك على هذا الأمر، ويغريه بهذا الفساد، ويظهر كثيرا من لطائف الحيل. ولم يكن من الميسور قتل المسلمين كافة لكثرتهم في بلاد الصين والتركستان وتكت، لذا فقد رأى أن يكون الأصوب إصدار الأمر بجعل جميع المسلمين خصيانا وحجبهم عن النساء، حتى ينقطع نسلهم، وتسلم مملكة المغول من خروجهم وفسادهم .

وحينما استقر هذا العدوان وكمن ذلك الظلم في فكر كيك على هذا النحو، واستراح لهذا الأمر، أمر بإصدار مرسوم بذلك إلى جميع أنحاء ممالك المغول، من أقصى جين وماجين حتى أقصى بلاد العجم والعراق والروم والشام وبأن ينقاد جميع قواد المغول المهيمنين على أنحاء الممالك لهذا الأمر على النحو المذكور وأن يمثلوا له.

وبعد أن كتب هذا المرسوم أحضر إلى كيك، فختمه بالشنكراف (اللون الأحمر) الذي يسمى طمغاج باللغة التركية، ثم أعطى المرسوم لذلك القائد المغولي قائلاً: "أبلغ هذا المرسوم إلى جميع الممالك بنفسك، وجد في هذا الأمر إلى أقصى مدى".

وبينما كان هذا الملعون الحقيير يخرج من بلاط كيك ممسكا بالمرسوم في يديه بفرح واستعلاء كامل، كان الكلب الذي يقيم دائما على أعتاب البلاط وحول العرش وحول مركب كيك الخاص وموكبه الخصوصي، ويحمل الخاتم الملكي لكيك على طوق ذهبي مرصع حول رقبتة، ويفضل ألف أسد من أسود العرين، وألف فهد من خيرة الفهود في جرأته وهجمته في البلاط حين خروج ذلك القائد المغولي.

فأمسك بالكاهن كما يمسك الذئب بالشاة ، وكما تمسك النار بالقطن، وطرحه أرضاً، وفي اللحظة نفسها انتزع بأسنانه خصية ذلك الحقير من جذورها، فقضى عليه في الحال بقوة سماوية وتأيد رباني، فظهر في حق ذلك الخسيس سييء الفعال الملعون أثر حديث دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي كان قد قاله في حق ابن أبي لهب: "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك".

وهكذا منح الله تعالى مثل هذه الكرامة لدين الإسلام ويمن الملة الحنيفية ، وذلك الإعجاز لدولة الأمة المحمدية وأتباع السنة الأحمدية، حتى سلموا من شر هؤلاء الملاحين في عصمة الباري تعالى.

وحينما شاهد كيك والكهنة البوذيون والحاضرون من المغول الكفار مثل هذا البطش وتلك العقوبة تراجعوا عن تلك الفكرة الفاسدة، ورفعوا أيديهم عن أذى المسلمين ومزقوا ذلك الطمغاجي تمزيقاً. والحمد لله على نصرة الإسلام وقمع الأصنام.

فلما انقضى عام ونصف العام من حكم كيك، جرى القضاء بالأجل، ووضع كيك لقمة الموت في فم الحياة على مائدة الأجل. ونذكر هنا كيف كان ذلك:

ذكر موت كيك الملعون

هكذا روى الثقات أن جماعة القواد كانوا دائماً يغرون كيك بإيذاء المسلمين، وكانوا يحثونه على إيذاء أهل الإيمان، وكان هناك إمام في تلك البلاد من علماء أهل الإسلام، يتحلى بفتوحات علم الطريقة ، ويزدان بصنوف علم الشريعة ، ويتجمل بفنون دقائق الحقيقة، ظاهره محلى بزيينة العلم والفضل، وباطنه متصف بأنوار الصفاء والعمل، حتى صار يشار إليه بالبنان في دين الإسلام، وفي سنة

المصطفى صلى الله عليه وسلم، كان قطبا على المدار، وكان يلقب بالإمام نور الدين الخوارزمي عليه الرحمة .

وحدث أن التمس جماعة المسيحيين والقساوسة وطائفة الكهنة البوذيين الوثنيين من كيك أن يحضر إمام المسلمين هذا، حتى يناظروه ليثبت لهم رجحان الدين المحمدى ونبوة محمد وإلا وجب قتله.

وبناء على هذا الطلب تم إحضار ذلك الإمام الربانى فكانت عصمة الآية: ﴿وَاللَّهُ يَغْضِبُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢٠) تحوط دينه بحراسة الآية: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾^(٢١).

وحينما جلس الإمام فى ذلك المجلس، سأله أى شخص كان محمد ؟ وضع لنا ذلك. فقال الإمام الربانى: " محمد هو خاتم النبيين وسيد المرسلين ورسول رب العالمين، رأسه مزين بتاج ﴿لَعَمْرُكَ﴾^(٢٢)، وصدره محلى بدرع ﴿أَلَمْ تَشْرَحْ﴾^(٢٣)، موسى عاشق لمنقبتة لقوله: "اللهم اجعلنى من أمة محمد".

وعيسى مقدم كوكبته لقوله: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾^(٢٤).

فقالت تلك الجماعة من الكفار: " النبى هو من يكون روحانيا محضا، ولا يميل إلى شهوة النساء، ولا يلتفت إليها مثلما كان عيسى، وقد كان لمحمد تسع زوجات، وكثير من الأولاد، فكيف يتأتى ذلك ؟ "

قال الإمام الربانى: "كان لداود الرسول عليه السلام تسع وتسعون امرأة مصداقا للآية: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً﴾^(٢٥). وكان لسليمان صاحب المكنة ثلاثمائة وستون زوجة فى ذمته، وكانت له ألف جارية يخدمن فراشه."

فأنكرت جماعة الكفار نبوة داود وسليمان عليهما السلام من قبل التعتت
واللجاجة والمكابرة والإصرار وقالوا لقد كانوا ملكين.

وفى نهاية الأمر حينما ضعف تماما اعتراض هؤلاء الملاحين، وابتعد
الصدق عن أقوالهم، كفوا عن المعارضة، فرسموا نقش العدوان والإيذاء على
صحائف المعاملة، والتمسوا من كيك قائلين: " قل للإمام أن يؤدي ركعتين من
الصلاة على طريقة الشريعة المحمدية، حتى يظهر لنا ولك حركاته المموجة فى
أداء تلك العبادة.

فأمر كيك ذلك العالم بأن ينهض ويؤدي ركعتين لصلاة الجماعة على سنة
دينه، فنادى الإمام الربانى رضى الله عنه واحدا من المسلمين، وكان قريبا منه،
ونَهَضَ وَأَقَامَ سَنَةَ الْأَذَانِ وَإِقَامَةَ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ بِدَقَّةٍ ثُمَّ قَرَأَ آيَةَ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
لِلدِّينِ فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٢٦). من قلبه وروحه
مثل الخليل، وألحق بها تحريم الصلاة ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (٢٧).

ثم بدأ فى الصلاة وأدى أركان القيام والقراءة والركوع والسجود مع جميع
الفرائض والسنن وواجبات الصلاة. وحينما وضع رأسه للسجود، أحضر كيك عدة
أشخاص من الكفار، أخذوا يضايقون الإمام الربانى وذلك المسلم الآخر الذى كان
يتبعه فى الصلاة كثيرا أثناء السجود، ودقوا رأسيهما بقوة على الأرض، وقاموا
معهما بحركات سمجة عساهم يخرجونهما من الصلاة.

وكان الإمام الربانى والعالم الدينى يتحمل كل ذلك الاعتداء والإيذاء ويؤدي
أركان الصلاة وينفذ شروطها ، ولم يخرج من صلاته قط، فلما سلم رفع وجهه إلى
السما، وحقق شروط ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (٢٨)، ثم نهض مستأذنا
وعاد إلى منزله.

وفى تلك الليلة سلط الحق تعالى وتقدس بقدرته الكاملة وقهره الماحق
للأعداء داء على كيك، وركله بسكين الأجل. وهكذا ذهب كيك فى تلك الليلة نفسها
إلى الجحيم ، وتخلص المسلمون من ظلمه وعدوانه.

وحينما شاهد أبناء كيك ذلك البطش والقهر، اعتذروا للإمام فى اليوم التالى،
وطلبوا رضاه. رضى الله عنه وعن المؤمنين.

السابع باتو بن توشى بن چنگيزخان

ذكرنا قبل ذلك أن توشى كان الابن الأكبر لچنگيزخان. وحينما رحل توشى
عن الدنيا نتيجة لتأمره على أبيه، بقى بعده أبناء كثيرون كان أكبرهم جميعا باتووقد
أجلسه چنگيزخان مكان أبيه، وخضعت له ممالك قبائل التركستان من خوارزم
وبلغار وبرطاس وسقلا ب حتى حدود الروم كلها.

وفى تلك الديار استولى على جميع قبائل القبچاق والقنكلى ويمك والبرى
وروس وچركس وآس حتى بحر الظلمات، وكان رجلا موفور العقل ومحبا
للمسلمين ، وكان المسلمون يعيشون فى كنفه مرفهى الحال؛ حيث كانت المساجد
قائمة فى معسكره وبين قبائله، وقد توفر لها الأئمة والمؤذنون، وفى مدة ملكه
وعهد حياته لم يلحق ببلاد الإسلام أى ضرر، أو من قبل أتباعه أو من جيشه نتيجة
لأوامره، وكان لمسلمى التركستان فى ظل حمايته رفاهية كبيرة وأمن لا حد له.

وكان لباتو نصيب معين من كل ولاية دخلت تحت سلطان المغول، فنصب
عماله فى ذلك الجزء التابع له، وانقاد له جميع عظماء قواد المغول، وكانوا
ينظرون إليه مثل أبيه توشى.

وحينما توفى كيك، وذهب إلى الجحيم، اتفق الجميع على تنصيب باتوملكا
(باستثناء أبناء چغتای) والتمسوا منه أن يقبل عرش المغول وأن يجلس للحكم

بحيث يمثل الجميع لأمره، فلم يقبل باتو فأجلسوا منكو خان بن تولى بن چنگيز خان، كما سيجيء ذكره بعد ذلك.

وقد روى بعض النقات أن باتو كان قد أسلم في السر والخفاء، إلا أنه لم يظهر ذلك. وكان باتو يتق في أهل الإسلام ثقة تامة، وقد حكم مدة ثمانية وعشرين عاما تقريبا ثم مات (رحمه الله إن كان مؤمنا، وخفف عنه العذاب إن كان كافرا) وقد دفنوه طبقا لتقاليد المغول.

وكان المتبع عند هذه الطائفة أنه حينما يموت واحد منهم، يعدون موضعا في باطن الأرض بقدر منزلة ذلك الملعون الذي يكون قد ذهب إلى جهنم ومكانته، ويزينون ذلك المكان بسرير وسجادة وأوان وأموال كثيرة مع سلاحه، ويدفنون معه كل ما كان خاصا به، كما يدفنون معه في ذلك المكان بعض النساء والعبيد وأعز الأشخاص لديه، وعندئذ يردمون (لعنهم الله) سطح ذلك المكان، ويجرون الخيل فوقه، بحيث لا يبقى له أثر يدل عليه، وعادتهم هذه معروفة لدى أهل الإسلام كافة.

وقد سمعت في هذا الشأن قصة عجيبة، نوردها لتزيد إيمان القراء بأمر الآخرة. والله أعلم.

حكاية عجيبة

في سنة ثمان وأربعين وستمائة سمعت رواية من سيد صادق القول كان يسمى رشيد الدين حكيم البلخي، حينما جاء من خراسان إلى الهند للتجارة، وكان يصاحب كاتب هذه الطبقات منهاج بن سراج في سفر ملتان، حيث قدم إلى هناك ليحظى بمقابلة سلطان سلاطين الإسلام .

وقد روى هذا السيد رشيد الدين الحكيم قائلا: " إن واحدا من عظماء المغول كان لديه الكثير والعديد من الخيل والخدم والمال والحاشية، وكان قد ذهب إلى الجحيم في بلاد قراقرم المغولية.

فرتبوا مكانا في غاية الأبهة لدفن ذلك الملعون، ووضعوا السلاح والأموال الوفيرة والسجاد والأواني الكثيرة التي كانت عنده، وأعدوا تابوتا مزينا، وأرادوا أن يدفنوا معه أحب الناس إليه، فتشاوروا أي شخص يدفونه من خدمه حتى يؤنسه.

وكان هناك شاب قد وقع في أسر ذلك المجوسى حينما كان طفلا على الحدود بين ترمذ وخراسان في أوائل واقعة خراسان، وبعد أن بلغ الرشد وصار شابا ورجلا ووصل إلى مرحلة الرجولة، أصبح في غاية الشجاعة والمهارة، وصار محنكا وكفنا، حتى أصبحت جميع الشؤون العامة والخاصة لذلك الملعون تحت تصرفه، فقد كان يعتبره مثل ابنه، ولهذا السبب دخلت كل أموال ذلك المغولى ومواسيه وما كان يملكه في حوزة الشاب.

وكان كل خدم المغولى وأتباعه تحت إمرة هذا الشاب، فلم يكن أى واحد منهم يتصرف دون إذن الشاب في أى شيء يخص هذا الملعون، فأجمع الجميع في ذلك الوقت، وحزموا أمرهم على هلاك ذلك الشاب، حيث لم يكن لذلك المغولى شخص أحب إليه من ذلك الفتى، لذا وجب دفنه معه.

وكان هدفهم أن يقبضوا عليه، ويثأروا منه بسبب تسلطه، فاتفق الجميع على هذا القول، وبقي ذلك الفتى المسلم في حيرة وسط هذه الأحداث، واستسلم للموت، فلما رأى أنه لا مفر ولا مهرب إلا غياث المستغيثين بيد المتضرع في حبل أمن الآية «يَجِيبُ الْمُضْطَرُّ إِذَا دَعَا» (٣٩). فأحضر غسلا طاهرا، وارتنى ثوبا نظيفا، ودخل ذلك القبر.

وحينما ردموا المكان، اتجه الشاب المسكين إلى القبلة في ركن من ذلك المكان، وصلى ركعتين، وانشغل بذكر كلمة الشهادة، وفجأة فتحت زاوية، ودخل شخصان ذوا هيبة بحراب نارية، يفرع من منظرهما مائة ألف أسد، بحيث تسلت أشعة النار من حراهما حول التابوت المغولى، ووقع شرر من تلك الشرار النارية بمقدار رأس إبرة على وجه الشاب وحرقه وجرحه، وقال أحد هذين الشخصين: "يبدءون في هذا المكان مسلماً". فالتفت الآخر إلى الشاب قائلاً: "من أنت؟" قال الشاب: "عاجز وأسير وضعيف أسر على يد هذا المغولى". قالوا: "من أين أنت؟" قال: "من ترمذ" فوجهوا حراهما على زاوية القبر، فانشق ركن ذلك الموضع بمقدار باب فقالا لي أخرج فخرجت، ورأيت نفسى فى بلاد ترمذ بينما الطريق من قراقرم المغولية حتى ترمذ يستغرق ما يزيد على ستة أشهر".

ويقوم ذلك الشاب حتى الآن فى حدود ترمذ فى أملاكه وبين أهله، ولا يجديه أى مرهم يضعه على جرح شرارة النار تلك، ولا يزال يعاني من رشح فى موضع يماثل رأس الإبرة. سبحانه المقدر لما يشاء.

خلد الله تعالى سلطان الإسلام على عرش السلطنة والمملكة، وأدامه أمين.

الثامن منگوخان بن تولى بن چنگيزخان

روى النقات أن تولى كان الابن الأصغر لچنگيزخان، وقد خرب مدن خراسان (كما ذكر ذلك فى حوادث مدينة هراة) وكان له أربعة أبناء كان الأكبر منگوخان، والثانى هولاکو، والثالث أرق بوقا، والرابع قبلا. وحینما ذهب كيك إلى الجحيم، طالب أبناء چغتای بالملك، وكان لهم أتباع وفرسان كثيرون، ولم يوافقوا على ملك منگوخان.

وكانت بداية هذا الأمر أنه حينما مات كيك، اتجه كل عظماء المغول إلى باتو قائلين له: "يجب أن تكون أنت ملكنا؛ لأنه بعد چنغيزخان لا يوجد أى شخص أعظم منك، فالعرش والتاج والقيادة أولى بك". فأجاب باتو: "إنه لى ولأخى بركا فى هذه الناحية سلطان كبير وممالك شتى لا يتيسر ضبطها مع ضبط ممالك الصين والتركستان والعجم، وبما أن عمنا تولى الابن الأصغر لچنغيزخان قد رحل عن الدنيا فى شبابه، ولم يتمتع بالملك، فالصواب هو أن نمنح الحكم لابنه، ونجلس منگوخان على العرش، وإذا ما أجلسه أنا باتو على العرش أكون أنا القائد فى الحقيقة". فاتفق الجميع على هذا الرأى.

وحينما كانوا يجلسون منگوخان على العرش قال بركا وكان قد أسلم: "لقد انقضت دولة أهل الكفر، وأى ملك كافر يجلس على العرش لانتدوم دولته؛ فإذا رغبتم فى دوام دولة منگو واستمرارها، فلينطق منگو بالشهادة حتى يسجل اسمه فى دفتر الإسلام، وعندئذ يجلس للحكم".

فاتفقوا على هذا ونطق منگو بكلمة الشهادة^(٤٠)، عندئذ أخذ بركا بيده، وأجلسه على العرش، وقدم له كل قواد المغول فروض الطاعة، إلا أتباع چغتای وأبناءه الذين بدأوا التمرد وأظهروا العصيان، وأرادوا أن يغدروا خفية، ويهجموا فجأة على جيش منگوخان، ويقبضوا عليه ويقتلوه. فأرسلوا الرسل إلى منگوخان قائلين: "حينما تجلس على العرش، سوف نأتى طائعين للتهنئة".

وبهذه الحجة رحل الفرسان المغاوير ذوى العتاد التام والسلاح الوفير، عاقدين العزم على أن يحملوا فجأة على منگوخان، ويقبضوا عليه هو وباتو ويقهروهما، ويستولوا على الملك. ولكن العبد يدبر والله يقدر.

فقد شاء التقدير السماوى أن يضيع جمل لأحد رعاة الإبل من معسكر باتو ومنگو، فتوجه الجمال إلى الصحراء للبحث عن الجمل، وأخذ يتجول فى كل ناحية حتى وجد نفسه فجأة وسط معسكر أبناء چغتای.

فلما وقف على حال ذلك الجيش، كان يجيب كل من يسأله: "من أنت؟ ومن قوم من؟ ومن جند من أنت؟" بأن ينسب نفسه لواحد من أمرائهم؛ لأن لغة رعاة الإبل وجند چغتای لغة واحدة، حتى حل الظلام، واغتتم الجمال الفرصة، وتسلك من وسط جنود أبناء چغتای، وعاد إلى معسكره، وأخبر باتو ومنگوخان بما حدث.

وحينما وصل الخبر إلى مسامع منگوخان، أعد الجيش بعد أن احتاط للأمر تماماً، واستقبل جيش أبناء چغتای بالحرب والقنال، فقد هجم منگوخان وجيش باتو على تلك الجماعة قبل أن يصل جيشهم إليه، وقتل من جنوده ما يقرب من عشرة آلاف مغولي من القادة المشهورين والعظماء البارزين، وأعملوا السيوف واستقبلوا بها كل من كان من أتباع چغتای وجيشه، فقصوا على الجميع، واستراح خاطره، واستقر الملك لمنگوخان، واعتلى عرش الصين وبلاد التركستان.

وهكذا فعل منگو بحيث لم يبق أثر من جيش چغتای على وجه الأرض، إلا بعض أبناء چغتای الذين ذهبوا إلى الصين عند آلتون خان في طمغاج.

وبعد ذلك أرسل منگوخان الجيوش إلى قهستان التابعة للملاحدة. وفي خلال السنوات التي ذهبوا فيها إلى تلك البلاد، وعسكروا وأقاموا فيها، ضعف أهل قهستان، وعجزوا، فاستولت جيوش منگوخان على مدنها وقلاعهم، وخربوا القلاع وسقطت الملاحدة، وذكرهم على نحو ما سيأتي تحريره.

ذكر سقوط الملاحدة لعنهم الله أجمعين

كان سبب إرسال الجيوش إلى بلاد الملاحدة وقلاعهم، أنه في بداية الأمر وأوائل العهد وضع الحسن بن الصباح (لعنه الله) قواعد مذهب الملاحدة، وسن قانون ذلك الضلال، وعمر قلاع الموت ولمبسر التي كانت عاصمة الإلحاد الكبرى. وكانت تلك الجماعة (عليها لعنات الله تترى) تدعوه مولانا، وكان الحسن

قد اشترى القلعة بمبالغ باهظة من ديالمة العراق، وأحضر فيها جارية من جواريه حاملة منه، وقال للخلق إن هذا الحمل من المستنصر المصرى، وقد أحضرتها من عند الخصوم، هربا إلى هذا الموضع، وسوف يكون إمام الزمان ومهدى الأوان من نسب هذا الحمل، وردد (لعنه الله) قوله بكلمات لا طائل منها لا يقول عاقل مثلها قط، ولا يصدقها لبيب.

فلما اشترى تلك القلاع، وعمر قلعة لمبسر، أنفق أموالا دون حساب فى تعمير تلك القلعة بالخير. وهذه القلعة تقع على جبل فى أنحاء مدينة قزوين، حيث كان سكان مدينة قزوين كافة يتبعون مذهب أهل السنة والجماعة، وهم طاهروالمذهب، أصفياء العقيدة، وبسبب ضلال الباطنية والملاحدة كان القتال على حدودهم بين الطرفين، والجدال والنزاع على أشدهما .

وقد روى النقات أنه كان لجميع الخلق فى مدينة قزوين سلاح كامل وعتاد حرب معد، بحيث إنه كان لكل واحد من أهل السوق سلاح يدوى معد وحاضر فى الدكان، وكانت الحرب تنشب كل يوم بين أهل قزوين وبين ملاحدة الموت، حتى ذلك الزمن الذى كان فيه خروج چنگيزخان، واستيلاء المغول على العراق والجبال.

وقد سافر القاضى شمس الدين القزوينى وكان إماما صادقا وعالما محققا من قزوين إلى الخطا عدة مرات، وتحمل ألم مفارقة الأوطان حتى عهد الملك منگوخان، فذهب إليه للمرة الثانية بالطريقة التى يسرت له وطلب المدد، وعرض شرور الملاحدة وفسادهم فى بلاد الإسلام.

وقيل إنه نفوه فى حضور منگوخان بكلمات عنيفة بسبب قوة حميته للإسلام والدين، بحيث استولى الغضب والكبر على منگوخان؛ لأن القاضى وصف قوة ملكه وسيطرته بلفظ العجز والضعف، فقال منگوخان: "أى عجز قد شاهدته القاضى فى

بلادنا، حتى يتفوه بمثل هذه الكلمات الجافة؟ "قال القاضى شمس الدين: "ماذا يكون الحال وقد بنى جماعة من الملاحدة عدة قلاع، ودينهم على خلاف الدين المسيحى، ومغاير للدين الإسلامى والمغولى ، وهم يغرونكم بأموالهم، ويتربصون فرصة أقل وهن فى دولتكم ، لتخرج تلك الجماعة من بين الجبال والقلاع، وتقضى على بقية أهل الإسلام، بحيث لا يتركوا من الإسلام أثرا.

كان هذا الكلام باعثا ومحرضا لمنكوخان على قمع قلاع الملاحدة وبلادهم فى قهستان وألموت، فأمر بأن تتوجه جيوش التركستان التى كانت موجودة فى بلاد إيران والعجم من خراسان والعراق إلى قهستان وبلاد الموت.

وفى مدة عشر سنوات أو أكثر فتحوا جميع البلاد والقلاع، وأعملوا السيوف فى الملاحدة كافة باستثناء النساء والأطفال الصغار، وأرسلوا الباقي إلى الجحيم، فظهرت عظمة الآية: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾^(٤١).

وقد سافر هذا الداعى منهاج بن سراج كاتب هذه الطبقات ومؤلف هذه التواريخ ثلاث مرات برسائل إلى هذه الديار. وكانت المرة الأولى من قلعة تولك فى شهر إحدى وعشرين وستمائة، بعد أن كانت خراسان قد أخليت من جيش المغول، وبقيت فى شظف العيش بسبب ندرة الأتواب وقلة الحوائج الضرورية، حيث كانت قد تخلصت من وقائع الكفار.

وكان منهاج قد سافر من قلعة تولك إلى اسفزار بأمر من الملك تاج الدين حسن سالار خربوس، حتى يفتحوا طرق القوافل، ومن اسفزار إلى قاين، ومن هناك إلى قلعة سرنخت وجواشير.

وفى ذلك الوقت كان حاكم بلاد قهستان هو المحتشم شهاب منصور أبو الفتح، وقد وجدته على درجة كبيرة من المعرفة بالعلم والحكمة والفلسفة، حتى إنه لم يكن

يظهر في بلاد خراسان ند له في الفلسفة والحكمة، وكان كثير الإكرام للغرباء، كما كان يأوى ويرعى مسلمى خراسان الذين كانوا قد التجأوا إليه.

ولهذا السبب كانت مجالسه مع علماء خراسان مثل إمام العصر أفضل الدين باميانى والإمام شمس الدين خسروشاهى وعلماء خراسان الآخرين الذين كانوا قد وصلوا إليه فأعزهم جميعاً، ورحب بهم بحيث يذكر الثقاة أنه خلال عامين أو ثلاثة من العهود الأولى لخراسان، وصل إلى العلماء والغرباء ألف وسبعمائة خلعة وسبعمائة جواد من الجياد الأصيلة من خزائنه العامرة.

ولما ازدادت شفقة ذلك المحتشم، وكثرت إنعاماته على المسلمين، وطغت على دعوته، أبلغ جماعة من الملاحدة تلك القصص إلى قلعة الموت قائلين: "لقد أوشك المحتشم شهاب على أن يعطى كل أموال بيت الدعوة إلى المسلمين".

فصدر الأمر من قلعة الموت بأن يتوجه إليها شهاب، وتم إرسال المحتشم شمس الدين حسن اختيار لقيادة قهستان.

وحينما عاد داعى الدولة القاهرة من عند ذلك المحتشم شهاب، ذهب إلى مدينة تون لشراء حوائجه من الأتواب، ثم عاد من هناك إلى قاين واسفرار وتولك.

وبعد مدة سافر منهاج من تولك إلى الملك ركن الدين محمد عثمان المرغنى (طاب ثراه) فى خايسار بغور فى سنة اثنتين وعشرين وستمائة، وذهب بناء على أمر هذا الملك السعيد مرة ثانية إلى قهستان برسالة حتى يفتحوا طريق القوافل، وذهب من خايسار إلى فراه ومن هناك إلى قلعة كاه بسيستان، ومن هناك إلى قلعة كره، ومنها إلى طبس، ومنها إلى قلعة مومن آباد، ثم إلى قاين حيث رأى هناك المحتشم شمس الدين، وكان رجل حرب، وعاد من هناك إلى خايسار.

وفي شهور سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، وقرر هذا الكاتب منهاج بن سراج السفر إلى الهند، فذهب إلى فراه بإذن الملك ركن الدين محمد خيسار (طاب ثراه) ليشتري قدرا من الحرير، وحينما وصل إلى أنحاء فراه، وكان الملك تاج الدين يئالتگين الخوارزمي (الذي سبق ذكره في طبقة ملوك نيمروز) قد تولى الملك في سجستان.

وكانت قد وقعت خصومة بين تاج الدين وبين الملاحدة بسبب قلعة شهنشاه الموجودة في أنحاء مدينة "نيه"، وانهزم تاج الدين أمام جيش الملاحدة، وجاء إلى فراه، واستولى عليه الخوف، وكان يتوقع أي واحد من رجال البلاط المحيطين به أن يذهب إلى قهستان، ويعقد مصالحة ومعاهدة بينه وبين قائد قهستان المحتشم شمس الدين .

ولم يكن أحد رجال البلاط يقبل ذلك السفر، حتى أخبروه عن وصول هذا الداعي وهو منهاج بن سراج إلى أنحاء فراه ، فأرسل الراحلة والرسول ورجال البلاط لاستقبال الداعي، واستدعاه، وحينما وصل منهاج إلى حضرته، التمس تاج الدين منه ضرورة التدبر لعقد صلح، والذهاب إلى قهستان، وقال له: "سوف يصحبك في هذا الأمر ابن الملك ركن الدين خيسار، وسوف تكون أنت حامل الرسالة، وهو الوسيط."

فذهب الداعي إلى قهستان بناء على هذا الالتماس، وكان جيش الملاحدة بالقرب من مدينة "نيه". وحينما وصل إلى حدود قهستان، غير طريقه مضطرا، وذهب إلى مدينة "نيه"، وعقد ذلك الصلح بين تاج الدين يئالتگين وزعيم الملاحدة شمس الدين الملحد.

وبعد العودة من ذلك السفر، توجه الداعي إلى تاج الدين يئالتگين فقال له بوجوب الذهاب إلى قهستان مرة أخرى وطلب الحرب من الملاحدة، ولم يلب داعي الدولة السفر الثاني؛ لأنه كان قد اعتزم السفر إلى الهند، وكان يهتم جدا بهذا السفر.

فلم يقبل تاج الدين ينالتكين امتناع الداعي عن السفر، وأمر فحبسوه لمدة ثلاثة وأربعين يوما فى قلعة صفهيد ستان، حتى أرسل الملك ركن الدين خيسار طاب ثراه رسالة من بلاد الغور.

وقد نظم الداعى أيضا قصيدة يشرح فيها أحواله فى السجن، حتى نجا بفضل الله تعالى من تلك القلعة. ونذكر هنا خمسة أبيات من تلك القصيدة، حتى تكون تحت النظر المبارك لسلطان السلاطين. أدام الله سلطنته. آمين.

إلى متى يريق الفلك الأزرق دموعى البللورية

على وجهى الأصفر فيحيله إلى اللون الأحمر

تأوهى كدخان الجمار فلا غرو

إذا كنت أيتها الدموع ماء ورد يتصاعد.

سريرتى ليست سوداء، ولم أعمل سوءا

فلماذا أنا محبوس وأسير فى قلعة صفهيدى ؟

لست أنا طائر السيمرغ، وليس هذا الجبل جبل قاف

ولا يطيب وجود الببغاء فى الحبس إلى الأبد .

منهاج أفضل أن يكون طريقك المستقيم فى الفضاء الواسع

ولا يتأتى الطريق المستقيم من الاستناد إلى القلعة.

وهى قصيدة متوسطة، ونسختها الكاملة ليست موجودة، وقد اختصرت إلى

هذا القدر.

أدام الله تعالى شخص ملك العالم إلى أبعد مدى ممكن.

نعود إلى السياق التاريخي: كان في بلاد الملاحدة مائة وخمسة من الحصون والقلاع، سبعون قلعة في بلاد قهستان، وخمس وثلاثون قلعة في جبال العراق تسمى قلاع الموت. وقد طالبت مدة إقامة جيش المغول، وزاد القتل والأسر في جماعة الملاحدة، وكان لمولانا علاء الدين محمود بن جلال الدين حسن نومسلمان غلام قتل في قلعة لمبسر .

وحدث أن خرج ابن علاء الدين من تلك القلعة، والتحق بمعسكر المغول، فأخذه مع أتباعه إلى منكوخان، وصدر الأمر فقتلوه أثناء الطريق، وخرب المغول قلاع الملاحدة كلها، واستولوا على منهم، وخربوها، إلا قلعة كردكوه التي تقع بين خراسان والعراق.

وحتى هذا الوقت، وقد انتهت شهور سنة ثمان وخمسين وستمائة مضت مدة عشر سنوات، وهذه القلعة محاصرة، فقد تحصن فيها ما يقرب من مائة رجل أو مائتين، وحتى الآن لم يستول المغول عليها. دمرهم الله.

ذكر حادثة وقعت للمحتشم شمس الدين

رويت حكاية عن زاهد من زهاد الإسلام، جديرة بأن تكون تحت نظر سلطان السلاطين، حيث تدعو للاعتبار، فحينما اتفق لداعي الدولة القاهرة منهج بن سراج كاتب هذه الطبقات السفر إلى قهستان للمرة الأولى ومقابلة المحتشم شهاب الحكيم محب المسلمين: رأيت لديه زاهدا مسنا من نيسابور كان من جملة المقربين إلى محمد خوارزم شاه والدته الملكة جهان رحمهما الله، ففي عهد دولة محمد خوارزم شاه حظي هذا الزاهد بالقرب والقبول لدى السلطان والدته الملكة جهان، حيث كان يحفظ مصالح المحتشم شهاب الدين لدى عرش السلطان رعاية لحرمة، وكان يعز رسله وينجز مهماته لدى البلاط.

وحينما ظهر أمر چنگيز خان، وتفرق أهل خراسان وخوارزم، وذهب ذلك الزاهد لهذا السبب إلى قهستان عند المحتشم شهاب الدين، حظى بقرب تام بسبب ما قام به من خدمات سابقة، ورأى إعزازا وإكراما وافرين.

وحينما عزل المحتشم شهاب من قيادة قهستان، وذهب إلى قلعة الموت، وجاء المحتشم شمس الدين، لم يحظ هذا الزاهد بإعزاز من هذا المحتشم؛ لأنه لم تكن له به سابق معرفة، فأثرت غيبة المحتشم شهاب في قلب الزاهد، وأراد أن ينتقم من المحتشم شمس أداء لحق المحتشم شهاب الذي حل محله، وأن ينال الشهادة، وأن يقوم بالغزو.

وذات يوم دخل إلى بلاط المحتشم شمس، وقال له: "يجب أن اختلى بك، فعندى أسرار هامة سأقولها في الخلوة". فأخلى المحتشم بلاطه، لكن الزاهد قال: "لا آمن، فقد يحدث أثناء عرض الأسرار أن يدخل غريب، ويختل الترتيب، فلو يأمر المحتشم أن أقفل باب البلاط من الداخل ليأمن قلبي من الخوف". قال المحتشم: "صحيح يجب أن يقفل باب البلاط من الداخل". فنهض الزاهد الصادق وقفل باب البلاط من الداخل.

وجاء الزاهد أمام المحتشم وجلس، وكانت سنة ذلك المحتشم وعاداته أنه كان يحمل خنجرا فولاندا لامع النصل على ذراعه دائما، وأحيانا كان يمسكه في يديه، ثم التفت الزاهد إلى المحتشم قائلا: "أبجى الظلم على وفي مدينتك ومملكته؟ لماذا أعطوك هذا الخنجر؟ لتتفع به عن الضعفاء ظلم الظالمين وعدوانهم على الضعفاء، أعطنى الخنجر فى يدى ، حتى أرى هل هو حاد النصل أم لا ؟."

فأعطى المحتشم الخنجر للزاهد فى يديه ، متصورا أن الزاهد رجل ضعيف لن يصدر عنه اعتداء، فأمسك الزاهد الخنجر بيده، وأعمله فى المحتشم ، وضربه

عدة ضربات محكمة، بحيث أحدث عدة جروح في جسد المحتشم ، وكان فصل الشتاء، ولما كان المحتشم يرتدى ثوبين من الشعر، والزاهد شيخ ضعيف، فلم يؤثر الضرب كثيرا، ولو كان الزاهد شابا، والفصل صيفا لكان المحتشم قد ذهب إلى الجحيم بدون شك.

وقد تلقى المحتشم الضربة ، ونهض وأمسك بالزاهد. وعلى الرغم من تلك الطعنة التي أصابته أمسك به وصاح بحيث كسر جماعة الملاحدة ممن كانوا في الدهليز وفي البلاط باب مجلسه، ودخلوا وقتلوا الزاهد رضى الله عنه وأرضاه.

ثم حدثت فتنة في المدينة، وقصد الملاحدة المسلمين، ليقتلوا الفقراء منهم. إلا أن المحتشم أصدر أمرا بسرعة، فنادوا بأنه يجب ألا يؤذى أحد أى مسلم؛ لأنه لا يجب قتل المسلمين كافة نتيجة لعمل شخص واحد.

وفى أثناء تلك الفتنة استشهد إمام عظيم وعالم، كان يسمى نجم الدين سربارى الرومى لعداء كان بينه وبين أحد الملاحدة، ولم يلحق الباقيون أذى بمسلم قط.

وبعد ذلك صدر الأمر، فشنقوا الملحد الذى قتل الإمام. والفائدة من سرد هذه المعانى هو أنه يجب أن يكون الملوك دوما ذوى حزم ، وألا يكون السلاح بعيدا عنهم قط، كما لا يصح أن يكون لهم ثقة واطمئنان فى أحد. "

نعود إلى السياق التاريخي: حينما اعتلى منغوخان العرش ، منح أخاه هو لاكومملكة إيران والعجم، ونصب أخا آخر له اسمه قبلا بعد انتصاره فى العراق على رأس قبائل التركستان ، ثم أجلس أخاه أرق بوقا نائبا له فى ممالك طمغاج، وجمع هوجيشا كبيرا، وذهب إلى بلاد الصين، حتى وصل إلى موضع تزايد فيه نفوق جياد جيشه نظرا لتغير الجو والعلف، فأرسل الرسل إلى التركستان وما وراء النهر، وطلب جيادا للجيش.

وقد روى النقات أن النواب والعمال الذين كانوا فى بلاد التركستان وما وراء النهر اشتروا فى أقل من أسبوع ثمانين ألف جواد من سمرقند وبخارى، وضموها إلى ما كانوا قد اشتروه فى تركستان الشمالية، وأرسلوها إليه.

وقد ذكر أنه بعد فترة أحضر ملك الصين جيشا كبيرا، لا يدخل تحت عد ولا حصر، وفى النهاية انهزم منكوخان، وحوصر فى جبل كان محاطا من كل الأنحاء ببحر وأرض موحلة، فهلك منكوخان فى ذلك الجبل مع جنود المغول جميعا بسبب الجوع. وكانت مدة حكمه تسع سنوات.

أدام الله تعالى عصر الملك سلطان الإسلام حتى انتهاء حياة الأدميين، وخلد الخان الأعظم فى الدولة والقيادة حتى انتهاء العالم.

التاسع هولاكو بن تولى بن چنگيزخان

هولاكو أخو منكوخان وابن تولى بن چنگيزخان، وتولى هذا كان الابن الأصغر لچنگيزخان. وحينما عبر چنگيزخان نهر جيحون، وجاء إلى خراسان، أرسل تولى إلى نيسابور وهرات ومرو، فاستولى تولى على هذه البلاد جميعها وخربها .

ويروى النقات أن تولى كان شابا جميل الوجه، وقد مات بعد عودته من بلاد خراسان إلى التركستان ، وبقي عنه أربعة أبناء كما ذكرنا.

وكان منكوخان بن تولى بعد أن جلس على العرش، قد أرسل هولاكو إلى بلاد إيران والعجم، وأعطاه تلك البلاد، وأمر الجيوش التى ذهبت إلى العراق وتلك الطائفة التى كانت فى التركستان وختلان وطالقان وقندز والجيوش التى كان فى غور وخراسان وهرات وگرمسير كافة بإطاعة أوامر هولاكو .

وحينما جاء هولاء إلى خراسان اختار بادغيس مقاما له، والتحق ملوك بلاد العجم بخدمته، وكان جيش جرماغون المغولي في ناحية العراق دائم القتال والحرب مع جيش أمير المؤمنين، إلا أن المغول لم يستطيعوا الانتصار على جيش دار الخلافة. بأى وجه، وكانت الهزيمة دائما تحل بالكفار، وخاصة في الاستيلاء على مدينة أصفهان.

وقد استلزم الأمر مضي خمس عشرة سنة حتى أمكن أن تسلم مدينة أصفهان، ولولم يستشهد قاضى أصفهان، لما تيسر للكفار أخذ المدينة، فقد ظل جيش جرماغون وختيا نون يقاتل مدة خمس عشرة سنة على باب مدينة أصفهان وضواحيها، وكان أهل أصفهان خلال تلك المدة قد فتحوا أبواب المدينة بحيث لم تكن هناك بوابة مغلقة أثناء الليل، ولم يسمح مجاهدو أصفهان للمغول بالتنفذ إليها لما كانوا عليه من جلد بالغ وشجاعة فائقة، حتى أرسلت جماعة المرتدين رجلا قال لهم يجب قتل القاضى الذى قامت بحرب الدفاع عن المدينة بسببه.

فلما قتلوا القاضى، استولوا على المدينة، حتى كانت شهور سنة خمس وخمسين وثمانية، حينما جاء حامل راية أمير المؤمنين الخليفة المستعصم بالله (رضى الله عنه) إلى العراق بناء على أمر دار الخلافة، وكان اسمه سليمان شاه إيوانى التركمانى (رحمة الله عليه) وهزم جيش المغول الذى كان فى ديار أذربيجان والعراق، وأرسل مغولا كثيرين إلى الجحيم، بحيث إن تلك الجماعة من جيش المغول لم تستطع مقاومة سليمان شاه وجيش دار الخلافة، فأرسلوا الرسل إلى هولاء فى خراسان، وطلبوا منه المساعدة.

فأعد هولاء جيش خراسان من المغول وغيرهم، وقرر السفر وسار للقتال. والله أعلم بالصواب.

ذكر سقوط دار الخلافة

حينما ذهب هولوكو إلى العراق، قبل ملك الموصل وكان يسمى بدر الدين لؤلؤ (لعنه الله) الدخول في طاعة كفار المغول، وكان الأتابك أبو بكر ملك فارس قد قبل أيضا الاستسلام ودفع الخراج، وجاء الاثنان من ولايتيهما لمساعدة جيش الكفار.

واجتمعت جيوش الكفار مع هولوكو في العراق، وتوجهوا إلى بغداد، وكان لأمير المؤمنين المستعصم بالله وزير فاسد الدين ورافضى اسمه أحمد بن العلقمى، وقد وقعت بينه وبين الابن الأكبر لأمير المؤمنين وكان اسمه الأمير أبا بكر خصومة بسبب الغارة على الروافض الذين كانوا يسكنون الكرخ ومشهد الإمام موسى بن جعفر رضى الله عنهما.

وكان الأمير أبوبكر ابن أمير المؤمنين قد أغار عليهم، وقتل البعض منهم، وانتقاما لذلك خالف وزير دار الخلافة وكان رافضيا فاسد الدين أمير المؤمنين، وكتب رسائل في السر والخفاء إلى هولوكو، وتواطأ معه، واستدعى الكفار، وأرسل جيوش العراق المحتشدة من بغداد إلى الأطراف بموافقة الخليفة، وأظهر لأمير المؤمنين أنه قد عقد صلحا مع الكفار، ولا حاجة للجيش، فخلت بغداد من الجنود، وفجأة وصل جنود كفار المغول إلى أنحاء بغداد، وكانوا قد استولوا على جسر من ملك الموصل، وأقاموا الجسر جنوب بغداد، وعبروا دجلة.

وكانت تكريت قلعة في غاية الاستحكام، فخرج مجاهدوها، وأحرقوا ذلك الجسر، وفي اليوم التالي أصلح المغول الجسر مرة ثانية، وقتلوا المسلمين، وقام كل من أمير المؤمنين أبى بكر ابن الخليفة، وأمير علم دار الخلافة سليمان شاه الإيوانى التركمانى بمهاجمة الكفار عدة مرات بقيادتيهما جنبا إلى جنب، وكانا قد حاربا المغول مدة ثلاثين سنة، وقاما بغزوات عديدة وفق السنة، وهزما جيش الكفار.

وفى المرة الأولى تعقبا كفار المغول من حدود بغداد حتى أصفهان ، حيث ذهب كثيرون من جيش الكفار إلى الجحيم، وكان الأمير حامل راية الخلافة سليمان شاه الإيوائى ملكا من قبائل "أنبوه" وهى قبائل التركمان الذين كانوا على درجة كبيرة من الشجاعة والجلد والخبرة بالقتال ، وكانت لهم ميسرة أمير المؤمنين.

وفى خلال فترة ثلاثين سنة منذ وقت رحيل جرماغون إلى العراق، وحتى هذا العهد، مارس سليمان شاه القتال بما يعيد إلى الأذهان سيرة رستم بن داستان أيام الجاهلية، وعلى المرتضى رضى الله عنه فى عهد الإسلام .

ولما كان هلاكوقد انهزم أول مرة ، فقد جمع فى المرة الثانية الفرسان والرجالة من الكفار والمرتدين والأسرى من سائر أنحاء خراسان والعراق وتوجه إلى بغداد بناء على دعوة الوزير الرافضى (عليه اللعنة) الذى سمح للجيش الذى كانت بغداد مدينة السلام قد جمعته بالانصراف، فقد كان العصيان والارتداد فى طبع ذلك الملعون المدبر الرافضى .

وكان مسيحيو بغداد قد اتصلوا سرا بهولاكو أيضا، وكتبوا رسائل، واستدعوا جيوش الكفار. وقد علم ملوك الخليفة وسلاطينه بأمر خداع الوزير، فعرضوا رسالة الوزير التى كان قد كتبها إلى هولاكوالملعون على الخليفة ذات مرة، فشك فى نيّتهم.

وكان سبب ذلك أنه كان بين الوزير والسلطان مجاهد الدين أيبك رئيس الديوان نزاع وخلاف، وكان رئيس الديوان على علم بأمر خلاف الوزير وابن الخليفة الأمير أبى بكر بسبب قتل الروافض، فأوصل رئيس الديوان هذا المعنى إلى مسامع أمير المؤمنين المبارك.

وحينما علم الوزير بسعى رئيس الديوان، أظهر للخليفة أن رئيس الديوان يريد أن يبعده عن الخلافة، ويجلس الأمير أبا بكر مكانه.

وحينما علم أمير المؤمنين بسعى كل من الطرفين، لم يكن يهتم بكلام أى واحد منهما. وعندما أظهر الملوك رسائل الوزير للخليفة، التى كان قد أرسلها إلى هولاء، أجاب إن هذا مجرد وشاية أيبك رئيس الديوان، وإلا فالوزير لا يقوم بمثل تلك الأعمال.

فبئس الملوك من تلك الإجابة حتى وصل هولاء إلى ما يقرب من عشرة فراسخ من بغداد، وتشاور كل من سليمان شاه وكان أمير الراية والملك عز الدين ابن فتح الدين كرد وكان بطل دار الخلافة، وصاحب الميمنة، مع مجاهد الدين أيبك رئيس ديوان تحرير المستصرى بأن الأمر قد خرج عن السيطرة، واقترب العدو القوى، وتواطأ الوزير مع الأعداء، فيجب توضيح الأمر مرة ثانية لأمير المؤمنين، حتى يهين تدبيرا لمقاومة الكفار.

فقال مجاهد الدين أيبك: "لقد قلت للخليفة كل ما أمكننى فى هذا المجال، فلم يعر هذا الكلام اهتماما، ويبقى أن أطلب لكما الآن بمقابلة الخليفة لتعرضا عليه الأمر."

وعلى ذلك النوع عرض الملك سليمان شاه والملك عز الدين بن فتح الدين كرد على الخليفة أمر وصول العدو طلبا منه التفكير فى تدبير لمقاومة العدو وقهره". فقال الخليفة: "لقد عرضت هذا الأمر قبل ذلك على الوزير فاسأله عن ذلك".

فخرج الاثنان من بلاط الخلافة يائسين، وحصل باجونوين ومعه ثمانين ألف فارس من أنحاء إيران وأذربيجان على جسر من ملك الموصل جنوب بغداد، وأقاموا جسرا بالقرب من تكريت، وخرج مجاهد وتكريت من المدينة والقلعة وأحرقوا جسر الكفار الممدود تماما، وأرسلوا كفارا كثيرين إلى الجحيم، واستشهد قليل من المسلمين.

وفى اليوم الثانى أصلح كفار المغول الجسر مرة ثانية (كما ذكر قبل ذلك) ومضوا وعبروا، حتى أسرعوا إلى ناحية الكوفة وحلب والكرخ، وقتلوا الخلق.

وعبر الملك عز الدين بن فتح الدين كرد ومجاهد الدين رئيس الديوان دجلة بعشرين ألف فارس من بغداد، وطلبوا من جماعة سكان الكرخ والقصبات الأخرى المساعدة، وحاربوا جيش الكفار.

ولما كان لجيش الإسلام رجالة كثيرون، لذلك أظهر جيش الإسلام ثباتاً أكثر وأعاقوا تحرك جند الكفار، وحاربوهم فحلت الهزيمة بالكفار، وقتل كثيرون.

وكان رأى الملك عز الدين أنه يجب تعقب الكفار المهزومين، حتى يتم القضاء بذلك على بقية الكفار أيضاً بالسيوف، ولكن مجاهد الدين رئيس الديوان أبطأ فى تعقبهم، فحل الظلام على معسكر المسلمين وهم فى المكان نفسه.

وكان بجوار ذلك المكان، مدينة تسمى مدينة " شير " ويشقها نهر الفرات، وأرض تلك المدينة مرتفعة، بينما كان معسكر المسلمين فى منخفض.

وفى تلك الليلة أرسل الوزير الشيعى الملعون جماعة، ففتحوا ماء النهر على معسكر المسلمين، فغرق الجيش كله تحت الماء، وفسدت أسلحتهم، وعجزوا عن الحرب، وعاد الكفار فى الفجر، ونشبت الحرب، وانهزم المسلمون من شدة العوز ومشقة الليل.

وقد عبر الملوك المهزومون دجلة، وعسكروا فى بغداد، فى المكان الذى يوجد فيه جامع سنجر وقصره.

وحينما وصل جيش الملاحين إلى هناك، جاء سليمان شاه والملك عز الدين ومجاهد الدين رئيس الديوان إلى الخليفة قائلين: " إن العدو قد وصل إلى باب

المدينة، ولنا في بغداد قلة من الفرسان، وعدد الكفار يزيد على مائتي ألف، والصواب هو أن يركب أمير المؤمنين سفينة، ويضع الخزائن والنساء في سفينة بينما نجتمع نحن جميعا في سفينة في خدمة أمير المؤمنين، ونعبر دجلة إلى حدود البصرة، ونقيم في تلك الجزائر حتى يأتي نصر الحق تعالى وينهزم الكفار".

فما كان من الخليفة إلا أن قص على الوزير هذا الكلام ، فقال الوزير الملعون لأمر المؤمنين: "لقد مهدت طريق الصلح مع المغول، وليست هناك حاجة لذلك، وسوف يأتون إلى أمير المؤمنين طائعين، وإذا لم يثق في كلامي، فيجب إرسال الأمير أبي بكر لهم حتى يعلم نية هولاكو المغولي".

فاستصوب أمير المؤمنين هذا الرأي، وأرسل ابنه الأمير أبا بكر، وعلم الوزير فأرسل رسولا في السر إلى هولاكو قائلا له: " قدم للأمير أبي بكر كثيرا من مظاهر الترحيب، وأعزه وأكرمه واستقبله استقبالا حسنا ليثق الخليفة بك ويتحقق هدفك".

وحينما خرج الأمير أبو بكر ووصل إلى معسكر هولاكو، استقبله الناس كافة من كفار ومسلمين، وقدموا له فروض الطاعة.

وعندما وصل إلى بلاط هولاكو، تقدم هولاكو أربعين خطوة لاستقباله، وقام بمراسم الترحيب وأجلسه مكانه، وركع بين يدي الأمير أبي بكر احتراما وقال: "لقد جئت لتقديم الطاعة، وسأقدم الولاء، وبركا عمي كان قد أسلم على يد الشيخ سيف الدين باخرزي (ساخوري) وأنا أيضا سوف أسلم هنا، ولكن حينما سألت من هو أعظم المسلمين ؟ دلوني على الخليفة، فجئت حتى أسلم على يدي أمير المؤمنين".

وحينما قال هولاكو هذه الكلمات المعسولة، وثق الأمير أبوبكر في هذه الكلمات المسمومة، وعاد من هناك بإعزاز إلى أمير المؤمنين، فعرض عليه كل ما

شاهده وسمعه، فقال الوزير الملعون: " إن الصواب هو أن يخرج أمير المؤمنين بجلال تام في موكب الخلافة حتى يقوم هو لأكو المغولى بمراسم الاستقبال والترحيب".

ومهما حاول ملوك الإسلام (رضى الله عنهم) إقناع أمير المؤمنين بعدم الثقة في الوزير، إلا أن القضاء السماوى كان قد حل، والقدر الإلهى قد نفذ، فلم يقد بأى وجه اعتراض هؤلاء المسلمين المجاهدين (رضى الله عنهم)، وفى النهاية كان القضاء يضرب بسوط القهر مؤخرة موكب الخلافة.

فخرج أمير المؤمنين مع ألف ومائتى فارس معروف من الملوك وصدور العلماء والأكابر والتجار وعمال الدولة الأكفاء. وحينما وصل إلى معسكر هو لأكو المغولى الملعون، صحبوه مع ذلك الموكب إلى مكان حيث فرقوا الجميع بعضهم عن بعض، وهناك أسر أمير المؤمنين وأمر بأن يكتب بقلمه إلى بقية رجاله بغداد ممن كانوا قد بقوا بها حتى يأتوا، حيث أمسك هو لأكو بالجميع وقتلهم.

وتوجد عدة روايات فى موت الأمير أبى بكر ابن الخليفة. والله أعلم بأصحتها:

ففى رواية أن هو لأكو قتله مع سليمان شاه وفتح الدين كرد ومجاهد الدين أيبك الدواتدار.

ويروى البعض أنه حينما عاد الأمير أبو بكر من عند هو لأكو إلى أبيه وقت خروج أمير المؤمنين، لم يخرج معه، وذهب من بغداد إلى بادية بجانب الشام.

ويقول البعض إنه استشهد؛ لأنه قال كلمات عنيفة فى حضور هو لأكو بعد الأسر، وكانت كلماته: "لقد اعتقدنا أن لك أصلا عظيما، وأنك رجل كامل، وسوف

تكون ملكا عظيما، فوثقنا فى قولك، والآن قد اتضح أنك لست ملكا ولا رجلا، فقد غدرت والملوك والرجال لا يغدرون". فأمر هولاءكو بقتله.

ويروى البعض: أنه أمر بأن يحملوا الأمير أبا بكر مع واحد من السادة العظام إلى أنزبيجان، على أن يبقى هناك بعض الوقت، حتى يفصل هولاءكو فى أمره بعد انتهائه من أمر بغداد.

وبعد أن حملوا الأمير أبا بكر إلى هذا السيد العظيم، وقطعوا عدة مراحل إلى أنزبيجان، قال جماعة الكفار لهولاءكو: "إنك أخطأت؛ لأن الأمير أبا بكر سيصل سالما إلى أنزبيجان، وسيجتمع حوله جيوش الروم والشام والمغرب كافة، ومن المؤكد أنه سينتقم لنفسه." فأرسل هولاءكو أشخاصا فى إثره، وأعادته وقتله. والله أعلم.

ليكن لملك الإسلام وسلطان سلاطين الإسلام وملك الأقاليم السبعة عمر وحياة فى الملك والعدل. أمين يا رب العالمين.

ذكر استشهاد أمير المؤمنين المستعصم بالله رضى الله عنه

أراد الكفار أن يحتفظوا بأمر المؤمنين المستعصم بالله (رضى الله عنه) عدة أيام، فقال جماعة المسلمين الذين كانوا بين جيش المغول إنه إذا أراق هولاءكو دم الخليفة على الأرض، فسوف يغوص هولاءكو وجيش المغول الكفار داخل الأرض نتيجة زلزال، لذلك لا ينبغى قتله.

وكان هدف هؤلاء المسلمين أن يبقى أمير المؤمنين حيا، فعطل الجميع قتله إلا ملك الموصل بدر الدين لؤلؤ (لعنه الله)، حيث قال مع الكفار الآخرين لهولاءكو: "إذا بقى الخليفة حيا، فسوف يثور سائر المسلمين الموجودين فى الجيش والطوائف الموجودة فى البلاد الأخرى، ويخلصونه، ولن يتركوك يا هولاءكو حيا".

فسيطر الخوف على هولاء الملعون؛ لأنه إذا بقي الخليفة حيا، فسيحقق خروج المسلمين، وإذا قتل الخليفة بسيف سيقع زلزال حينما يصل دمه إلى الأرض، ويهلك الناس. ففكر في طريقة أخرى لقتل أمير المؤمنين، فأمر فلفوه في جوال، وكالوا اللكمات لجسمه المبارك حتى هلك رضى الله عنه وأرضاه.

كما قتلوا ابنه أمير المؤمنين أبا بكر، وأمير الراية سليمان شاه، وكل أمراء حضرة الخلافة وملوكها، فيما عدا ابن أمير المؤمنين الصغير. واستولوا بذلك على جملة خزائن بغداد التي لا يتسع لها سجل، ولا يحيط بها خيال البشر من نقود وجواهر وأوان ومرصعات.

وحمل هولاء كل هذا إلى معسكره، وأرسل قدرا من الأموال يليق بمنكوخان مع بعض الجوارى وحريم الخليفة وابنة الخليفة إلى التركستان، وأرسل بعض الغنائم على سبيل الهدية والقسمه إلى بركا المسلم، واحتفظ بالبعض الآخر.

وقد روى النقات أن بركا لم يقبل الأشياء التي أرسلها إليه هولاء، وقتل رسل هولاء، فقام العداء بين بركا وهولاء لهذا السبب. وحينما وصلت الأشياء التي أرسلها إلى منكوخان من أموال ودراهم إلى مدينة سمرقند، استأذنت ابنة الخليفة (رضى الله عنها) من القائد الموكل بها قائلة: "إن قبر أحد أجدادي قثم بن عباس (رضى الله عنه) في سمرقند، وأريد أن أزوره." فأذن لها القائد القائم على حراسها.

فذهبت المعصومة (رضى الله عنها) إلى قبر قثم بن عباس، وقامت بواجبات الزيارة، وأدت ركعتين من الصلاة، ونظرت إلى الأرض ثم دعت قائلة: "يا إلهي إذا كان لجدى قثم بن عباس مكانة لديك، فلتقبض روحي إلى حضرتك، وتخلصني من أيدي هؤلاء الأخساء." وكان باب الإجابة مفتوحا في تلك الساعة نفسها،

فصعدت روحها الطاهرة إلى حضرة البارئ تعالى. رضى الله عنها وعن أسلافها وعن المؤمنين والشهداء كافة.

ويروى صاحب تاريخ المقدسى فى فصل حادثات خروج الترك عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه قال: "والله لتكونن الخلافة فى ولدى حتى يغلب عليهم الحمر الوجوه كالمجان المطرقة". وقال بعض العلماء هم الأتراك المسلمون، وقال قوم هم كفرة الترك، وقال قوم آخرون، بل هم أهل الصين، يستولون على هذه الأقاليم.

وقد ثبت لجميع عقلاء العالم وعلماء بنى آدم (رضى الله عنهم) أن التفسير الأخير كان صادقا، وأن نكبة دار الخلافة كانت على أيدى كفار الصين لعنهم الله. ولهذا السبب استشهد أمير المؤمنين المستعصم بالله (رضى الله عنه) على يد تلك الجماعة.

أدام الله دولة سلطان سلاطين الإسلام خالدة على عرش السلطنة بحرمة الشهداء من آل على وعباس وأرواح المؤمنين برحمته، وهو أرحم الراحمين، وعضد ملك ذلك الإمام والخليفة الذى تزدان باسمه الخطبة والسكة إلى يومنا هذا. وحينما أغار هولاء على بغداد، وقتل الناس، أودع البقية الباقية إلى الوزير، وعين له شحنة من المغول حتى يجمع الخلق، وبعد أن عاد الوزير الملعون إلى بغداد، جمع بعضا من القوم، وأقام فى بغداد.

وكان بعض عبيد الخليفة قد رحلوا إلى أحد الوديان، وظلوا هناك على قيد الحياة، ثم اجتمعوا فى نحو عشرة آلاف فارس، وعبروا دجلة بغتة، وأغاروا على بغداد، وقبضوا على الوزير الملعون وقائد الكفار، وقطعوهما إربا إربا، كما أسروا

كل من وقع فى أيديهم من أتباع الملاحين، وقبضوا كذلك على مسيحي بغداد، وقتلوا الجميع.

وبذلك قاموا بالانتقام من أولئك الملاحين بقدر ما تيسر لهم، وعادوا أدرأهم على عجل. وما أن وصل الخبر إلى معسكر المغول، حتى توجه ركب الجيش إلى بغداد، فلم يمضوا بأحد من المجاهدين المسلمين.

ويروى البعض أنه حينما فرغ هولاكومن أمر بغداد وقتل المسلمين، قال للوزير: "مما كانت نعمتك ودولتك؟" قال الوزير: "من دار الخلافة." قال هولاكو: "بما أنك لم تحفظ حق نعمة أرباب نعمتك، فإنك لا تصلح لخدمتي أيضا." وأمر فقتلوه. والله أعلم .

ذكر توجه هولاكو إلى حلب والشام

حينما فرغ هولاكومن أمر بغداد، توجه إلى حلب وميفارقين وأيمد^(٤٢)، وهذه البلاد تسمى ديار بكر، وأيمد ولاية ابن شهاب الدين الملك العادل فى الشام، ولقبه الملك الكامل، وكان رجلا غاية فى التدن والتقوى الكاملة، وكان سبب الذهاب إلى تلك الديار، أن ابن الملك شهاب الدين الغازى كان ملكا على ميفارقين وماردين وأيمد، وكانت حصون تلك المدن الثلاث وقلاعها تحت إمرته.

وحينما أغار جيش جرماغون وباجونوين اللذان كانا قد استوليا على اران وأذربيجان والعراق على حدود تلك البلاد، دخل ملوك تلك المناطق جميعا فى طاعة المغول، وتوجه الملك الكامل ابن الملك شهاب الدين الغازى إلى منغوخان، وحصل منه على خلة خاصة.

وكان سبب تلك الخلة أن منغوخان كان قد طلب فى مجلس الشراب خمرا لابن الملك شهاب الدين الغازى ، فامتنع شهاب ولم يشربه، فسأله منغوخان عن سبب امتناعه، فأجاب: "إنه حرام فى دين الإسلام، وأنا لا أخالف دينى."

فاستحسن منگو خان هذا الكلام، وكان يرتدى قباء، فأعطاه لشهاب فى المجلس وأعزه. ويتضح من هذا أن التمسك بالدين الإسلامى مفيد فى كل الأوقات عند الكافر والمسلم.

والخلاصة أنه حينما توجه هولاكو إلى مملكة إيران، أمر منگو خان الملك الكامل أن يلحق بهولاكو فى بلاد العجم. وبعد أن وصل مع هولاكو إلى ديار بكر، وقرر هولاكو غزو بغداد، أمر هولاكو الملك الكامل ابن الملك شهاب الدين الغازى قائلا: " يجب أن تحضر من ولايتك سبعة آلاف فارس وعشرين ألف راجل إلى باب بغداد وتساعدنا. " فقال ابن الملك شهاب الدين: " إن عدد جيشى لا يصل إلى هذا القدر، فلا يمكن أن أعد أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف فارس، وخمسة آلاف أوسنة آلاف راجل".

فتغالى هولاكو فى طلب فرسان أكثر، وأصر الملك الكامل على جوابه. فقال هولاكو لوزيره سرا، وكان مسلما من عظماء سمرقند: "يبدو لى أن الكامل ينوى العصيان فى السر، وعدم الاتفاق معنا، فيجب قتله".

وكان الوزير المسلم السمرقندى على علاقة ودية بالملك الكامل، فأطلعه سرا على هذه النية، وفى اليوم التالى ذهب الملك الكامل إلى هولاكو، وطلب الإذن للصيد، فصرح له بذلك، وخرج من جيش الكفار على عجل فى ثمانين من خاصة فرسانه، وسار فى طريق ولايته، بحيث وصل إلى ولايته فى سبعة أيام، وأمر بأن يتم تسمير كل حارس من حرس المغول بخمسة مسامير على الحوائط، مسمار مهلك فى الجبهة، وأربعة مسامير فى الأيدى والأرجل.

وحينما مضت ثلاثة أيام على غيبة الملك الكامل، علم هولاكو بأمر ذهابه، فأرسل فرسانا وجنودا فى إثره، إلا أنهم لم يعثروا عليه فعادوا. وما أن وصل

الملك الكامل ابن الملك شهاب الدين إلى ولايته، حتى أرسل أشخاصا إلى ظهير الدين الناصر، وطلب مددا ليضمه إلى جيشه، ويأتى به إلى دار الخلافة، فوافق الملك الناصر على المدد.

وتوجه ابن الملك شهاب الدين الغازى مع جيشه بكل الفرسان والرجالة إلى بغداد. وفى أثناء الطريق علم بواقعة بغداد واستشهاد أمير المؤمنين، فعاد بسرعة فائقة، وقوى القلاع والمدن، وأخبر بدوولايته بأن يتوجهوا جميعا إلى أماكن حصينة، وجاء هو إلى قلعة ميفارقين، وجلس مستعدا للغزو والجهاد.

وقلعة ميفارقين مدينة حصينة، ويوجد فى شمالها جبل شديد الارتفاع، وفوق هذا الجبل يوجد دير يسمى مرقومه، وهو مكان مبارك، وتتكاثر فوق الجبل أشجار السفرجل الكبيرة، وفى المدينة مجرى ماء يجرى فيه الماء، وجنوب المدينة حدائق، وشرقها مقابر، ويتوسط المدينة تل وفصيل.

وحينما فرغ هولاكومن أمر بغداد، أرسل ابنه مع سائر جنده من المغول إلى قلعة ميفارقين، فجاءت جماعة الكفار إلى باب القلعة وحاصروها، وبدأوا الحرب، وحاربوا بشدة لمدة تزيد على ثلاثة شهور أمام بابها، وقتل وجرح كثيرون، وذهبوا إلى الجحيم. والله أعلم.

ذكر كرامة مسلمى ميفارقين

يروى ثقات العرب والعجم أن ابن هولاكو حارب على باب قلعة ميفارقين مدة ثلاثة أشهر، وأن كل حجر منجنيق كان الكفار يصوبونه إلى القلعة، كان يرتد إلى رؤوسهم، إلى أن أحضروا أحد رجال المنجنيق المشهورين من الموصل.

وفى اليوم الأول عبأ المدافعون عن القلعة النار والنفط فى الأحجار، وألقوا بها فاشتعل المنجنيق، وظلت الحرب مستمرة على باب القلعة مدة استغرقت أقل من شهر.

وخلال هذه الفترة كان يخرج من القلعة كل يوم بقدره الخالق تعالى وتقديس في رواية سبعة فرسان، وبرواية أخرى ستة فرسان، وبرواية ثالثة أقل من هذا مرتدين ثيابا بيضاء وعمائم، وكانوا يحملون على جيش الكفار، فكانوا يرسلون مائة كافر أو مائتين إلى الجحيم، ولم يصب هؤلاء الفرسان ذوى الثياب البيضاء بأى ضرر من سهام الكفار وسيوفهم ورماحهم حتى قتلوا ما يقرب من عشرة آلاف مغولي من تلك الجماعة.

فأرسل هولاءكو إلى ابنه قائلا له: "لقد استوليت على بغداد فى أقل من أسبوع، وأنت لا تستطيع أن تستولى على قلعة صغيرة طوال هذه المدة". فأجاب ابنه: "لقد استوليت على بغداد بالغدر، أما هنا فيجب أن أحارب كل يوم حيث يهلك رجال كثيرون، فلا ينبغي مقارنة هذا المكان ببغداد".

فلما وصلت هذه الرسالة إلى هولاءكو قال: "قولوا لابنى يجب أن تبتعد من أمامى، فمن المؤكد أننى سوف أقتلك". ثم أقسم وقال: "سوف استولى على هذه القلعة فى ثلاثة أيام". وجاء إلى ميفارقين بسرعة فائقة، وبدأت الحرب.

وكان يخرج كل يوم (كما سبق ذكره) عدة رجال بأثواب بيضاء وعمائم، وكانوا يقتلون ما يزيد عن مائتى وثلاثمائة كافر، وقد حارب هولاءكو بعنف مدة ثلاثة أيام.

وبعد ثلاثة أيام أخرى، أقام فيها هناك، أمر بشن هجمات عنيفة، حتى قتل حوالى عشرة آلاف كافر آخرين، فقال هولاءكو: "هذه القلعة مؤيدة بالتأييد الإلهى، لقد عفوت عنكم الآن، ولكن لى ملتصق وهو أن تقدموا لى الفرسان ذوى الأثواب البيضاء لأنظر أى نوع من الرجال هم؟".

فلما وصلت هذه الرسالة إلى أهل القلعة، أقسموا بشدة قائلين: " كما أنكم لا تعرفونهم نحن أيضا لا نعرفهم، وغير معلوم لنا من هم". فقال هولاکو: "الآن ومن أجل الله أتصدق عليكم بألف حصان وألف دابة وألف شاة، فأخرجوا الرسل حتى أعطيهم تلك الأشياء".

فرد عليه أهل القلعة قائلين: "ليست لنا حاجة بصادقتك ولن نخرج أى شخص، فإذا أردت فأرسلها إلينا، وإلا فاقتل الجميع". وقد ذكر أنه ترك ذلك القدر من الماشية والخيول والدواب هناك، ورحل إلى أحد المروج، ويسمى هذا المروج صحراء موشى وهوذوما أسود وطينة سوداء.

وقد قرر البعض أن هولاکو حارب جيش الشام، وانهزم وفنى مع كل جيشه، وذهب إلى الجحيم. ويروى البعض أن الملك الناصر صاحب حلب طلب العون من الجميع من جيش الشام وحلب والفرنج، فاجتمع معه جيش جرار، وأن هولاکو الملعون مازال مشغولا بالحرب معهم حتى الآن ، وقد هزم مرة، ولكن لا يعلم إلى أين سينتهى أمره ؟ إن شاء الله تعالى يكون الفتح والنصر للمسلمين. وقد روى واحد من العباد بمناطق الصين أن هولاکو قد مات، ونصب ابنه مكانه فى مدينة الرى^(٣). والله أعلم.

ذكر كرامة أخرى لمسلمى ميفارقين

روى الثقات أن ابن الملك بدر الدين لؤلؤ الموصلى كان بين جنود ابن هولاکو، فكان يشاهد تلك المعارك ويرى هزيمة المغول وانتصار مجاهدى ميفارقين، وكان يتعجب من تلك الحال، ويدهش للعون الإلهى، حتى رأى ذات ليلة فى المنام الجمال المبارك لسيد العالم صلى الله عليه وسلم، حيث كان يقف فوق

حصن القلعة، وينشر ثوبه المبارك حول القلعة ويقول: هذه القلعة فى أمان الله تعالى وأمانى. "

فاستيقظ ابن الملك بدر الدين لؤلؤ من هيبه الحلم، وأخذ يفكر طوال النهار فى ذلك المنام العجيب، ويتأمل ماذا يكون تفسيره، وفى الليلة الثانية والثالثة رأى المنام نفسه، فغلب الرعب والخوف والرهبه ظاهره وباطنه ، وفى اليوم الثالث ركب مع خواصه بدعوى الصيد، وفارق معسكر الكفار، وذهب إلى بلاده.

وحينما علم والده بذلك، أرسل له رسالة قائلا: "لقد أقيت بى وبيلادى إلى الهلاك والموت، فلماذا أقدمت على هذا الأمر وهذا العداء ؟ لن أسمح لك بأن تاتى عندى. "

فأرسل ابن بدر الدين لؤلؤ رسالة إلى أبيه قائلا: "إننى لا أستطيع قتال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فالأمر كان على النحو التالى، وقص رؤياه كاملة، وذهب إلى مكان آخر. ولم يُعرف شىء عن أمره وأمر أبيه حتى الآن. والله أعلم.

فصل فى تقرير سقوط المغول لعنهم الله

هكذا يقول داعى الدولة القاهرة منهاج بن سراج طيب الله عيشته، إن هذه الأشعار هى قصيدة ليحيى بن أعقب الذى كان تلميذا لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه، وكان أستاذ الحسن والحسين رضى الله عنهما.

وقد نظم يحيى القصيدة فى خروج الترك، وظهور فتنة چنگيزخان، وظهور أتراك الصين وهى توضح أحوالهم منذ أول أمرهم حتى وقت فنائهم، وتبرهن على سقوطهم، وقد أوردتها لتكون تحت أنظار العظماء، كما ذكرت الترجمة الفارسية للأبيات العربية تحت كل بيت حتى يفهمها الجميع.

أدام الله تعالى ملك المسلمين وسلطان السلاطين ناصر الدنيا والدين على
عرش الملك. آمين يا رب العالمين.

قصيدة الإمام يحيى بن أعقب رضى الله عنه

احذر بنى من القران العاشر
وانفر بأهلك قبل نفر النافر
واسكن بلادا بالحجاز وكن بها
واصبر على مضض الزمان الجابر
ولا تركنن إلى العراق لأنها
سيشيعها حد الحسام الباطر
من فتنة أفتس الأنوف كأنهم
سيل طماء أو كالجراد الناشر
حرف العيون ترونهم فى ذلة
كم قد أذلوا من ملوك قاهر
ما قصدهم إلا الدماء كأنها
ثأر لهم من كل ناه آمر
سيريك خوارزما يعود منابتا
للعشب ليس لأهلها من قابر
وكذا خراسان وبلغ بعدها
وهرات تؤخيز بعد أخذ نشاور
بلد الديلميين جبالها وقلاعها
تضحى خرابا ما لها من عامر
والرى فيها يقتلون عصابة
من آل أحمد هم بسيف الكافر

ويفر من سفك الدماء ملوكهم
فر الحمام من العقاب الكاسر
ويموت من حنق على ما ناله
فى لجة من لبحر زاجر
وخلط ترجع بعد بهجة منظر
قفر النبات باختلاف الحافر
وديار بكر سوف يقتل بعضهم
بالسيف بين أصاغر وأكابر
والروم تفزع منهم وتخافهم
ولربما سلموا لذل الكافر
والويل إذ وطنوا ديار ربيعة
ما بين دجلتها وبين الخازر
ويطيقون بلاد أردويل كلها
من شهر زور إلى بلاد السامر
هذا وتغلق أربل من دونهم
يوما وتوخذ عند قلة ناصر
ويطوون توتوه وينهب مالها
ويزورها من معشر ومشاجر
ولربما ظهرت عساكر موصل
ترجوا الأمان من الخون الكافر
والويل إن حلوا بشاطئ دجلة
ومضوا إلى بلد بغير تناكر
وترى إلى الثرثار نهبا واقعا
ودما يسيل وهتك ستر الساتر

كذلك الخابور ينهب بعضهم
بعضا وليس لأهله من جابر
ويكون وقت خريف زهر نباتها
تلقى النفوس من البلاء المتواتر
ولربما ظهرت عليهم فنة
من آل صعصعة كرام عساكر
هذا ويسقون الفرات خيولهم
من باب طاوى فوق ظهر الطامر
أولفهم حلب بجيش لوسرى
البحر أظلم كالعجاج النائر
وإذا مضى نصف القران رأيتهم
فى أرض خلق فى عداد عساكر
يفنيهم الملك المظفر مثل ما
فنبت ثمود فى الزمان الغابر

وقد قال علماء المنقول وأمناء المعقول والتفسير فى معنى القران العاشر
الذى ذكر فى أول قصيدة الإمام يحيى بن أعقب رضى الله عنه إن " احذر بنى من
القران العاشر بالإضافة إلى نصف القران الذى أتى ذكره فى آخر القصيدة،
ووضع علامة لانتهاى دولة كفار المغول " يعنى ما يلى:

قال البعض إن هذا القران العاشر هو القران الذى انتقل إليه العلويان زحل
والمشترى من المثلثة الأرضية إلى المثلث الهوائى بعد عشرة قرانات، والمعروف
عن القرانات هو أن فى كل مثلثة اثنى عشر قرانا، وأن كل مائتين وأربعين سنة
لكل قران يساوى عشرين سنة، والعلويان انتقلا فى شهور سنة ثلاث وعشرين
وستمائة من المثلثة الأرضية إلى المثلثة الهوائية.

فلو كان الأمر كذلك لكان الواجب أن يكون القرآن فى الجدى. ولكن أول القرآن العاشر فى سنة اثنتين وستمائة، وهو العام نفسه الذى خرج فيه چنگيزخان فى بلاد طمغاج والصين، إلى أن وصلت فتنته إلى بلاد العجم وخراسان فى آخر سنة ست عشرة وستمائة. والله أعلم.

وقد روى بعض العلماء أن المراد من هذا القرآن هو القرن، ويحسبون كل قرن سبعين عاما بناء على حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو: " أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين"^(٤٤). ومع كلمة إلى السبعين يكون القرن كاملا سبعين عاما.

وهذا القول يتفق مع التجيم؛ حيث إن ترتيب الكواكب السبعة بأسرها لكل مولود ينتهى عند سبعين سنة، ثم تعود الدورة إلى القمر، وهذه الطبقات ليست مجالا لبيانها، ومن ثم وبناء على هذا القول يجب أن يكون انتهاء أمر دولة تلك الطائفة فى سنة تسع وخمسين وستمائة؛ أوفى سنة ستين، أو فى إحدى وستين بحيث لن يبقى أثر للكفار.

وما قاله الإمام الربانى -رضى الله عنه- هو من أسرار النبوة، ومن معانى كلام القرآن الكريم، فمثل هذه الأسرار لا يمكن إلقاؤها من عنده يقينا.

إذن فقد اتضح يقينا أن يحيى لأنه كان تلميذ أمير المؤمنين على رضى الله عنه فقد سمع منه هذه الأسرار التى سمعها أمير المؤمنين (رضى الله عنه) من الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) فإجماع علماء التفاسير كان أمير المؤمنين وإمام المتقين على رضى الله عنه يختص بمعرفة هذه الأسرار من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم عن جملة الصحابة. وإذا كان هذا افتراء لما كان قد صح وصدق.

ولأن الأمر قد تحقّق صدقه، سواء فيما ذكر عن فرار ملك إيران ووفاته على شاطئ البحر، حيث يتّضح لكل عقلاء العجم وإيران أن فرار محمد خوارزم شاه من المغول كان على نحو مماثل فرار حمامة من عقاب، ثم موته رحمة الله عليه على شاطئ بحر مازندران، أوفياً قيل بصدق عن وصف تلك الجماعة ووقت خروجها وفرار ملك المسلمين وتخريب مدن الإسلام. فيجب إذن أن يتحقّق ما جاء في آخر القصيدة من عبارات تدل على انتهاء دولة كفار المغول وفنائهم على أيدي ملوك الإسلام في أرض الشام.

ولأنه قد حدد في آخر القصيدة في أي بلد سيكون هلاكهم، ووصف تلك البلاد، وذكر أهل بلاد دمشق وأهل الشام وحدود تلك البلاد.

وبما أن هذه الجماعة قد وصلت إلى هناك، وهم يقاتلون جيش حلب والشام الآن، فلم يعد هناك أي شك في أن هلاكهم أيضاً سيكون سواء بشرب ماء نهر الفرات، أو بمحاربة جيش حلب، أو في نصف القران الذي سيكون في سنة تسع وخمسين وستمائة أو ستين وستمائة أو إحدى وستين وستمائة تقريباً.

أباد الحق تعالى عهد فتنة تلك الجماعة، وأطفأ نار فسادهم بماء الانتهاء، وأخمد ريح ظلمهم التي أثارت مائة ألف عاصفة في فضاء أمة أحمد بقدرته التي لا شبهة فيها إن شاء الله تعالى.

ولأن ذكر انقراض دولة كفار المغول قد ثبت، فقد أردت ألا يكون اختتام كتاب طبقات ناصري هذا بفتنة الكفار وبلانهم. لذلك نذكر واحداً من سادة تلك الجماعة ممن وصلوا إلى دولة الإيمان وسعادة الإسلام، نذكر إسلامه لنختم به .

العاشر بركا خان بن توشى بن چنگيزخان المغولى عليه الرحمة

هكذا روى النقات أن ولادة بركا بن توشى بن چنگيزخان كانت فى بلاد الصين والقبچاق حينما استولى أبوه توشى خان على خوارزم وقاد الجيوش إلى بلاد سقسين وبلغار وصقلاب.

ولما ولد بركا خان قال أبوه: "لقد جعلت ابنى هذا مسلما، فليحضروا له مربية مسلمة، حتى تقطع سرتة على الطريقة الإسلامية، ويرضع لبن مسلمة؛ لأن ابنى هذا سوف يكون مسلما".

وبناء على تلك الإشارة، قطعت سرتة مربية مسلمة، ورضع اللبن فى كنف مرضعات مسلمات. وعندما وصل إلى سن التأديب والتهذيب، جمعوا قوما من أئمة المسلمين، واختاروا واحدا منهم ليعلمه القرآن.

ويقول بعض هؤلاء النقات إن تعليمه القرآن كان فى مدينة خجند، وكان على يد واحد من علماء تلك المدينة الأتقياء.

وبعد أن وصل بركا إلى سن الختان أجروا له عملية الختان. وعند وصوله سن البلوغ صدر الأمر بأن ينتقل المسلمون الذين كانوا فى معسكر توشى إلى جيشه.

وحينما مات أبوه توشى خان على إثر دس السم له من قبل چنگيزخان، وجلس أخوه باتوخان مكان أبيه، ظل باتو يعظم بركا خان أيضا، ويقره على ملكه، ويضع تحت تصرفه الأتباع والإقطاعات.

وفى سنة إحدى وثلاثين وستمائة، جاء رسل بركاخان من بلاد القبچاق إلى حضرة السلطان السعيد شمس الدنيا والدين، وأحضروا الهدايا.

ولأن السلطان السعيد لم يكن ليفتح أبواب التعارف والمحبة بأى وجه مع أمراء المغول، أويقتل رسلهم، فقد هادئهم، وأرسل رسل بركا إلى كاليور، حيث كانت جماعة المسلمين يحضرون كل جمعة فى المسجد الجامع لكاليور، وكانوا يؤدون الصلاة خلف نواب كاتب هذه الطبقات منهاج بن سراج حتى عهد السلطنة رضية عليها الرحمة.

وحينما جاء الكاتب بعد ست سنوات من كاليور إلى الحاضرة العظمى دهلى، واختص بعناية السلطنة رضية، صدر الأمر فاصطحبوا رسل بركا خان من كاليور المحروسة إلى قنوج، حيث ماتوا أثناء حصار المدينة.

وحينما تقدمت السن ببركاخان جاء من بلاد القبچاق إلى مدينة بخارى، لزيارة الأكابر وعلماء الإسلام السالفين منهم والحاليين، وقام بزيارات عديدة ثم عاد، وأرسل الرسل إلى دار الخلافة.

وقد قرر جماعة الثقات أن بركا ارتدى خلعة دار الخلافة أيضا مرتين أو أكثر فى حياة أخيه باتوخان، وأن جملة جنده كانت حوالى ثلاثين ألف فارس مسلم، وكانت صلاة الجماعة تقام فى جيشه. وقال الثقات كان دأب جنوده جميعا هو أن يكون أمام كل فارس منهم مصلى بحيث إذا ما حل وقت الصلاة، قاموا بأدائها، كما لم يشرب شخص منهم الخمر قط.

وكان بركا يصطحب دائما العلماء العظماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمناظرين، كما كان يقتنى كثيرا من كتب الدين، وكانت أكثر مجالسه ومناظراته مع العلماء كذلك، أما علم الشريعة فقد كان موضع بحث دائم فى بلاطه، وهوفى إسلامه قوى صلب إلى أقصى درجة .

ذكر صلاية إسلام بركاخان

فى شهور سنة سبع وخمسين وستمائة، قدم أحد سادة مدينة سمرقند من ذوى الشرف والمكانة إلى الحاضرة العظمى دهلى للتجارة، وحظى بالرعاية والإنعام فى بلاط ملك الإسلام وسلطان الأقاليم السبعة (خلد الله ملكه وسلطانه) واختص بالإعزاز الملكى والإنعام السلطانى، وقدم أكابر الحاضرة العظمى (ممن كان كل منهم كوكبا متألّفا فى سماء دولة الإسلام، ونجما مضيئا فى فلك الدين) ضروب الخدمة والإجلال إلى هذا السيد العظيم.

وكان ذلك السيد العظيم (عصمه الله) هو السيد أشرف الدين ابن السيد جلال الدين صوفيا، وكان يملك فى مدينة سمرقند خانقاه نور الدين أعمى عليه الرحمة. وقد سمع من هذا السيد العظيم حديثان عن صلاية تدين بركا خان (سلمه الله عز وجل وزاد فيه خيرا) وعن إسلامه.

الحديث الأول

هكذا قال ذلك السيد العظيم: "إن واحدا من مسيحيى سمرقند كان قد انتقل إلى عز الإسلام، فأعزه مسلمو سمرقند، حيث كانت لهم صلاية فى الدين الإسلامى، وأغدقوا عليه نعماء كثيرة. وفجأة وصل إلى سمرقند أحد القادة من المغول المتكبرين وكفار الصين، وكانت له صولة ومكانة، وكان ذلك الملعون يميل إلى الدين المسيحى، فذهب مسيحيوسمرقند إليه، وتظلموا قائلين: " إن المسلمين يخرجون أبنائنا من الدين المسيحى، ومتابعة حضرة عيسى عليه السلام ، إلى دين الإسلام، ويأمرونهم بمتابعة دين المصطفى (صلى الله عليه وسلم) فلوفتح هذا الباب لتحول أتباعنا كلهم عن الدين المسيحى، فدبر أمرنا بالقهر والقوة."

فأمر ذلك المغولى فأحضروا الشاب الذى كان قد أسلم، واستخدم معه طريق اللطف والمدارة والمال والنعمة، ليتحول عن دين الإسلام، وعلى الرغم من المحاولات التى بذلت مع ذلك الصديق حديث العهد بالإسلام، فإنه لم يرتد عن دين الإسلام، ولم ينزع من قلبه وروحه ثوب الدين المحمدى ذا البهاء والرونق، فالتجأ المغولى إلى سياسة العنف، وهدد الفتى وتوعده بالترهيب والعقاب بقدر ما كان فى مكنته من القهر والسلطان.

لكن الفتى لم يرتد عن الإسلام قط، لبالغ عصبيته لدين الإسلام، ولم يلق من يده كأس الإيمان تحت ضربات طغيان الكفر، فلما ثبت الشاب على دين الحق، ولم يهتم بوعده تلك الجماعة الضالة ووعيدها، أمر ذلك الملعون فعذبوا ذلك الفتى، حتى استشهد مؤمنا (رحمه الله) فحلت بجماعة مسلمى سمرقند نكسة لهذا الأمر.

وقد روى أشرف الدين: "أننا قد أعددنا محضرا، وشهد عليه الثقات ووجوه الإسلام من سكان سمرقند وصدقوا عليه، ومضينا بهذا المحضر إلى معسكر بركاخان فعرضنا على الملك تطاول مسيحي سمرقند وعداءهم، وأظهرنا له المحضر الذى يؤكد هذا الأمر، فظهرت على هذا الملك حسن العقيدة حمية الدين المحمدى، وسيطر عليه الغضب للحق".

بعد هذا أعز بركا خان هذا السيد، ووجه معه جماعة من عظماء الأتراك والمغول ممن كانوا قد أسلموا، وأمرهم بقتل جماعة المسيحيين الذين كانوا قد اقترفوا هذا الجرم وذاك العدوان، وإرسالهم إلى الجحيم".

فلما صدر هذا المرسوم، ذهبوا بإعزاز تام إلى سمرقند، وبدون أن تعلم جماعة المسيحيين، انتهزوا الفرصة حتى اجتمعت تلك الطائفة التعيسة فى الكنيسة، فنزلوا عليهم فجأة فى مكان واحد، وقضوا على الجميع، وهدموا الكنيسة، فلم يبق

منها حجر واحد قائما فى مكانه. وكان هذا الانتقام ببركة صلابة ذلك الملك فى دين محمد وملة أحمد.

الحديث الثانى

روى هذا السيد شمس الدين نفسه أنه حينما مات باتوخان، بقى له ولد اسمه سرتاق، كان على درجة كبيرة من الظلم والعدوان والتعصب ضد المسلمين، وقد ذهب سرتاق من ولاية القبچاق وسقسين إلى منگوخان حتى يجلس بإذنه مكان أبيه باتو.

وحيثما وصل سرتاق إلى بلاد طمغاج ومعسكر جيش الخان أعزوه وأعادوه، وعندما اقترب من مقر بركاخان، غير وجهته، ومضى، ولم يأت إلى عمه، فأرسل بركاخان رسلا إلى سرتاق قائلا: " إننى فى مقام أبىك، فلماذا تمر مثل الغريب، ولا تأتى إلى؟ "

ولما جاء الرسل إلى سرتاق، وبلغوه رسالة بركاخان، أجاب سرتاق الملعون قائلا: "إنك مسلم، وأنا أدين بالمسيحية، ورؤية وجه المسلمين شؤم". لعنه الله كثيرا.

فلما بلغ ذلك الحديث الممجوج الملك المسلم بركاخان، ثقل ذلك جدا على قلبه العزيز، وفكر كثيرا واضطرب أمره، وأمر بأن يقيموا له خيمة وسط المعسكر فى موضع لا يوجد به مخلوق قط.

فلما أقيمت الخيمة، ذهب بركاخان بمفرده إليها ، وربط سلسلة فى رقبته، وأحكم وضع طرف السلسلة فى رأس الخيمة، ووقف على قدميه، وأخذ يبكى وينوح بتضرع كامل وابتئال تام وكان يقول: "يا إلهى إذا كان دين محمد وشريعة الإسلام على حق، فانتقم لى من سرتاق. "

وظل ثلاثة أيام بلياليهما على هذا المنوال، كان ينتحب فيها وينوح بعد أداء الفرائض ويتضرع حتى إذا ما حل اليوم الرابع، حل الأجل سرتاق الملعون في المكان الذي كان قد وصل إليه، حيث سلط الحق تعالى عليه داء البطن فذهب إلى الجحيم.

وقد روى البعض أن منغو خان حينما رأى سرتاق الملعون وقد وضحت آثار الفتنة في جبينه أرسل رسلا في السر فدسوا له السم، فذهب إلى الجحيم. والحمد لله على ذلك.

كما روى الثقات أنه حينما ذهب سرتاق إلى الجحيم، تزوج بركا خان المسلم زوجة باتو، وكان له خمسة عشر ولدا وحفيدا، ذهبوا جميعا إلى الجحيم في إثر توشي خان، وببركة الإسلام خضعت الممالك كلها لبركا خان من بلاد القبچاق وسقسين وبلغار وصقلاب والروس حتى الشمال الشرقي للروم وجند وخوارزم.

وفي سنة ثمان وخمسين وستمئة، وهوتا ريخ إتمام هذه الطبقات روى جماعة القادمين من بلاد خراسان، أنه حينما ذهب منغو خان إلى الجحيم، قرأوا الخطبة باسم بركا خان في كل مدن الشرق والغرب وبلاد العجم وما وراء النهر وخراسان، وجعلوا لقبه السلطان جلال الدين إبراهيم (والله أعلم بالحقيقة).

وفي تلك السنة نفسها، أرسل بركا واحدا من أكابر العرب، يسمى الإمام شمس الدين المغربي من قبله برسالة إلى بلاط ملجأ العالم سلطان سلاطين الإسلام ناصر الدنيا والدين (خلد الله سلطانه) وأرسل ما يليق بهذا البلاط من إنعامات وسلك نفسه في سلك الإخلاص لهذا الملك ملاذ العالم، وحقق له ذلك سعادة ويمنا يفوق كل سعادة ويمن.

ضاعف الحق تعالى دولة ملك الأرض، وأدامها إلى ما شاء الله بالنبي وآله الأمجاد، وجعل هذه الطبقات موضع قبول في البلاط الأعلى. وهذه الرباعية نوردها في صورة دعاء لختم الكتاب.

ليكن الخضر هوسافى المليك من كأس البقاء

وليكن لإيوان بابيه تسع طاقات مثل الفلك

وليدم اسم الطبقات فى الدنيا ما دامت الحياة

وليدم الملك محمود ناصرا للدين

كان هذا هو القدر الذى خطه القلم وسطره، وهوما كان فى وسع الداعى ودائره سمعه ونقله، ولووقع نظر مليك أهل الإيمان (خدا الله سلطانه) والخابان المعظم ألغ خان (خلدت دولته) مع ملوك الدولة وأكابرها وصدورها وأماثلها وأركانها وأعيان الملة على سهو أو خطأ أو نقص أو زيادة خلال حياة كاتب الطبقات أو بعد مماته، فليستروا ذلك بذيل العفو والطف؛ ليصبح ذلك من بالغ إكرامهم ونهاية إنعامهم.

إنه الكافى لكل معاف، سبحانه اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّ اللهم على سيدنا سيد الأنبياء وأفضل أهل الأرض والسماء، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآلهم وسائر الصالحين.

تتمة هذا الكتاب

يقول منهاج بن سراج الجوزجاني كاتب هذه الطبقات، إنه حينما عرضت هذه الطبقات على السلطان ناصر الدنيا والدين (خدا الله سلطانه) أمر السلطان لداعى الدولة القاهرة بثوب خاص موسى بفروة سنجاب كانت تغطى عرشه المبارك، وأصدر أمرا بمنحه عشرة آلاف چيتل كل عام، وأنعم عليه بقرية.

وحينما وصلت نسخة من هذا التاريخ إلى ألغ خان المعظم، أرسل الخان الأعظم (خلدت دولته) إلى الداعى عشرين ألف چيتل نقدا، ووسام تقدير عليه رسم السمكة، ومجموعة من فراء السنجاب، ومجموعة من فراء الثعالب.

وقد نظمت هذه القطعة شكرا على هذه النعمة، وكتبت على ظهر النسخة
الخانية وهذه هي القصيدة:

ألغ خان ملك العالم

وخان البرى^(٤٥) وشاه يمك^(٤٦)

كل من حاز الرضا في حضرته

لم يرج من السماء أكثر من ذلك قط

من يكون حاتم الطائي أمامه

وماذا يكون يحيى البرمكي بالقياس إليه

لقد محا بإحسانه

غصة الدهر من صفحة خاطر منهاج

فلينصت الكافة لكلامي هذا

يقينا لا ريب فيه

له من الكرم نصيب يبلغ تسعا وتسعين في المائة

وللباقين جميعا الواحد الباقي من تلك المائة

كل دعاء أدعو له به

يؤمن عليه الملك من روجه بصدق وإخلاص

كتبه منهاج بن سراج في الخامس من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين

وسمائه.

تمت الطبقات

هوامش الطبقة الثالثة والعشرين

(١) تتأتى أهمية هذه الطبقة في أنها تسجل جوالفرع العام الذى صاحب الغزو المغولى، وهى تقدم لنا صورة دقيقة لمعارك ذلك الزمان، وتفاصيل هامة للأحداث والشخصيات والأماكن.

وقد قدم منهاج وصفا تفصيليا لما يتحدث عنه فى مواضع عديدة، فعند حديثه عن القلاع مثلا كان يصف القلعة بدقة تامة، لأنه كثيرا ما كان داخل الأحداث وجزءا منها، فقد سافر على سبيل المثال ثلاث مرات من قبل الملوك برسائل إلى قلاع الإسماعيلية، لفتح طريق القوافل، مع ما كان يكتنف ذلك السفر من مخاطر، فرأى وشاهد وسمع، كذلك ذكر الأسماء والتواريخ الخاصة بكل موضوع يتحدث عنه.

كما تصف لنا هذه الطبقة قوانين الحرب آنذاك وأدواتها وآلياتها، وما جرى على السنة الناس من قصص وحكايات عن المغول، وما شاهده المؤلف شخصا من أحداث، مثلما حدث عند هجوم المغول على قلعة تولك عام ٦١٧ هـ واشترك منهاج مع مجاهدى القلعة فى الدفاع عنها، كذلك اشترাকে مع جيش السلطان علاء الدين وألف خان فى الدفاع عن قلعة أجه عام ٦٤٣ هـ.

كما يتضح من هذه الطبقة نيوح الحكايات الخرافية التى تجد لها بيئة صالحة فى مثل تلك الظروف مثل حكاية وفاة چنگيزخان عند رؤيته للدم الأبيض الذى خرج من عدوه، وحكاية المسلم الذى دفعه مع المغولى ثم نجا من القبر بطريقة غريبة.

وقد سجل منهاج ما تراسى إلى سمعه من روايات على الرغم من وجوده فى الهند وقت تأليف الكتاب، وكان أمينا فى إيراد الروايات فذكر مثلا حكاية تدلل على صدق المغول، ولم يتورع عن ذكر تعليق القائد المغولى على تعجب الملك الفارسى من صدق المغوليين اللذين أودى للصدق بحياتيهما بقوله: "ماذا تتعجب؟ على هذا النحو تسلكون أنتم أيها الأعاجم وتكذبون فالكذب شيمتكم، أما المغولى فلو كان لديه ألف روح تفتديه لاختار أن يقتل ولا يكذب، ولذلك سلط الله تعالى بلاغا عليكم".

وهذه الطبقة تحتوى على معلومات مهمة، لا يمكن الشك فى صحتها، مثل الأحداث التى شاهدها بعينه، والحكايات التى سجلها من مصادرها الرئيسية، ولعل أبرزها القصة المشهورة للقافلة التجارية التى وصلت إلى أترار من قبل چنگيزخان، وغدر حاكم أترار بهم، وكانت سببا مباشرا فى الغزو المغولى مما أعطى لكتابه أهمية كبيرة خاصة؛ لأنه لم يكن تابعا للمغول، وقد نقلها عنه الكثيرون.

وتأريخه للمغول يوضح حالة الهلع التى ألمت بالمسلمين آنذاك، حيث أسند الأحداث كلها للغبيبات، واعتبرها مقدمة للقيامة، ربما لأن وجوده أثناء الأحداث لم ينح له الوقت لاستيعابها جيدا وغربلتها، فقد كان يكتب والأحداث ما زالت جارية، وهولاكو ما زال يحارب فى الشام، والصورة

لم تتضح بعد بكل أبعادها، ويظهر هذا بوضوح فيما كتبه عن بعض الأخبار الواردة وغير المؤكدة له عن موت هولاكو وآخرين، كما أنه توقع اندحار المغول وزوال دولتهم بعد ثلاث سنوات أو أقل من ذلك بناء على ما جاء فى القصيدة التى نسبها إلى يحيى بن أعقب، والتى اعتبرها نبوءة عن خروج الترك، مستندا إلى تفسير يقول إن القرن العاشر الذى يحذر منه الإمام يحيى قد حدث فى عام ٦٠٢ هـ، وهو عام خروج چنگيزخان فى بلاد طمغاج، واعتبر أن نهاية دولتهم سوف تكون فى عام ٦٥٩ هـ أو ٦٦٠ هـ أو ٦٦١ هـ إذا كان المقصود بكلمة قران قرن، أى ما يقرب من سبعين عاما بناء على الحديث النبوى: أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وقد اعتبر ما قاله يحيى من أسرار النبوة.

والجدير بالذكر أن هذه القصيدة ذكرها ابن أبى أصيبعة فى كتابه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء وتقع فى اثنتين وخمسين بيتا بينما تقع عند مناج فى تسعة وعشرين بيتا، وقد ذكر ابن أبى أصيبعة أن ناظم هذه القصيدة، ربما يكون ابن سينا أو غيره، ويقول إن جملة ما قيل فى هذه القصيدة من أحوال التتر وقتلهم للخلق وخرابهم للقلاع جرى وقد رأيناه فى زماننا، ويرى البعض أن القصيدة التى ذكرت فى طبقات ناصرى توقفت عند ذكر انتصار الملك المظفر قطز فى موقعة عين جالوت ١٥ رمضان ٦٥٨ هـ، مع العلم بأن كتاب طبقات ناصرى تم فى الخامس من شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وستمئة كما ذكر المؤلف نفسه، أما القصيدة المذكورة فى طبقات الأطباء فأبياتيا أكثر من السابقة وهى تتحدث عن انتصار الملك الناصر فى موقعة مرج الصفر عام ٧٠٢ هـ فكان هذه القصيدة نظمت بعد وقت قصير من موقعة عين جالوت، ثم أضيف لها عدة أبيات بعد انتصار الملك الناصر.

كذلك أظهرت بعض الحكايات الواردة فى هذه الطبقة ملمحا للمعركة حامية الوطيس التى قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام، وتنافسهم لكسب قلوب المغول، حيث يسهل غالبا تأثر البدو البدائيين بحضارة المغوليين، كما أنه لم يكن للمغول دين واحد يعينه يعتقدونه، بل كانت طوائفهم تتنازع الديانات المختلفة، وقد عانت الأغلبية المسلمة والأقلية المسيحية بالتبادل من ضروب المهانة والمذلة وتدمير المساجد والكنائس تبعا لميول الخان أو اعتناقه لديانة محددة، حيث يمكن الخان من يتعاطف معه من الطرف الآخر الذى يقوم بدوره بالانتقام مما سبق أن لحق به.

فهولاكو - على سبيل المثال - كان يدين بالبوذية، وعلى الرغم من ذلك كان شديد العطف على المسيحيين نظرا لنفوذ زوجته دوقوز خاتون المسيحية، وقد عقد هولاكو تحالفا مع الحكام المسيحيين فى غرب آسيا، وهما هيتوم ملك أرمينية وبوهيمند ملك انطاكية عند فتحه للشام، حيث تم إحراق المساجد والانتقام من المسلمين ومعاملتهم أسوأ معاملة بعد فتح دمشق.

وحينما يكون الخان متعاطفا مع المسلمين أو يكون قد اعتنق الإسلام مثل بركا خان ابن عم هولاكو الذى كان قد أسلم وكان يحكم فى القبجاق تظهر الصورة المقابلة، كما اتضحت من خلال الحكايات الواردة فى هذه الطبقة، التى توضح الروح العدائية بين الطرفين وردود أفعال المسلمين تجاه ما كان قد لحق بهم من المسيحيين، وقد ظل الأمر على هذا النحو، حتى أعلن

غازان خان في عام ٦٩٤ هـ الإسلام ديناً رسمياً للدولة الإلخانية (التي كان هولاكو خان قد أسسها في إيران) فاستقرت الأمور إلى حد كبير في هذه المنطقة حتى نهاية الدولة الإلخانية.

وجدير بالذكر أن المصادر الخاصة بتاريخ المغول اختلفت اختلافاً كبيراً في كتابة أسماء الأعلام المغولية، ونرى هذا الاختلاف لدى منهاج أيضاً، إلا أن الاختلافات لديه مع ما اشتهر من كتابة هذه الأسماء كانت طفيفة.

وتؤرخ هذه الطبقة لتسع شخصيات مغولية، بالإضافة إلى القراخانيين الذين اعتبر منهاج خروجهم مقدمة لاستيلاء المغول على ديار الإسلام، وقد رتبهم على النحو التالي:

١- القراخانيون

٢- چنگيز خان المغولى

٣- توشى بن چنگيز خان

٤- أكتاي بن چنگيز خان

٥- چغتاي بن چنگيز خان

٦- كيك بن أكتاي

٧- باتون توشى بن چنگيز خان

٨- منگو خان بن تولى بن چنگيز خان

٩- هولاكو بن تولى بن چنگيز خان

١٠- بركاخان بن توشى بن چنگيز خان

انظر: د. فؤاد عبد المعطى الصياد، الشرق الإسلامى فى عهد الإيلخانيين (أسرة هولاكو خان)، ص. ٢٥٨، الدوحة، ١٤٠٧-١٩٨٧ - المغول فى التاريخ، ص. ٢٩١-٢٩٢ - القاهرة، ١٩٧٥ - طبقات ناصرى: ج ٢، تعليقات عبد الحى حبيبي، ص. ٤١٩-٤٢٠ - ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص. ٤٥٤ وما بعدها، بيروت، ١٩٦٥

٢- قرآن كريم: سورة الجمعة، آية ٤

٣- أبوداود السجستاني: مختصر سنن أبى داود، باب الملاحم، ج. ٦، ص ١٦٧ بدون تاريخ. وانظر محمد فؤاد عبد الباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، كتاب الفتن وأشراف الساعة (باختلاف بسيط)، القاهرة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م

٤- مطهر بن طاهر المقدسى: البدء والتاريخ، ج. ٢، ص ١٧١، القاهرة ١٨٩٩ م.

٥- هذا الكتاب مفقود، وقد استنتج الأستاذ عبد الحى حبيبي محقق كتاب طبقات ناصرى بعد بحث طويل، واستادا لما ورد فى كتاب مجمل فصيحى فى الجزء الثانى ص ١٢٣، أن أبا الحسن هيصم بن نابى هونفسه الإمام هيصم بن محمد بن عبد العزيز النساوى صاحب كتاب التهذيب فى اللغة الذى صنفه فى تاريخ الكرامية، وأن هذا الإمام هو ابن بنت محمد بن هيصم

الكرامى الناورى الإمام المشهور الذى توفى فى ٤٠٩هـ بنيسابور، ومرشد فرقة الهيصمية من الكراميين بهراة، لأن تبدل الباء إلى الواو أمر شائع فى لهجة هراة، وتصريح فصيحى بأن ناوتقع فى هراترود يطابق تماما قول منهاج فى الطبقة السابعة عشرة. ويمكن القول إن الكتاب قد تم تأليفه أواخر القرن الخامس الهجرى، وقد اقتبس منهاج من هذا الكتاب فى مواضع عديدة، يتضح منها أن هذا الكتاب كان كتابا كاملا يحتوى على التاريخ العام منذ بدء الخليقة حتى عصر المؤلف، ولا يعرف أكان بالعربية أم بالفارسية.

انظر تعليقات عبد الحى حبيبي: طبقات ناصرى، ج. ٢، ص ٣٠٥: ٢٩٩ - ٤١٠: ٤٠٨.

٦- يقول عبد الحى حبيبي إن المؤلف قد ذكر هذا الكتاب مرتين فى بداية الطبقة الثالثة والعشرين، وذكر أن مؤلفه هو أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله أبى الليث الشيبانى، إلا أن هذا الكتاب ليس سوى أحداث الزمان الذى ذكره حاجى خليفة فى الجزء الأول من كتابه كشف الظنون، وأن مؤلفه هو أبو سليمان داود بن محمد الاودنى الحنفى، الذى كان يعيش فى اودنه إحدى قرى بخارى.

المصدر السابق: ص ٢٧٣

٧- كان أفراسياب هو الملك الحادى عشر من الأسرة الباستانية، والجميع ينسبون الترك إليه، وكان من أبناء يافث بن نوح، وقد تعاهد مع منوچهر، وعاد ونكث العهد، وعبر جيحون، واستولى على العراق وخراسان، وخربهما، وتوالت الأحداث، إلى أن هزم، وعاد إلى التركستان، وكان يعاود مهاجمة إيران حتى عهد كيخسرو.

انظر: منهاج الدين عثمان بن سراج الدين، طبقات ناصرى، ج. ١، ص ١٤١.

٨- خان لقب أطلقه المغول على رؤسائهم الذين يتولون جزءا من الإمبراطورية المغولية، وهو يختلف عن لقب خاقان الذى أطلقوه على الرئيس الأعلى لدولتهم، ومعناه الخان الأعظم، وقد استعمل المغول لقب خان أيضا بمعنى خاقان، وربما كان ذلك من باب الرغبة فى الاختصار.

انظر: د. فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ، ص ٤٩، القاهرة، ١٩٧٥

٩- بعد وفاة غياث الدين ٥٩٩هـ استعاد محمد خوارزمشاه أملاكه فى الهند، إلا أن معز الدين عاد من الهند وقصد إقليم خوارزم على رأس جيش كبير، واستطاع أن يحاصر العاصمة جرجانية، فاستجد السلطان محمد بالقراخانيين وعثمان خان سلطان سمرقند، وانتصر السلطان محمد على الفوريين، وعاد إلى عاصمته، أما القراخانيون فقد استمروا فى زحفهم وهزموا معز الدين هزيمة منكرة، ولم ينقذه منهم سوى تدخل سلطان سمرقند، لأنه لم يرض أن يهلك سلطان مسلم على يد الكفار.

انظر فؤاد عبد المعطى الصياد: المغول فى التاريخ، ص ٦٤

١٠- النيف الزائد على العقد من واحد إلى ثلاثة، ولا يستعمل إلا بعد العقد، وما كان من أربعة إلى تسعة فهو بضع.

المعجم الوسيط: ص ١٠٠٢، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ - ١٩٨٥ م

١١- قرآن كريم: سورة يوسف، آية ٤٢

١٢- قرآن كريم: سورة الروم، آية ٣ وآية ٤

١٣- تمرچين كان اسم چنگيزخان.

انظر علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد: تاريخ جهانگشاي، نشر وتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني، ج. ١، ص ٢٦، ليدن ١٣٢٩-١٣٥٥ هـ = ١٩١١-١٩٣٧ م.

١٤- كانت قبائل التتار من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشا وجبروتا في أقاليم آسيا الشمالية، وكانوا يتمتعون بشهرة ذائعة وشوكة كبيرة، وكانوا قبائل مستقلة عن المغول، ومن الغريب أنه على إثر انتصار چنگيزخان على التتار أطلق اسمهم عليه وعلى أتباعه، لذلك كانوا يعرفون بالتتار عند بدء هجومهم على الممالك الإسلامية. وطغرل تگين تعنى أمير الصيد.

انظر فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، ص ٣٩ - ٤١؛ وفرهنگ عميد ٣٣٥، چاپ دهم، تهران، ٢٥٣٥ - طبقات ناصري، ج. ٢، تعليقات عبد الحى حبيبي، ص ٤٣٢.

١٥- كانت الصين مقسمة بين أسرتين حاکمتين، هما أسرة كين في الشمال ومنشوريا ومنغوليا، وعاصمتهم بكين ثم كاي فونج، وكان المغول يطلقون على حكام هذه الأسرة (ألتون خان)، وأسرة سونج في الجنوب وعاصمتهم هانج تشو.

انظر: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ص ٢١-٥٣-٥٤ - عباس إقبال: تاريخ مفصل إيران از إستيلاى مغول تا إعلان مشروطيت، ص ٦، جلد اول، جاب سوم، ١٣٤٧ هـ. ش

١٦- كلمة مغولية بمعنى الله.

١٧- القنذر: اسم حيوان يشبه الثعلب أو الكلب، ويرتدى السلاطين جلده، ويكثر في التركستان - للسمور: حيوان ثديي لاحم، يستوطن أوراسيا الشمالية، سميك الفراء بنى اللون أو أسود مشوب بالرمادي أو البني، هام لتجارة الفراء.

انظر: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، المغول في التاريخ، ص. ٤٥ - طبقات ناصري: ج. ٢ هامش ص. ١٠٣ - برهان قاطع: ص. ٦٧٩، تهران، ١٣٤١ - طبقات ناصري: ج. ١، هامش ص ٣٨٠

١٨- نجد هذا الاسم عند النسوي ينال خان، وهرابن خال السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه.

انظر سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق حافظ حمدي، ص ٨٥، القاهرة ١٩٥٢. ونجده عند الجويني (اينال جق ولقبه غاير خان) انظر تاريخ جهانگشاي، ج. ١ ص ٦٠، نشر وتصحيح محمد بن عبد الوهاب القزويني، ليدن، ١٣٢٩ - ١٣٥٥ هـ = ١٩١١ - ١٩٣٧ م.

١٩- قرآن كريم: سورة الأحزاب، آية رقم ٣٨

- ٢٠- القميز لبن متخمّر، وهويعد من لبن الجياد المتخمّر، ويمنح الدفء والقوة.
- جهانگشاى: ج. ١، ص ١٦٥ - طبقات ناصرى: ج. ٢، هامش ص ١٠٥
- ٢١- كان اسمه تغار گورگان.
- عطا ملك الجوينى: جهانگشاى، ج. ١، ص ١٣٧ وما بعدها.
- ٢٢- قرآن كريم: سورة فاطر، آية رقم ٢٤.
- ٢٣- كان المغول يلجأون إلى طريقة بدائية يعتقدون أنها تعينهم على التنبؤ بالغيب وكشف الأسرار، وتتخصص فى أنهم كانوا يضعون عظم كثف الخروف مدة فى النار حتى يسود، ثم ينظرون فيه بدقة، فإذا كان العظم سليماً لم تؤثر فيه النار ولم يحدث فيه كسر، عرفوا أن إیرام هذا الأمر سوف يأتى وفق المرام فيمضون فى طريقهم، أما إذا جاءت النتيجة بخلاف ذلك، وانكسرت العظام أو احترقت، عرفوا أن ما يقدمون عليه سوف لا تكون عاقبته سليمة، فيمتنعوا عن المضى فيه.
- د. فؤاد عبد المعطى الصياد، المغول فى التاريخ، ص ٢٥٠.
- ٢٤- الدرهم ستة دوانق.
- مختار الصحاح، ص ٢١٢.
- ٢٥- قرآن كريم: سورة الروم، آية ٤٧.
- ٢٦- يكتب جوجى أيضا.
- ٢٧- قرآن كريم: سورة الثورى، آية ٧.
- ٢٨- كانت العرب تسمى من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبتر، وتعنى أيضا المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة، وكل أمر انقطع من الخير فهو أبتر.
- انظر تفسير القرطبى: الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، ص ٣٤٦ - المعجم الوسيط ج. ١، ص ٣٨، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٢٩- أى أكل النار.
- ٣٠- قرآن كريم: سورة المائدة، آية رقم ٦٧.
- ٣١- قرآن كريم: سورة النساء، آية رقم ١٤١.
- ٣٢- قرآن كريم: سورة الحجر، آية رقم ٧٢.
- ٣٣- قرآن كريم: سورة الشرح، آية رقم ١.
- ٣٤- قرآن كريم: سورة الصف، آية رقم ٦.
- ٣٥- قرآن كريم: سورة ص، آية رقم ٢٣.
- ٣٦- قرآن كريم: سورة الأنعام، آية رقم ٧٩.

- ٣٧- قرآن كريم: سورة العنكبوت، آية رقم ٤٥.
- ٣٨- قرآن كريم: سورة الأعراف، آية رقم ٥٥.
- ٣٩- قرآن كريم: سورة النمل، آية رقم ٦٢.
- ٤٠- هذه الرواية غير صحيحة، فمنكرو لم يسلم.
- ٤١- قرآن كريم: سورة الأنعام، آية رقم ١٢٩.
- ٤٢- المقصود أمد.
- انظر جامع التواريخ المجلد الثاني الجزء الأول، ص ٣٠٦ ترجمة صادق نشأت ود.
- فؤاد الصياد ود. موسى هندوى، القاهرة ١٩٦٠م.
- ٤٣- ليس هذا بصحيح؛ إذ المعروف أن هولاءو توفى يوم الأحد الموافق ١٩ ربيع الثانى سنة ٦٦٣هـ.
- انظر رشيد الدين: جامع التواريخ، الترجمة العربية، ص ٣٤١، على حين أن الجوزجاني كتب هذه الطبقة سنة ٦٥٨هـ، وكان هولاءو لا يزال على قيد الحياة فى ذلك الوقت
- انظر طبقات ناصرى ج. ٢، تعليقات عبد الحى حبيبي ص ٢٠٤.
- ٤٤- السيوطى: الجامع الصغير فى أحاديث البشير والنذير، ص ٤٣، بدون تاريخ.
- ٤٥- اسم قبيلة من الأتراك ينتمى إليها ألغ خان.
- ٤٦- اسم مدينة تشتهر بجمال نساها واسم ملك.
- انظر: طبقات ناصرى، ج. ٢، هامش ص ٢٢٠.

فهرس
الأعلام والأماكن والكتب

- ١ -

× آذربيجان ١٠٤-١٢٨-١٧٢-٢٠٥-٢٠٨-٢١٢-٢١٥
أس (قبائل) ١٩٠
أرش ١١-١٠٨-١٤٧
أفراسياب ١١٤-٢٣٧
آلتون خان ١١٨-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٦٢-١٨٠-١٩٥-٢٣٨
× آمو ١١٥
ابكه نونين (قائد مغولي) ١٤١-١٥٧
أبو بكر (الأمير) ٢٠٦-٢٠٧-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣-٢١٤
× انزار ١٢٣-١٢٤-١٢٥-١٢٦-١٣٩-٢٣٤
× اجار ٢٠-٧٨-٧٩
× اجمير ١٦
أحداث الزمان (كتاب) ١١٣-٢٣٧
أحمد بن العلقمي ٢٠٦-٢٠٨-٢١٠-٢١١-٢١٥-٢١٦
أحمد سعد ٣٤
اختيار الدين آيتگين (ملك) ٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٤٩
اختيار الدين أبوبكر حبشي ٤٥-٥٩
اختيار الدين أيبك موى دراز ٧٦
اختيار الدين التونيه (ملك) ٣١-٣٢-٣٥-١٠٨
اختيار الدين چست قبا ١٨

(١) العلامة "x" تشير إلى الأماكن.

اختيار الدين قراقش خان آيتگين (ملك) ٢٥ - ٣٠ - ٣١ - ١٠٨
اختيار الدين كريبز ٥١
اختيار الدين محمد على خربوست ١٢٨ - ١٣٣ - ١٣٤
اختيار الدين يوزيك طغرل خان (ملك) ٣٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ١٠٨
اختيار الملك دولت يار طغراني ١٢٩ - ١٤٣
× ارال ٢٢
× اران ١٧٢ - ٢١٥
اربز (القراخطاني) ١١٥
أرسلان خان قيالق ١٢٩ - ١٣٥ - ١٤٥
أرق بوكا ١٩٣ - ٢٠٣
× ارمودن ٤٣
أسد الدين منكلي ٢٧
× اسفزار ١٥٦ - ١٩٧ - ١٩٨
أشرف الدين ابن السيد جلال الدين ٢٢٨ - ٢٢٩
× أشيار ١٤١ - ١٥٦ - ١٥٧
× أصفهان ١٧٢ - ٢٠٥ - ٢٠٧
أصيل الدين النيسابوري مبارك بهلوان ١٢٩ - ١٤٩
ألف خان بلبن السلطاني (ملك) ١١ - ٤٠ - ٤٢ - ٤٦ - ٥٠ - ٥٢ - ٥٦ - ٥٧ -
٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ -
٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ -
٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ -
٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٨ -
١٢٩ - ١٨٤ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٤٠.

الإغراقیون ۱۳۵-۱۶۱

أقلان چربی (قائد مغولی) ۱۳۰-۱۳۱-۱۴۶-۱۶۰-۱۶۱

اكتای ۱۳۶-۱۴۰-۱۴۱-۱۴۷-۱۵۷-۱۶۳-۱۶۵-۱۶۶-۱۶۷-۱۶۸

۱۶۹-۱۷۰-۱۷۱-۱۷۶-۱۸۰-۱۸۱-۱۸۳-۲۳۶

الجی نوئین (قائد مغولی) ۱۴۱

× أوده ۲۱-۲۳-۲۴-۲۵-۲۶-۲۷-۲۸-۳۸-۴۰-۴۱-۴۲-۴۳-۴۷

۵۸-۸۲-۸۵-۸۶-۸۷-۸۸-۹۳-۱۱۰

× الموت ۱۹۵-۱۹۶-۱۹۷-۱۹۸-۲۰۱-۲۰۲

اوتگین (أخوچنگیز خان) ۱۸۰

أییک سناسی ۳۲

ایلیک ماضی ۱۱۴

ایما (القرأطانی) ۱۱۵

× أیمد (آمد) ۲۱۵-۲۴۰

- ب -

باتوخان ۱۶۵-۱۹۰-۱۹۱-۱۹۴-۱۹۵-۲۲۶-۲۲۷-۲۳۰-۲۳۱-۲۳۶

باجونوین (قائد مغولی) ۲۰۸-۲۱۵

× بادغیس ۱۷۷-۲۰۵

× باروته ۹۶

× بامیان ۱۱۶-۱۲۸-۱۳۵-۱۴۰

× باورد ۱۱۴

باهرديو (ملك هندي) ۷۴-۸۱

بت خان أییک الخطائی ۳۹-۸۲-۸۴-۱۰۸

× بتهی کور ۸۸

بحر الخز ١٧٢	×
بحر مازندران ٢٢٥	×
بحر الظلمات ١٩٠	×
بخارى ٢٢٧-٢٠٤-١٨٠-١٢٦-١٢٥	×
البدء والتاريخ للمقدسى (كتاب) ٢٣٦-١١٢	×
بداون ٨٤-٨٢-٧٩-٥٢-٤٠-٣٧-٣٦-٣٥-٣٤-٣٣-٢٧-٢٢-١٧	×
بدر الدين لؤلؤ ٢٢٠-٢١٩-٢١٢-٢٠٦	×
برشور ١٣٤-١٣٣-١٢٨	×
بركا ٢٣١-٢٣٠-٢٢٩-٢٢٨-٢٢٧-٢٢٦-٢١٣-٢١٠-١٩٤-١٦٥	×
٢٣٦-٢٣٥	
برطاس ١٩٠	×
البرنوين (قائد مغولى) ١٥٠	×
بل آهنگران ١٤١	×
برن ١٧٧-٥٥-٤٩-٤٠-٣٩-٣٨-٣٦-٣١-٢٩-١٧-١٢	×
پروان ١٤٠-١٣٤	×
بدر الدين سنقر الرومى (ملك) ٦٦-٣٥-٣٤-٣٢	×
پشت ١٦١	×
بلاساغون ١٢٦-١١٤	×
بلخ ٢٢١-١٦٣-١٥٠-١٤٧-١٣٢-١٢٧-١١٥	×
بلغار ٢٣١-٢٢٦-١٩٠	×
بلكا الخلقى ١٧	×
پلول ٥٥-١٤	×
بليق جاق ١١٨	×

× بند ياران ٦٠-٦١
× بنيان ٥٠-١٠٤-١٠٥-١٧٦
بهاء الدين طغرل السلطاني المعزى ١٦-٤٦
بهاء الدين محمد بن سام بن حسين ١٥٠
× بهار ١٨-٢٢-٣٨-٣٩
× بهراج ٨٥-٨٦
× بهكر ١٣
× بهندى ٨١
البوذيون ١٦٨-١٨٥-١٨٧-١٨٨
× پوشنج ١٢٨
بيسو (أمير) ١١٩

- ت -

تاج الدين أبوبكر اياز ١٥
تاج الدين أبوبكر كبير خان ٦٨
تاج الدين حبشى عبد الملك ١٦٠
تاج الدين حسن سالار خرپوست ١٩٧
تاج الدين الخوارزمى بنالتگين ١٤٩-١٧٣-١٧٤-١٧٥-١٩٩-٢٠٠
تاج الدين دبیر جامی (عماد الملك) ١٢٢
تاج الدين سنجر أرسلان خان الخوارزمى (ملك) ٤٥-٤٦-٤٧-٤٨-٥٨-٨٢-٩٣-٩٤
تاج الدين سنجر ترخان (ملك) ٣٩-٤٠-٧٦
تاج الدين سنجر كريت خان (ملك) ٣٨
تاج الدين سنجر كزلك خان (ملك) ١١-١٢

تاج الدين سنجر قتلک (ملك) ٣٦ - ٤٩
تاج الدين القزوينى ١٣٧
تاج الدين محمد ١٤٨
تاريخ المقدسى (كتاب) ٢١٤
تاريخ ابن هيصم نابى (كتاب) ١١٣ - ١١٤
تاينگو الطرازى (القرائطى) ١١٥ - ١١٦
× التبت ١٢١ - ١٢٢ - ١٦٦
× تبرهنده ١٢ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٢ - ٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨
٨٢ - ٨٣
× تبريز ١٠٤
التتار ١١٧
آلتشمش ١٠ - ١١٤
× تخارستان ١٧٧
× تراين ٤٩
ترکان خاتون (زوج سنجر) ١١٤ - ١١٥
× ترکستان ٤٦ - ٥٢ - ٥٧ - ٥٩ - ٦١ - ٦٢ - ٦٨ - ٧٢ - ١٠١ - ١٠٥ - ١١٢
١١٥ - ١١٦ - ١١٨ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٧ - ١٣٦ - ١٤١ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٣
١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٩ - ١٧١ - ١٧٣ - ١٧٧ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٥
١٨٦ - ١٩٠ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٧ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢١٣
ترکينه خاتون (زوج اکتای) ١٨٠
× ترمذ ١١٥ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٩٢ - ١٩٣
× ترمهت ٢٣ - ٢٧ - ٨٨
× تفر ١٢١

× تکریت ۲۰۶
× تمران ۱۶۰
تمرچی چربی (قائد مغولی) ۱۲۶
تمر خان قمر الدین قیران (ملك) ۲۴-۲۵-۲۶-۲۷-۲۸-۳۱
× تنکت ۱۴۱-۱۶۱-۱۶۵-۱۶۶-۱۶۷-۱۶۹-۱۸۵-۱۸۶
تنگری خان ۱۶۱-۱۶۲-۱۶۳
توشی ۱۳۶-۱۶۳-۱۶۴-۱۶۵-۱۸۱-۱۹۰-۲۲۶
× تولك ۱۴۸
تولی ۱۳۶-۱۳۷-۱۳۸-۱۳۹-۱۹۳-۱۹۴-۲۰۴
توما (القراختائی) ۱۱۵
× تون ۱۹۸
- ج -
× جاب ۱۲۸
× جاجنگر ۲۳-۲۴-۴۲
× جالندر ۳۰
× جامع سنجر ۲۰۹
جانی (ملك) ۱۴-۱۵-۴۹
جاهر (ملك) ۲۰-۷۸
× جبال سنتور ۸۸
× جبال الغور ۱۳۱-۱۵۲-۱۵۵
× جبال کیری ۱۴۱
× جبال مازندران ۱۲۸
× جبال میوات ۷۴

× جبل جنیه ۱۳۲
× جبل جود ۷۱
× جبل بند یاران ۶۰
× جترو ۸۱
چرکس (قبائل) ۱۹۰
جرماغون نوین (قائد مغولی) ۱۶۸-۱۷۱-۱۷۲-۲۰۵-۲۰۷-۲۱۵
چغتای ۱۳۶-۱۶۳-۱۶۴-۱۶۵-۱۶۶-۱۶۷-۱۶۸-۱۶۹-۱۷۱-۱۸۰
۱۸۱-۱۸۲-۱۸۵-۱۹۰-۱۹۳-۱۹۴-۱۹۵
جلال الدین ابراهیم (امام) ۲۳۱
جلال الدین منکبرتی بن خوارزم شاه ۱۳۱-۱۳۳-۱۳۴-۱۳۵-۱۴۰-۱۶۱
جمال الدین بمستاچی (امام) ۱۸۰
× جند ۲۳۱
× جندی ۱۹
× جنید ۱۹
× جندوال ۲۷
چنگیز ۱۱۱-۱۱۷-۱۱۸-۱۱۹-۱۲۰-۱۲۱-۱۲۲-۱۲۳-۱۲۴-۱۲۵
۱۲۶-۱۲۷-۱۲۸-۱۲۹-۱۳۰-۱۳۱-۱۳۲-۱۳۳-۱۳۴-۱۳۵-۱۳۶
۱۳۷-۱۳۸-۱۳۹-۱۴۰-۱۴۱-۱۴۲-۱۴۵-۱۴۷-۱۵۶-۱۵۷-۱۵۸
۱۵۹-۱۶۰-۱۶۱-۱۶۲-۱۶۳-۱۶۴-۱۶۵-۱۶۶-۱۶۸-۱۶۹-۱۷۰
۱۷۱-۱۷۲-۱۸۰-۱۸۱-۱۸۳-۱۹۰-۱۹۱-۱۹۳-۱۹۴-۱۹۶-۲۰۲
۲۰۴-۲۲۰-۲۲۴-۲۲۶-۲۲۷
× جوسق اخجک ۱۶۴
× چین وماچین ۱۸۶

- ح -

حاتم الطائي ۱۱-۲۳۳

× حار ۱۵۵

حبشی نیزه ور ۱۲۹-۱۴۷-۱۴۸-۱۴۹-۱۵۳

حسام الدين حسن عبد الملك ۱۲۹-۱۵۹

حسام الدين قتلغ شاه ۸۳

الحسن بن الصباح ۱۹۵

الحسن (بن علی) ۲۲۰

حسن قرلغ ۵۰-۵۱

الحسين (بن علی) ۲۲۰

× حلب ۲۰۹-۲۱۵-۲۱۹-۲۲۳-۲۲۵

× حلوان ۱۷۲

× حوض رانی ۹۸

× حدیقه جود ۵۳

× حدیقه حوض رانی ۹۸

- خ -

خان هراة (ملك) ۱۳۴-۱۳۵

× خانقاه نور الدين أعمی ۲۲۸

× خایسار ۱۹۸

× ختلان ۱۸۳-۲۰۴

× ختیانویں (قائد مغولی) ۲۰۵

× خجند ۲۲۶

× خراسان ۱۳-۵۱-۵۳-۷۶-۷۷-۹۶-۱۰۰-۱۰۳-۱۰۵-۱۱۲-۱۱۴

١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٦
 ١٣٧ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٤ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٥٢ - ١٥٥
 ١٥٦ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٧١ - ١٧٣ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٨٠ - ١٨٢
 ١٨٣ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٧ - ١٩٨ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٧
 ٢٢١ - ٢٢٤ - ٢٣١

خرجم (قائد غوری) ١١٦

خطا ١١٦ - ١٦٢ - ١٩٦

الخواجه احمد وخشى ١٢٥

الخواجه جمال الدين البصرى ٦٢

الخواجه جمال الدين نريمان ٣٦

الخواجه منعم شمس الدين العجمى ٥٤

الخواجه نظام الملك مهذب الدين الوزير ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٤٩ - ٥٦

× خوزستان ١١٢

× خول مانى (قلعة) ١٦٠

- د -

× دار الخلافة ١٧٢ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٨ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٧ - ٢٧٧

الداعى ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٦ - ١٨ - ٢٣ - ٢٥ - ٢٩ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨

٤٣ - ٦٤ - ٦٧ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٩٣ - ١٠١ - ١٠٢

١٣١ - ١٩٧ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٣٢

× دامغان ١٢٨

داود (نبى) ١٨٨ - ١٨٩

× د تولى ٦٨

× دربندان ١٧٢

× در نکوان ۳۰

× دمشق ۲۲۵

× دهلی ۱۱-۱۳-۲۱-۲۳-۳۵-۳۷-۴۱-۴۹-۵۱-۵۲-۵۴-۵۵-۵۶

۵۹-۶۲-۶۸-۸۳-۸۵-۸۷-۸۹-۹۰-۹۲-۹۵-۹۹-۱۰۰-۱۰۲

۱۰۲-۱۰۴-۱۷۷-۱۷۸-۱۷۹-۱۸۴-۲۲۷-۲۲۸

× دیار بکر ۱۱۲-۲۱۵-۲۱۶-۲۲۲

× دیالمة العراق ۱۹۶

× دیرمرقومة ۲۱۷

× دیوگوتست ۲۲

× دیول ۱۸۳

- ر -

× رستم بن دامستان ۱۱-۲۰۷

× رستم داری ۱۷۲

× رشید الدین حکیم البلخی ۱۹۱

× رضی الملك ۱۳۴

× رضیة ۱۴-۱۵-۲۱-۲۳-۲۷-۳۰-۳۱-۳۲-۳۳-۳۵-۳۶-۴۱-۴۶

۴۹-۵۵-۶۰-۶۵-۶۶-۱۴۳-۱۷۷-۲۲۷

× رکی ۶۱

× رکن الدین خیسار ۱۲۴-۱۴۹-۱۹۹-۲۰۰

× رکن الدین غور شانسئی ۱۲۸

× رکن الدین فیروزشاه ۱۴-۲۱-۴۱-۴۶-۴۹-۵۵

× رکن الدین محمد عثمان المیرغنی ۱۳۷-۱۹۸

× رن تنبھور ۹۶-۸۱
الروافض ۲۰۶-۲۰۷
روس (قبائل) ۲۳۱-۱۹۰
× روم ۱۸۶
ریبال ہندو (ملک) ۸۸
× ریواری ۶۶
- ز -
× زاول ۱۱۲
زنگی أبوحفص ۱۲۸
× زاولستان ۱۷۳
- س -
ساہنتر (قائد ہندی) ۴۲
ساری نوٹین (قائد مغولی) ۱۰۵-۹۲
× سامانہ ۳۹-۵۲-۸۲-۸۹-۹۰
ساور بہادر (قائد مغولی) ۱۴۰
× سجستان ۱۹۹
سد الإسکندر ۱۳۷-۹۷
× سدرہ ۸۰-۱۰
سراج الدین عمر خروش (ملک) ۱۵۶-۱۵۵
سرتاق (ابن باتوخان) ۲۳۱-۲۳۰
× سرستی ۸۷-۷۰-۳۶-۱۸
سرہنگ سام (امیر) ۱۲۸

سعدى جربى (قائد مغولى) ۱۳۰-۱۴۱-۱۴۲-۱۴۴
× سقسین ۲۲۶-۲۳۰-۲۳۱
× سقلاب ۱۹۰
× سلطانكوت ۱۹-۷۸
سليمان شاه ايوانى التركمانى (أمير راية الخليفة العباسى) ۲۰۵-۲۰۶-۲۰۷-۲۰۸
× سنم ۵۶-۸۲
× سنبر نمك ۱۶
× سننور ۳۹-۸۸-۸۹
سنجر ۱۱۴-۱۱۵
× السنند (بياه) ۱۱-۱۵-۱۶-۵۳-۵۶-۶۸-۶۹-۷۱-۸۹-۹۲-۹۶-۱۰۴-۱۰۵-۱۷۷-۱۸۳
سنگم (القراطانى) ۱۱۵
سنن أبى داود (كتاب) ۱۱۲-۱۱۳
× سواك ۱۶-۵۰-۵۳-۸۲-۸۷-۹۵
سيف الدين ارکلى داد بك (ملك) ۵۳
سيف الدين أيبك السلطانى كشلى خان (ملك) ۷۶-۸۱-۸۹-۹۰
سيف الدين أيبك حاكم اچه (ملك) ۱۷
سيف الدين أيبك يغان نت (ملك) ۱۸-۱۹-۲۲
سيف الدين بت خان أيبك الخطائى (ملك) ۳۹
× سيهرامو ۴۰
- ش -
× الشام ۴۵-۱۱۲-۱۸۶-۲۱۱-۲۱۲-۲۱۵-۲۱۹-۲۲۵

شاه ابن الغ خان ١٠٣
شرف الدين البلخي ٢٦
شرف الملك الأشعري ٢٤
شرف الملك رشيد الدين الحنفي ٨٤
شمس الدين أننز (الحاجب) ١٢٩
شمس الدين بهرايجي ٨٠
شمس الدين حسن اختيار ١٩٨
شمس الدين خسروشاهی ١٩٨
شمس الدنيا والدين (السلطان) ٩ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٦ - ١٧ - ١٩ - ٢٢ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٤ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٩ - ٥٢
٥٤ - ٥٥ - ٥٧ - ٦٠ - ٦٢ - ٧٨ - ٨٠ - ١٢٩ - ١٤١ - ١٧٧ - ١٩٦ - ٢٢٦
شمس الدين المغربي ٢٣١
شمس الدين القزويني ١٩٦
شمس الدين كرت الغوري ٥٢
شمس الدين محمد الجوزجاني ١٢٩
شهاب الدين الپ (وزير الممالك) ١٣٣
شهاب الدين (الملك الكامل) ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧
شهاب منصور أبو الفتح (المحتشم) ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣
شيبان (ابن توشي) ١٦٥
- ص -
× صحراء حوض راني ٩٨ - ٩٩
× صحراء كعب ١٣٢

× صحراء موشى ٢١٩

صحيح سنن أبى داود السجستاني (كتاب) ١١٢-١١٣

× صقلاب ٢٢٦-٢٣١

× الصين ٤٣-٥٠-١٠٢-١١٢-١١٤-١١٧-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤

١٤١-١٦١-١٦٢-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٨٠-١٨٢-١٨٣-١٨٥-١٨٦

١٩٤-١٩٥-٢٠٣-٢٠٤-٢١٤-٢١٩-٢٢٠-٢٢٤-٢٢٦-٢٢٨

- ط -

× طالقان ٦٨-١١٥-١٢٩-١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٣-١٥٦-١٦٠-١٦٨

١٨٣-٢٠٤

طائر بهادر ١٥-١٧٣-١٧٦-١٧٧-١٧٩

× طبرستان ١١٢-١٢٧-١٧٢

× طبس ١٩٨

× طخارستان ١١٢-١٢٨-١٢٩-١٣٠-١٣٤-١٣٥-١٤٥-١٦٨-١٨٣

طغان خان طغرل ٢٢-٢٣-٢٤-٢٥-٢٦-٢٧-٢٨-٣١-٤٢-٦٨

× طمناج ١١٤-١١٧-١١٨-١٢٠-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٥

١٤١-١٦١-١٦٢-١٦٣-١٦٦-١٦٧-١٦٩-١٨٥-١٨٦-١٩٥-٢٠٣

٢٢٤-٢٣٠

طولان چرى (قائد مغولى) ١٢٩-١٣٥-١٤٥

- ع -

× عدن ٤٥

× العراق ٥٣-٥٤-٩٦-١٠٤-١٢٨-١٣٤-١٦٥-١٦٨-١٧١-١٧٢

١٨٣-١٨٦-١٩٦-١٩٧-٢٠١-٢٠٣-٢٠٤-٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٢١

عز الدين بلبن كشلوخان السلطاني (ملك) ۳۹۴۷-۴۸-۴۹-۵۰-۵۱-۵۲-۵۳-
۵۶-۵۷-۵۸-۶۰-۶۱-۷۷-۷۹-۸۱-۸۴-۸۹-۹۰-۹۱-۹۲-۹۵-
۱۰۴

عز الدين بن فتح الدين كرد ۲۰۸-۲۰۹-۲۱۱

عز الدين طغان خان طغرل (ملك) ۲۲

عز الدين كبير خان اياز ۱۳-۱۴

عز الدين محمد سالاري ۱۲-۱۴

عزيز الدين بلبن اليوزبكي ۹۵

علاء الدين اياز الريحاني ۷۶

علاء الدين جاني ۱۸

علاء الدين محمود بن جلال الدين حسن نومسلمان ۲۰۱

علاء الدين مسعود شاه ۵۷-۶۷-۸۲

عماد الدين ربحان ۷۹-۸۰-۸۱-۸۲-۸۳-۸۴-۸۵-۸۶

على (الحاجب) ۱۰۳-۱۰۴

على باستادي ۱۲

على المرتضى ۱۷۹-۲۰۷-۲۲۱-۲۲۵

عمر رضى الله عنه (ال خليفة) ۱۱

عمر كر باوردي ۱۲۸

عيسى (عليه السلام) ۱۸۸-۲۲۸

- غ -

× غرجستان ۱۱۵-۱۲۹-۱۳۱-۱۴۱-۱۴۶-۱۵۶-۱۵۷-۱۵۸

غز ختلان ۱۱۵

× غزني ۱۳-۱۴-۵۴-۱۱۲-۱۲۸-۱۳۰-۱۳۳-۱۳۴-۱۳۵-۱۴۰

۱۴۱-۱۴۷-۱۵۲-۱۵۶-۱۵۷-۱۶۵-۱۶۸-۱۷۳-۱۷۶-۱۷۷-۱۸۳
× غور ۱۳-۲۳-۱۱۲-۱۱۵-۱۱۶-۱۲۶-۱۲۹-۱۳۰-۱۳۱-۱۳۳
۱۳۴-۱۳۷-۱۴۱-۱۴۶-۱۴۷-۱۵۰-۱۵۲-۱۵۵-۱۵۶-۱۵۷-۱۶۰
۱۶۵-۱۶۸-۱۷۳-۱۷۶-۱۷۷-۱۹۸-۲۰۰-۲۰۴
غیاث الدین محمد شاه ۲۱

- ف -

× فارس ۱۱۲-۱۶۸-۱۷۱-۱۷۲
فخر الدین الإصفهانی ۲۸
فخر الدین عبد الرحمن ۱۴۲
فخر الدین مبارک شاه الفرخی (کبیر الحجاب) ۳۰-۴۱
فخر الدین محمد ارزیر ۱۵۳
فخر الملك كريم الدين لاغری ۲۴
× فراه ۱۹۸-۱۹۹
× فرغانه ۱۱۵-۱۲۶-۱۸۱
الفرنج ۲۱۹
× فیروزکوه ۱۲۹-۱۳۰-۱۳۱-۱۴۱-۱۴۲-۱۴۶-۱۴۷-۱۵۷
فیقونوین (صهر چنگیز خان) ۱۳۰-۱۳۴-۱۳۵-۱۴۷-۱۴۸

- ق -

× قاین ۱۳۸-۱۹۷-۱۹۸
قبائل آس ۱۹۰
قبائل انبوه ۲۰۷
قبائل البری ۵۷-۵۹-۶۱-۱۹۰
قبائل القبچاق ۵۳-۱۲۸-۱۳۶-۱۶۴-۱۹۰-۲۲۶-۲۲۷-۲۳۰-۲۳۱

قباثل التتار ١٢٧
قباثل چركس ١٩٠
قباثل روس ١٩٠
قباثل الفنكلي ١٩٠
قباثل يمك ١٩٠
قبلا ١٩٣
قبيلة إغراق ١٣٥
قثم بن عباس ٢١٣
قدرخان ١٢٣-١٦٣
× قراجل ١٤١
قراچه نوبن (قائد مغولي) ١٥٠
القراطانيون ٢٢-٣٠-٣٢-١١٤-١١٥
× قراقرم ١٦٨-١٩٢-١٩٣
قراقش خان ٢٥-٣٠-٣١-٤١-١٧٧-١٧٨-١٧٩
القرلغيون ١٥-١٧-٥١-٥٧
قره جماق ٨٣
× قرية جند ٨٣
قرل منجق ١٥٦
× قزوين ١٩٦
× قصبة گردكان ١٣٣
قطب الدين حسن ٣٥-٤٢-٦٠-٨٣-٨٤-١٢٩-١٤٦-١٤٧-١٤٨-١٤٩
١٥٠-١٥١-١٥٢-١٥٣-١٥٤-١٥٥-١٥٦
قلج خان مسعود خاني ٩٣-٩٤

× قلعة أستيه ۱۳۰
× قلعة آچه ۱۳-۵۰-۵۱-۵۲-۵۷-۶۹-۱۸۳-۱۸۵
× قلعة ارگ ۱۷۳-۱۷۶
× قلعة اشيار ۱۴۱-۱۵۷
× قلعة الموت ۱۹۸-۲۰۲
× قلعة باميان ۱۲۸
× قلعة بلروان ۱۵۶
× قلعة بندار ۱۵۶
× قلعة تبرهنده ۳۱-۵۷
× قلعة ترمذ ۱۲۸-۱۲۹
× قلعة تکریت ۲۰۶
× قلعة نلسند ۷۳
× قلعة تولک ۱۲۲-۱۳۰-۱۳۱-۱۴۷-۱۴۸-۱۴۹-۱۵۵-۱۵۶-۱۹۷
× قلعة جواشير ۱۹۷
× قلعة رننتهور ۷۴
× قلعة رنگ گرزوان ۱۲۹
× قلعة سر تخت ۱۹۷
× قلعة سلمور ۸۹
× قلعة سنا خانه ۱۵۶
× قلعة سنگه ۱۲۹-۱۵۶-۱۶۰
× قلعة سيفرود ۱۵۰-۱۵۲-۱۵۳
× قلعة شينشاه ۱۹۹
× قلعة صفهبد ستان ۲۰۰

× قلعة غرجستان ۱۲۹
× قلعة غور ۱۲۹
× قلعة طخارستان ۱۳۵
× قلعة فیروز کوه ۱۳۰-۱۴۲
× قلعة فیوار قانس ۱۲۹-۱۳۶-۱۴۲-۱۴۴-۱۴۵-۱۴۹
× قلعة قراجل ۱۴۱
× قلعة کالیور ۱۹-۲۰-۵۸
× قلعة کالیون ۱۲۹-۱۴۲-۱۴۳-۱۴۴-۱۴۵-۱۴۹
× قلعة کاه ۱۹۸
× قلعة گرد کوه ۲۰۱
× قلعة کره ۱۹۸
× قلعة کیری ۱۴۱
× قلعة لاغری ۱۵۶
× قلعة لمبسر ۱۹۵-۱۹۶-۲۰۱
× قلعة ملتان ۱۶-۵۱-۷۷-۹۲-۱۸۳
× قلعة مندور ۴۸
× قلعة مؤمن آباد ۱۹۸
× قلعة نرول ۷۹
× قلعة نصر کوه ۱۲۹-۱۳۰-۱۳۱
× قلعة والیان ۱۳۴
× قلعة ولخ ۱۲۸-۱۲۹-۱۳۵-۱۳۶-۱۴۵
× قمبیز ۱۲۴
× قم ۱۷۲

× قندز - قندوز ٦٨ - ١٦٨ - ١٨٣ - ٢٠٤

× قنوج ١٩ - ٢٧ - ٤٢ - ٧٨ - ٢٢٧

× قهستان ١٣٧ - ١٤٩ - ١٩٥ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠١ - ٢٠٢

× قبالق ١١٤

- ك -

× كابل ١١٢ - ١٤١ - ١٧٣

× كاتھتير ٣٧

× كاسلى ١٦

× كاشان ١٧٢

× كاشغر ١٤١

× كالپور ١٩ - ٢٠ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٤ - ٣٦ - ٤١ - ٤٩ - ٥٨ - ٧٨ - ٩٥ - ٢٢٧

× كامرود ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ١٤١ - ١٦١

× كامه ٥٥

× كاننجر ١٩ - ٢١ - ٣٧ - ٤٧ - ٧٣ - ٧٨ - ٧٩

× كبيرخان اياز المعزى (ملك) ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٧٧

× كناسين ٢٣ - ٢٤

× كتن ١٨٢

× كجرات ٦٢

× كربت خان سنجر ٦١

× كربز ٥١

× گرشاسب ٤٣

× كريم الدين الزاهد ٤١

× الكرخ ٣٩ - ٢٠٦ - ٢٠٩

× گرزوان ۱۱۵
× کسمندی ۸۸-۴۰
کشلی خان سيف الدين أيبك السلطاني ملك الحجاب (ملك) ۵۸-۵۹-۶۰-۶۲
کشاو خان سنقر التتاری ۱۱۶-۱۲۷
× کرک ۵۵
× کرمان ۱۶۸-۱۷۲-۱۷۶-۱۷۷
× گرمسیر ۱۳۰-۱۳۴-۲۰۴
کزک خان ۱۱-۱۲-۱۳-۱۷
× کلران ۱۱۸
× کواشیر ۱۷۲
× کوجات ۳۲
کوچی (ملك) ۱۲-۱۹-۴۷
گورخان (القراخطائی) ۱۱۵-۱۱۶-۱۲۷
× الکوفه ۲۰۹
الکوکهران ۱۷۹
× کول ۵۶-۵۸-۹۵
× کره ۲۳-۴۷-۸۲-۹۴
× کهرام ۱۲-۳۹-۴۹-۵۲-۸۲-۸۹
× کیری ۱۴۱-۱۵۷-۱۶۱
× کیکرب ۱۲۷
کیک خان بن أکتای ۱۴۹-۱۸۳-۱۸۵-۱۸۶-۱۸۷-۱۸۸-۱۸۹-۱۹۰-۱۹۳
× گیلان ۱۷۲

- ل -

× لاهور (لوہور) ۱۴ - ۱۵ - ۱۶ - ۳۰ - ۴۲ - ۴۷ - ۵۱ - ۵۷ - ۶۹ - ۸۲ - ۹۶

۱۷۶ - ۱۷۷ - ۱۷۸ - ۱۷۹ - ۱۸۰ - ۱۸۳

× لدہ ۲۷

× لکھنوتی ۱۷ - ۱۸ - ۱۹ - ۲۲ - ۲۳ - ۲۴ - ۲۵ - ۲۶ - ۲۸ - ۳۱ - ۳۷ - ۴۲

۴۳ - ۴۵ - ۴۷ - ۴۸ - ۵۶ - ۶۷ - ۶۸ - ۹۴ - ۹۵ - ۱۶۱

× لکھوال ۵۶

× لکھور ۲۴

× لوالج ۱۸۳

× لوب ۱۶۱

× لوہ ۱۶

- م -

× مالوہ ۲۷ - ۴۷ - ۷۳ - ۷۸

× مارڈین ۲۱۵

× مازندران ۱۲۷ - ۱۲۸ - ۱۲۹ - ۱۵۰ - ۲۲۵

× مانکپور ۲۳ - ۸۲ - ۹۴

× ما وراء النهر ۱۱۲ - ۱۱۵ - ۱۲۶ - ۱۳۱ - ۱۳۶ - ۱۸۰ - ۱۸۱ - ۲۰۳ - ۲۰۴

۲۳۱

مبارز الدین حبشی نیزہ ور ۱۴۷

مبارز الدین السیزواری ۱۴۲

مبارز الدین شیرازی ۱۲۹

الملاحدة ۱۹۵ - ۱۹۶ - ۱۹۷ - ۱۹۸ - ۱۹۹ - ۲۰۱ - ۲۰۳

متمردی جلالی و تنولی ۶۸

مجاهد الدين أبيك ٢٠٧-٢٠٨-٢١١
المجوس ١٧٩
محمد = المصطفى (ص) ٦١-٦٧-٧٥-٨٦-٩٤-١٠١-١٠٥-١١١-١١٤
١١٦-١١٧-١٢٤-١٢٥-١٣٩-١٥٨-١٨٧-١٨٨-٢٢٠-٢٢٤-٢٢٨
٢٣٠
محمد تكش ١٦٤
محمد خرنك ١١٦
محمد خوارزم شاه ١١٦-١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٦-١٢٧-١٢٩-١٣٣
١٣٧-١٣٩-١٤٤-١٤٧-١٤٨-١٥٠-١٦٣-٢٠١-٢٢٥
محمد مرغزي (أمير) ١٥٧-١٥٨
محمود آتش خوار ١٨٢
محمود بن سبكتگين ١١٤
× مدينة نو ١٠٠-١٠١
× مرو ١٣٦-٢٠٥
× مروت ٧٠
المستنصر (ال خليفة المصري) ١٩٦
المستعصم بالله (ال خليفة) ٢٠٥-٢٠٦-٢٠٧-٢٠٨-٢١٠-٢١١-٢١٢-٢١٣
٢١٤-٢١٧
مسعود بيك ١٨٢
× مصر ٤٥-٥٩
معز الدين بهرام شاه (السلطان) ٢٣-٣٠-٣٢-٣٣-٣٥-٣٦-٤٠-٤١-٤٩
٥٥-٦٦-١٧٧
معز الدين محمد بن سام ١١٦-١١٧

المغول	۱۵-۵۳-۵۷-۵۹-۶۲-۶۸-۶۹-۷۱-۷۲-۹۲-۹۳-۹۶-۱۰۴
	۱۰۵-۱۱۱-۱۱۲-۱۱۷-۱۱۸-۱۱۹-۱۲۰-۱۲۱-۱۲۲-۱۲۴-۱۲۵
	۱۲۶-۱۲۷-۱۲۸-۱۲۹-۱۳۰-۱۳۱-۱۳۲-۱۳۳-۱۳۴-۱۳۵-۱۳۶
	۱۳۷-۱۳۸-۱۳۹-۱۴۰-۱۴۱-۱۴۲-۱۴۴-۱۴۵-۱۴۶-۱۴۷-۱۵۰
	۱۵۱-۱۵۲-۱۵۳-۱۵۴-۱۵۵-۱۵۶-۱۵۷-۱۵۸-۱۶۰-۱۶۱-۱۶۲
	۱۶۴-۱۶۶-۱۶۷-۱۶۸-۱۶۹-۱۷۰-۱۷۱-۱۷۲-۱۷۳-۱۷۴-۱۷۶
	۱۷۷-۱۷۹-۱۸۰-۱۸۱-۱۸۳-۱۸۴-۱۸۵-۱۸۶-۱۸۷-۱۹۰-۱۹۱
	۱۹۲-۱۹۴-۱۹۶-۱۹۷-۲۰۱-۲۰۴-۲۰۵-۲۰۶-۲۰۷-۲۰۹-۲۱۰
	۲۱۲-۲۱۴-۲۱۵-۲۱۶-۲۱۷-۲۱۹-۲۲۰-۲۲۳-۲۲۵-۲۲۷-۲۲۸-۲۲۹
× ملتان	۱۲-۱۴-۱۵-۱۶-۱۸-۳۰-۳۹-۵۰-۵۱-۵۲-۵۳-۵۷
	۷۷-۱۷۶-۱۷۷-۱۸۳-۱۹۱
ملوك الغور	۱۱۶-۱۲۶-۱۳۳-۱۵۵-۱۵۶-۱۷۳
الملکة جهان (أم محمد خوارزم شاه)	۵۳-۲۰۱
× منصور پور	۳۲-۸۲
× منديانه	۴۰
منکده چربی (قائد مغولی)	۱۴۱
منکوتہ نوین (قائد مغولی)	۱۵-۶۸-۶۹-۷۰-۱۵۰-۱۶۸-۱۸۳-۱۸۴
منگوخان	۵۷-۱۹۱-۱۹۳-۱۹۴-۱۹۵-۱۹۶-۱۹۷-۲۰۱-۲۰۳-۲۰۴
	۲۱۳-۲۱۵-۲۱۶-۲۳۰-۲۳۱
منہاج بن سراج	۹-۱۹-۲۵-۲۹-۳۶-۵۴-۵۶-۶۷-۷۴-۷۶-۸۰-۸۲
	۸۳-۸۴-۸۵-۱۰۱-۱۰۲-۱۱۱-۱۱۲-۱۲۱-۱۲۲-۱۲۴-۱۳۰-۱۳۱
	۱۳۷-۱۴۹-۱۶۰-۱۸۰-۱۸۵-۱۹۱-۱۹۷-۱۹۸-۱۹۹-۲۰۰-۲۰۱
	۲۲۰-۲۲۷-۲۳۲-۲۳۳

منوچهر ١٤٧
× مهاون ١٩-٣٦-٥٨-٧٨
× مهر ١٩-٢٨-٥٨-٧٨
× مهويه ٣٧
× الموصل ١١٢-٢٠٦-٢٠٨-٢١٢-٢١٧-٢١٩
× مياپور ٦١
× مياقارقين ٢١٥-٢١٧-٢١٨-٢١٩
× ميرت ٦٠
× ميوات ٤٠-٧٤-٨٧
- ن -
× نارنول ١٧
ناصر الدنيا والدين (السلطان) ١٥-٢٦-٣١-٣٩-٥٠-٥٤-٥٥-٥٦-٦٠-٦١-٦٧-٧١-٧٥-٧٨-٩٧-٩٩-١٠٢-١٠٣-١٠٤-١٠٥-١١٠-١٢٤-١٥٨-٢٢١-٢٣١-٢٣٢
ناصر الدين قباچه (ملك) ١٣
ناصر الدين محمد حسن قرلغ ١٠٣-١٠٤
ناصر الدين محمود ١٢
نصر التولكى ١٤٧
ناصرى نامه (كتاب) ٧٤
× ناگور ٤٠-٤٦-٥٠-٥٧-٦٠-٨٠-٨١-٨٢
نجم الدين سربارى الرومى ٢٠٣
نصرة الدين آيتمر ٤٩
نصرة الدين تايى المعزى (ملك) ١٩-٢٠-٢١-٢٧-٧٨-٧٩

نصرة الدين شير خان (ملك) ٩٥ - ٩٠ - ٥٨ - ٥٦ - ٤٧ - ٤٦
نصرة خان سنقر الصوفى (ملك) ٥٨ - ٥٦ - ٥٥
نصير الدين أيتمر البهائى (ملك) ١٦
نصير الدين حسين ١٣
نصير الدين محمد بNDAR ٤٢
نظام الدين الشرقانى ٤١
نظام الملك جنيدى (وزير) ١٣
× نگرهار ١٣٤
× نندنه ٣٢
× نهر ارغند ١٥٦
× نهر بياه ١٨٥ - ١٧٩ - ٩٦ - ٨٩ - ٧٩ - ٧٤ - ٦٩ - ٥٦ - ٥٠
× نهر بيكمتى ٤٣
× نهر جون ٧٦ - ٧٣
× نهر جيحون ٢٠٤ - ١٣٢ - ١٣١ - ١٢٨ - ١٢٧ - ١٢٢ - ١١٦ - ١١٥
× نهر جهلم ٧٧
× نهر جيلم ٧١
× نهر دجلة ٢٢٢ - ٢١٤ - ٢١٠ - ٢٠٩ - ٢٠٦
× نهر راوى ٦٩ - ١٥
× نهر سدره ٧١ - ٧٠
× نهر سرو ٨٨ - ٨٧ - ٨٦
× نهر السند ١٨٣ - ١٧٧ - ١٤١ - ١٤٠ - ١٣٥ - ١٣١ - ٧١ - ٥٧ - ٣٩ - ١٣
× نهر الفرات ٢٢٥ - ٢٢٣ - ٢٠٩ - ١١٣
× نهر قراقرم ١٦٢

× نهر کرانه ۷۹
× نهر لکهنوتی ۴۲
نور الدین الخوارزمی (الإمام) ۱۸۸
× نوکیلوکهری ۱۰۰
× نیسابور ۱۲۷-۱۲۹-۱۳۶-۱۴۸-۱۴۹-۲۰۱-۲۰۴
× نیمروز ۱۲۴-۱۷۳
× نیه ۱۴۹-۱۹۹
- ه -
× هانسی ۱۴-۶۶-۸۰-۸۳-۸۴-۸۷-۹۵
× هراة ۱۲۷-۱۲۹-۱۳۴-۱۳۵-۱۳۷-۱۳۸-۱۴۱-۱۴۲-۱۴۳-۱۴۷
۱۵۶-۱۷۳-۱۷۷-۱۹۳-۲۰۴
× هریانه ۹۵
هزبر الدین محمد بن مبارک (أمیر) ۱۴۹
× هضبة نعمان ۱۳۲-۱۳۳-۱۳۵-۱۳۶-۱۵۶
× الهند ۹-۱۳-۱۸-۲۰-۲۴-۲۷-۴۰-۴۲-۴۳-۴۴-۶۱-۶۳-۷۲
۷۳-۷۴-۷۷-۷۹-۸۱-۸۲-۸۶-۸۸-۸۷-۹۴-۹۷-۱۰۲-۱۰۵
۱۱۱-۱۴۱-۱۴۹-۱۵۵-۱۶۱-۱۷۷-۱۸۳-۱۸۴-۱۹۱-۱۹۹
هندوخان مؤید الدین المبارك الخازن (ملك) ۲۸-۲۹-۳۰
هندوئی (ملك هندی) ۸۶
هولاكو (هولاؤ - هولاو) ۵۲-۵۳-۹۱-۹۶-۱۰۳-۱۰۴-۱۰۵-۱۹۳
۲۰۳-۲۰۴-۲۰۵-۲۰۶-۲۰۷-۲۰۸-۲۱۰-۲۱۱-۲۱۲-۲۱۳-۲۱۴
۲۱۵-۲۱۶-۲۱۷-۲۱۸-۲۱۹

- و -

× وادی تمیشه ۱۲۷

وحید الدین فوشنجی (القاضی) ۱۳۸

ولکی وملکی (ملک ہندی) ۷۳

× ونجروت ۱۲

- ی -

یحییٰ بن أعقب (إمام) ۲۲۰ - ۲۲۱ - ۲۲۳

یسہ (قانون) ۱۶۶

یغرش (الأمیر) ۱۰۵

یکتم رکنی اورخان (الملك) ۴۰

یمہ نوین (القائد) ۱۲۷ - ۱۲۸

یوزبک (الملك) ۳۰ - ۴۱ - ۴۲ - ۴۳ - ۴۴ - ۴۵ - ۱۲۹

المؤرخ فى سطور :

منهاج السراج الجوزجاتي

ولد منهاج الدين فى عام ٥٨٩ هـ فى فيروز كوه عاصمة الدولة الغورية، وكانت عائلته سواء من ناحية الأم، أو من ناحية الأب من رجال العلم والسياسة وكانوا يعملون فى بلاط الغور، فنشأ منهاج فى حرم الملكة ماه ملك ابنة السلطان غياث الدين (٥٨٥ / ٥٩٩ هـ) وكانت أمه تتمتع بمكانة سامية فى حرم ماه ملك.

وبعد سقوط مراكز الدولة الغورية فى فيروز كوه وغزني وتخارستان وباميان فى عام ٦١٢ هـ على أيدى الخوارزميين نقل ذلك على قلب منهاج، فذهب إلى ملوك سجستان فى نيمروز، وعمل رسولا لهم، ومع بدء الغزو المغولى ذهب إلى تلك الواقعة بين غور وخراسان، حيث يوجد أقاربه واشترك معهم فى الدفاع ضد المغول لمدة أربع سنوات، ولكن يبدأن الحياة لم تعد محتملة هناك فتوجه منهاج إلى الدولة الغورية فى الهند التى كانت قد ازدهرت وأصبحت مركزا هاما للإسلام، وملاذا للأمرء والعلماء والشعراء الذين فروا من الهجمات المغولية.

وفى الهند تولى منهاج مناصب قضائية وعلمية ودينية هامة بحيث صار أحد رجال دهلى المرموقين، فصاحب السلاطين فى غزواتهم إلى المناطق النائية فى الهند، كما تنقل فى ولايات الهند المختلفة تبعا للمناصب التى تولاها هناك. وفى الهند ألف كتابه (طبقات ناصري) فى الفترة من ٦٥٥ إلى ٦٥٨ هـ وقد اعتمد فى تأليفه على الكتب التاريخية السابقة له، وعلى الروايات التى أتيح له سماعها، ثم على مشاهداته الشخصية ومعاصرته للأحداث، فاحتوى تاريخه على كثير من المعلومات التاريخية الهامة خاصة فيما يتعلق بتاريخ الغور وتاريخ المغول، بالإضافة إلى سهولة أسلوبه وبساطته. أما فيما يتعلق بتاريخ وفاته، فهو غير معروف ويمكن القول فقط إنه عاش إلى ما بعد عام ٦٥٨ هـ وهو تاريخ إتمام الكتاب.

المترجمة فى سطور:

د. ملكه على التركى

- أستاذ متفرغ بقسم اللغات الشرقية كلية الآداب جامعة عين شمس وأهم

مؤلفاتها:

- بند نامه أو كتاب المواعظ للشاعر فريد الدين العطار عرض وتحليل.

- السلطان الغورى غياث الدين محمد بن بهاء الدين.

- السلطان علاء الدين جهانسوز.

- قصة محمد خوارزم شاه مع أهل مدينة سبزوار: من قصص المثوى

المعنوى.

- سعدى الشيرازى وأسرة الجوينيين.

- الشاه شجاع شاعرا ثانى حكام أسرة آل المظفر بإيران.

- تاريخ آل المظفر تأليف محمود الكتبى عن تاريخ آل المظفر بإيران

ترجمة وتعليق.

- ترجمة كتاب مصر من زاوية أخرى لجميلة كديور بالاشتراك مع

آخرين.

- مدخل إلى الأدب الصوفى الفارسى مع دراسة وترجمة المنظومة

الصوفية الهى نامه.

التصحيح اللغوى: غادة كمال

الإشراف الفنى: حسن كامل

